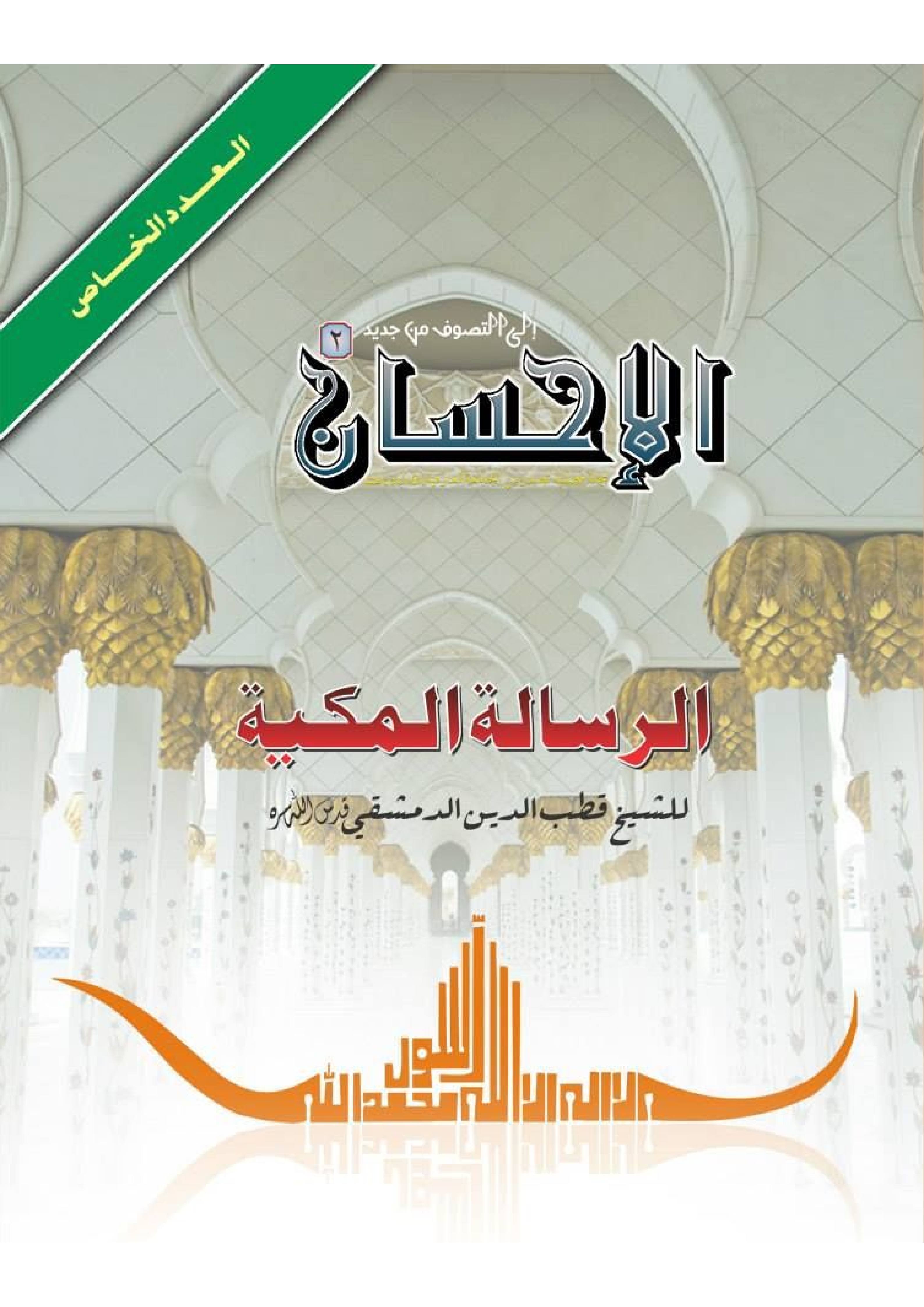
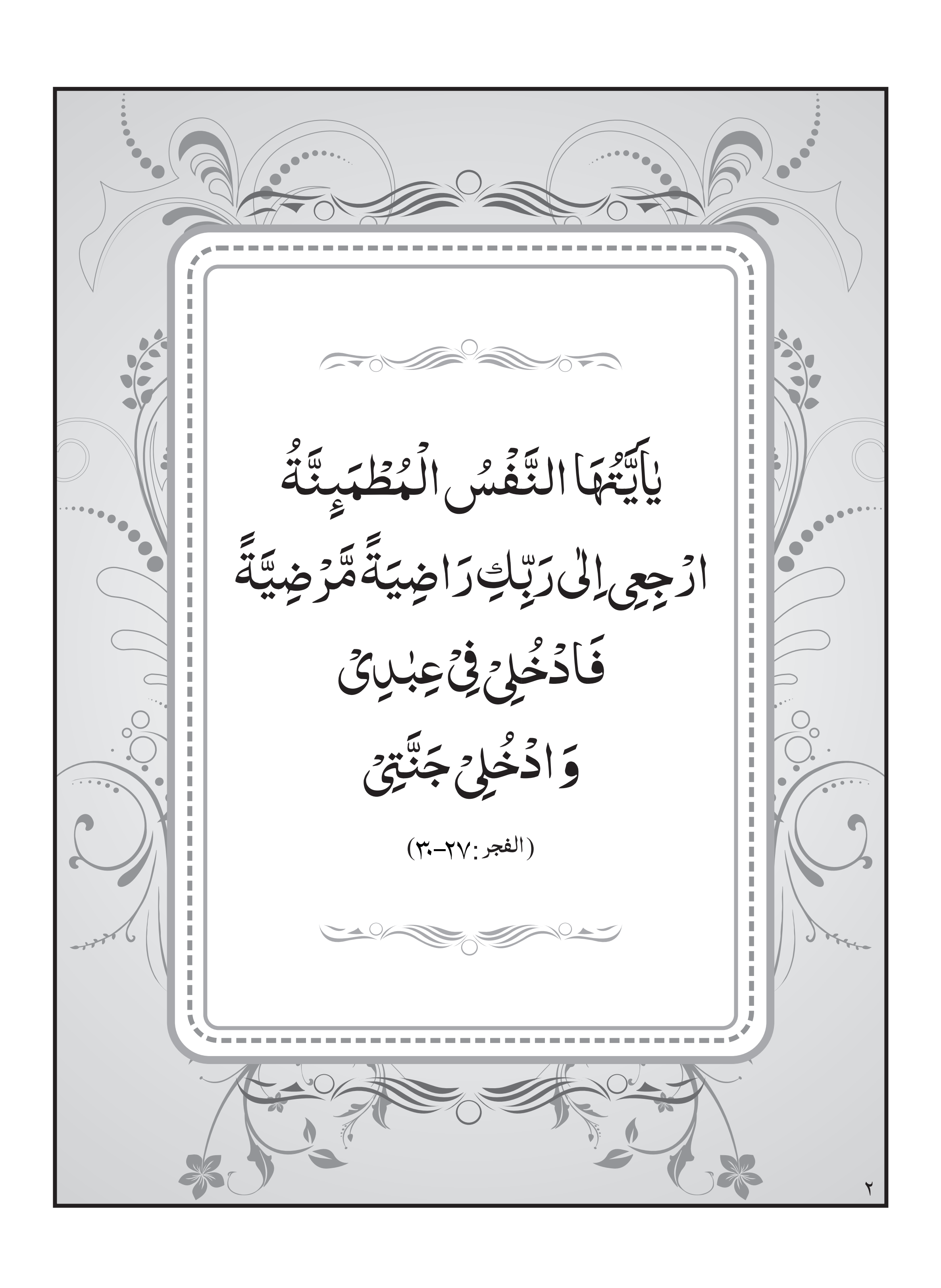

العدد الخاص
إلى التصوف من جديد ٢
الإحسان
الرسالة المكية
للشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره
لا إله إلا الله محمد رسول الله



١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

SHAH SAFI ACADEMY, Jamia Arifia
Saiyed Sarawan, Kaushambi, Allahabad, U.P. Pin-212213 (India)

رقم البريد:212213 الهاتف : 9696973121-91+(الهند)20114001098+(مصر)
البريد الإلكتروني:shahsafiacademy@gmail.com



يٰاَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

ارْجِعِيْ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً

فَادْخُلِيْ فِيْ عِبٰدِيْ

وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ

(الفجر: ٢٧-٣٠)



من مائدة العرفان

قال الله تعالى في بيان حال القرآن الكريم: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾(البقرة: ٢٦)، وقال العلماء: الأحاديث مضلة إلا للفقهاء. وبناء على هذا أقول: إن كتب التصوف أيضا مضلة إلا للعارفين والممارسين لأحوال الصوفية والمنازلين في مقاماتهم، فإن السر وراء توصيف القرآن والحديث مضلا هو أن القرآن والحديث فيهما عام وخاص وإجمال وتفصيل وقصص ومواعظ وأمثال وحكم، وكلها يشد بعضها بعضا، فكل من أراد فهم القرآن والحديث والتدبر فيهما بدون أن يجلس في صحبة علماء القرآن والعارفين بأصول الفقه المدونة ومن غير أن يعرف منهما الخاص من العام والمفصل من المجمل والمقيد من المطلق، ضلَّ الطريق وانحرف عن السبيل وحكم فيهما برأيه وهواه.

كذلك شأن كلام الصوفية، فهو مستنير من مشكاة القرآن والحديث وعليه طابع الوحي ولمعة السنة، ففيه أيضا عام وخاص وإجمال وتفصيل وإطلاق وتقييد وقصص ومواعظ وحكم وأمثال وظواهر وعبارات وإشارات ودلالات ومحكمات ومتشابهات وشطحات وأحوال وما إلى ذلك من طرق الكلام، فلو أراد أحد فهم التصوف وكلام المشايخ الصوفية والتعمق في لطائفهم ومعارفهم بنفسه وبرأيه بدون الجلوس بين يدي المشايخ الصوفية والتمييز بين الخاص من الأقوال وعامهاومجملها ومفصلهاومطلقها ومقيدها لما استطاع ذلك، بل ضل عن سواء السبيل و أساء الظن بالصوفية . فكل من يتوخى الفهم الصحيح للتصوف، عليه أن يحضر مجالس المشايخ الصوفية، فقد يحصل له من خلال ذلك الاطلاع على مناحي أقوال الصوفية ومناهج كلامهم.

فالحاجة ماسة إلى أن نجمع أصول فقه التصوف والإحسان أو الفقه الباطن كما جمعنا أصول الفقه الظاهر ونقوم بترويجها بين الناس؛ ليكونوا على حفظ من الخطأ والزلل في فهمه، وأن نحرضهم على ألا يتعلموا التصوف من الكتاب إلا مع مجالسة المشايخ الصوفية والرجوع إليهم في مزال الأقدام والمعسور من المقام، فالمطاعن في الصوفية كلها أو جلها عائدة إلى الجهل بهذه الأصول وعدم المعرفة بالأحوال، وهذا قد أدى إلى إساءة الظن بهم، وفقنا الله تعالى معية مشايخ الكتاب والسنة وطهر نفوسنا ببركاتهم وجعل لنا نصيبا من علومهم وخيراتهم وحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

• العارف الرباني الشيخ **أبو سعيد** حفظه الله



إلى التصوف من جديد (٢)



مجلة فصلية تصدر من الجامعة العارفية، الهند

العدد الخاص

الرسالة المكية

للشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره

تحقيق و تخريج و تعليق

أ./ غلام مصطفى الأزهري

مراجعة

فضيلة الشيخ أ.د.إبراهيم صلاح الهدهد
(نائب رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، مصر)

فضيلة الأستاذ حسن نجار محمد
(الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف)

محتويات

كلمات

عن "الإحسان"

حسن سعيد الصفوي

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى من تبع هداه وبارك وسلم.

القراء الكرام! هذا من بواعث الفرح والافتخارأن نقدم إليكم العدد الثاني من مجلة الإحسان، المحتوي على النص الصوفي القديم "الرسالة المكية في الطريقة السنية" للعلامة الشيخ قطب الدين الدمشقي رحمه الله تعالى، وهذه الرسالة متن في التصوف مشيد بالكتاب والسنة، وجيز في العبارات البليغة، جامع لجميع مسائل السلوك والمعرفة، قد تم تأليفها قبل حوالي ستة قرون، ومنذ ذلك الوقت لم تزل تدرس فى الزوايا الصوفية وما دام علماء التصوف وأهل السلوك يشرحون هذه الرسالة ويعلقون عليها ويقتبسون منها فى كتبهم ويذكرونها فى مجالسهم وحلقاتهم، ومع هذا كله لم تطبع هذه الرسالة القيمة حتى الآن والأسف كل الأسف على أنها قد تناسى ذكرها منذ زمان، وخمل صيتها من المعاهد الدينية والمراكز الصوفية الروحية، فاليوم قليل من يعرف عن هذه الرسالة وصاحبها، ولذا نشعر بالسرور ونفتخر بأننا نقدمها إليكم أول مرة فى لباس مطبوع أنيق مع تحقيق وتخريج وتعليق، فالحمد الله على فضله وتوفيقه وإنه يرزق من يشاء بغير حساب.

ونعيد ما ذكرناه فى العدد الأول لهذه المجلة الصادر فى العام الماضي من أن لإشاعة هذه المجلة أغراضًا ومقاصد ، منها:

١. ترويج اللغة العربية فى المسلمين الهنود وخاصة بين طلبة المدارس الدينية و تحسين الذوق لهذه اللغة المباركة فيهم حتى يفهموا القرآن والسنة والنصوص الدينية بجانب ويستطيعوا أن يقرؤوا ويكتبوا هذه اللغة ويعرفوا أساليبها القديمة والحديثة بجانب أخر.
٢. توطيد العلاقات الدينية الروحية وتشييد الروابط العلمية والفكرية بين علماء الهند وشيوخ العرب عامة وشيوخ الأزهر الشريف خاصة، فإن هذا الزمان الذي لا معنى فيه لكلمة البعد والمسافة

بفضل التكنالوجيا الحديثة ووسائل الحمل والإعلام المسرعة، وجب فيه على علماء الإسلام ومشايخ أهل السنة القيام بتوحيد الأمة المسلمة العالمية، وبالأخص لزم علينا تكوين الاتحاد والوفاق فى صفوف أهل السنة والجماعة على المستوى العالمي، وهذا لا يتأتى بدون العلاقات المحكمة الراسخة بين العلماء والمشايخ من جميع أكناف العالم، ونرجو أن هذه المجلة ستقوم بدور مشكور فى هذا السياق بإذن الله تعالى.

٣. إشاعة الإحسان الذى هو ركن ثالث من أركان الدين، وإحياء التصوف والسلوك ، فإننا نسعى أن تكون مجلتنا الإحسان حاملة لمعناها دائما، بل هو أول الأغراض لإصدار هذه المجلة؛ ولذا سميت بهذا الاسم، ومن حسن ما اتفق لنا أن الداعية الإسلامي، العارف الرباني الشيخ أبا سعيد إحسان الله – دامت فيوضه–، وهو حامل لراية الإحسان في هذا الزمان، وإن إصدار هذه المجلة من أعمال ثورته الروحية الصوفية، ندعو الله أن يوفقه لإتمامها حتى تكون كلمة الإسلام والإيمان والإحسان هي العليا.

وبالنظر إلى هذه الغايات السعيدة بدأنا إصدار هذه المجلة في العام الماضي، وهي تطبع باللغة الأردية أيضًا، فجمعنا في المجلس الاستشاري للمجلة العربية العلماء الكبار والمشايخ العظام من الهند ومصر كما جمعناهم في داخل المجلة ونشرنا مقالاتهم، فأصبحت هذه المجلة جسرًا بين البلدين يملأ الخليج بين الهند والعرب، وفي هذا العام عندما جلسنا لخطة العدد الثاني، أشار بعض أصدقائنا إلى إصدار عدد خاص على الرسالة المكية للعلامة قطب الدين الدمشقي رحمه الله تعالى، فاتفقنا وبدأ رفقائنا في العمل وخاصة بدأ الأخ الأستاذ غلام مصطفى الأزهري تحقيق الرسالة وتخريجها والتعليق عليها، وها هي أمامكم.

وبعد ما تم عمل مقابلة النسخ والتحقيق والتخريج، أرسلناها إلى بعض العلماء الكبار من الهند ومصر، وهم:

١ – فضيلة الشيخ الدكتور حسن شافعي، رئيس مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر.

٢ – فضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد، نائب الرئيس لجامعة الأزهر الشريف، مصر.

٣– فضيلة الشيخ محمد أحمد المصباحي، رئيس الأساتذة، بالجامعة الأشرفية، مبارك فور، الهند.

٤ – الأستاذ حسن نجار محمد، الأستاذ بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر.

٥ – الدكتور السيد شميم الدين أحمد المنعمي، رئيس قسم اللغة العربية، بكلية أورينتل، بتنا، الهند.

٦ – الدكتور السيد عليم أشرف الجائسي، الأستاذ بقسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد، الهند.

وقد أفادنا كل واحد منهم إفادات نافعة من تصحيح وترقيم وتشرفوا بإصلاحات ومشورات قيمة، ومنهم من قدَّم للرسالة المكية ومنهم من اعتذر لقلة الوقت وكثرة الشغل، فنشكر كل واحد منهم بأعماق قلوبنا شكرًا جميلًا، جزاهم الله تعالى جزاءًا موفورًا.

وأضفنا إلى الرسالة المكية في هذا الإصدار تقديمات لفضيلة الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد وفضيلة الأستاذ حسن نجار محمد وفضيلة الدكتور شميم الدين أحمد المنعمي، وتعريفًا موجزًا عن الرسالة، وصاحبها بقلم الأخ الأستاذ ضياء الرحمن العليمي وكتب الأخ الأستاذ غلام مصطفى الأزهري المحقق لهذه الرسالة مقالة جامعة حول منهج السادة الصوفية في قبول الأحاديث النبوية وردها وبهذا كله أصبح هذا العدد أفضل وأعلى من العدد الأول ونتمنى أن تكون جميع الأعداد القادمة أحسن من الماضية وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وفي الختام نشكر زملاء أكادمية شاه صفي لما بذلوا أقصى جهودهم في إعداد هذا العدد القيم من مجلة "الإحسان" ومن الواجب أن لا ننسى قدوتنا وشيخنا شيخ المشيخة العارفية ورائد الثورة الروحية الشيخ العارف أبا سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي، متّعنا الله تعالى بطول بقائه.

والحمد لله تبارك وتعالى في البداية والنهاية، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى من تبعه إلى يوم الدين.

*****

منهج السادة الصوفية

في قبول الأحاديث النبوية وردها

غلام مصطفى الأزهري

إن لعلماء الإسلام طبقات شتى ومجالات متنوعة فنًا وذوقًا، بحثًا ومنهجًا، منهم المحدثون والفقهاء والمتكلمون والصوفية، ولكن إذا خضنا في سيرهم وطالعنا كتبهم وجدناهم متحدين في المقصد والغاية وكل منهم في آن واحد صوفي ومتكلم وفقيه ومحدث، وإن اشتهروا بفن فهذا على حسب خدماتهم في مجال معين.

فإن المحدث لولم يكن صوفيا ومتكلما وفقيها لما كان محدثا حقيقيا بل يكون فاسقا بعُجْب ومبتدعا برأي وجاهلا بمقاصد، وكذا المتكلم إذا لم يكن محدّثا وفقيها وصوفيا كان ضالا ومضلًا بعدم خبرته في الرواية والدراية وبتعصبه في مذهبه ورأيه، أما الفقيه فاجتهاده موقوف على التبحر في الحديث وعلومه، وبدون تصحيح اعتقاده وإخلاص أعماله هو مختال وجهده خداع، وأما الصوفي فهو مختدع ومسخرة للشياطين بدون تكميل علوم التوحيد والشريعة، ولكنه إذا بلغ أقصى الغاية وفاز بالوصول إلى المعرفة الربانية بقدر الإمكان كان له ذوق خاص ومنهل ممتاز لا يفوز به إلا العرفاء فينطلق عن المجالات العلمية الإسلامية كلها كالحديث، والفقه، والكلام، على حسب منهجه ومعرفته فينكر أهل الظاهر على علمه ومعرفته؛ لعدم وصولهم إلى مناهل الصوفية ومشاربهم.

وفي قبول الحديث ورده لهم مناهج مختلفة، منها المتفق عليه ومنها المختلف فيه، وإليكم بيانه في النقاط التالية:

قبول الحديث ورده عن طريق القواعد المتداولة بين المحدثين:

التصحيح أو التضعيف عن طريق القواعد الاصطلاحية المقررة في كتب أهل الحديث المتداولة بين الخاص والعام، والتي بها أغلب الأحاديث محكوم عليها صحة وضعفا، إنما هو باعتبار موازين تلك القواعد التي تفنن علماء الأمة بالتصنيف فيها والكلام في مباحثها، بما بقي غرة في جبين الثقافة

الإسلامية وفضيلة وفخرا للأمة المحمدية، بين الأمم السابقة واللاحقة؛ أن لم تعرف واحدة منها اعتناء بالرواية وضبطا للمنقولات والمسموعات كما صنع ذلك علماء الحديث، وأسسوا لذلك أسسا عليها قامت أحكامهم نحو الأخبار والمرويات.

يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره بيانا لمنهج الصوفية في قبول الحديث في كتابه "العهود المحمدية":

"أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهوّر في رواية الحديث بل نتثبت في كل حديث نرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرويه عنه إلا إن كان لنا به رواية صحيحة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينبغي لفقيه أن يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا إلا إن كان له به علامة يعرف بها أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إما من طريق النقل وإما من طريق سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الحديث، وقوله هو من كلامي يقظة ومشافهة، هذا كله فيما كان ضعيفا من طريق النقل أما ما صح من طريق المحدثين واستحسن فلا يحتاج إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم فيه."

وبالإضافة ذلك قد اختلف المحدثون وأصحاب الجرح والتعديل في كثير من القواعد الحديثية ولم يجمعوا على قول واحد لحكمة أرادها الله، فاختلفت أحكامهم على الأخبار تصحيحا وتضعيفا في كثير من المواضع، وتضاربت أقوالهم في نقد الرجال، حتى قسموا المجرِّحين أقساما: معتدلين ومتشددين وغير ذلك...

وإن اتفقوا على قول من الأقوال أو قاعدة من القواعد؛ اختلفت طرقهم في تطبيقها، بل الناظر البصير يقف على مجموعة من القواعد الاصطلاحية وضوابط التجريح والتعديل قد خالفها وأخذ بضدها جمع من المحدثين في أحكامهم على الحديث...وهذا يُشعر بأن هذا العلم الشريف ــ وإن كان من أعظم علوم الشريعة وأشرفها ــ فليس القول فيه واحدا، ولذلك ظهرت مناهج وطرق أخرى لتصحيح الأخبار وتضعيفها غير هذا، نذكر منها فيما يلي:

التصحيح والتضعيف بناء على الموافقة أو المخالفة للأصول الشرعية:

التصحيح والتضعيف بناء على الموافقة أو المخالفة للأصول العامة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية أو قررتها الأصول العامة، وهو أيضا من الطرق المستخدمة عند المحدثين بحيث ضعف جمع من الحفاظ أحاديث في أعلى درجات الصحة سندا لمخالفتها ومعارضتها أصلا قويا معلوما من الدين

بالضرورة، كما حصل في حديث خلق التربة للأرض يوم السبت المروي في صحيح مسلم، المناقض لعدد أيام خلق السماوات والأرض المذكور في القرآن بأنه ستة أيام، والذي أعله البخاري في "التاريخ الكبير" بأنه وهم بكونه من رواية الإسرائيليات.

وكذا رد كثير من العلماء من حديث مسلم أو أوّلوه ما رواه عن ابن عباس أنه قال: "كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلاق الثلاث واحدة فقال عمر رضي الله عنه قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم." لأنه مخالف لتصريح القرآن و إجماع الصحابة فقال فيه بعض المحدثين إنه من وهم طاؤوس.

وهنا ألقي في روعي سؤال وهو أن الحديث يرد إذا كان مخالفا للنصوص المحكمة مع صحة إسناده فلم لا يسوغ لنا أن نقبل الأحاديث المروية بأسانيد ضعيفة أو مبهمة لموافقتها القرآن والسنة الصحيحة؟

ولذلك يناسب لنا أن نكتب هنا كلاما بارعا دقيقا للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى:

> منها أن يقبل على العمل بأحاديث الفضائل كلها ولو قيل بضعف سندها فإنها لا تخرج عن الشريعة، حتى الأحاديث الموضوعة فإنه لولا شعاع الشريعة يشهد لها ما اهتدى الواضع لمعرفة اسم ذلك الحكم الذي وضع فيه الحديث فضلا عن دليله، وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: لا سبق إلا في خف أو حافر ــ الحديث ــ كيف زاد الواضع لبعض الخلفاء "أو جناح" حين كان يسابق بالطيور، فلولا ذكر الخف والحافر ما اهتدى لذكر الجناح.
>
> وكذلك لولا ما ورد من فضائل السور والأدعية ما وضع الواضعون في ذلك شيئا لعدم شيء يقيسون عليه، أما الموضوع المفضول فضلا عما دونه فلا يعبأ به، فما بقي عليه ـــ أي الواضع للفاضل من الأعمال ـــ من لوم إلا في عزو ذلك اللفظ بخصوصه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير ، فحكم الحديث الموضوع في العمل حكم أقوال المجتهدين المأخوذة من شعاع الشريعة سواء. (إرشاد الطالبين إلى مراتب علماء العاملين، ص: ١٠٨، دار الكرز بمصر)

التصحيح للخبر لتلقي الأمة له بالقبول:

وهذه طريقة معروفة في تطبيقات واختيارات أهل العلم قديما، ومنها الحديث المشهور: "لا وصية لوارث". الذي هو ضعيف من كل طرقه، لكنه معمول به ومقبول لدى علماء الأمة قديما وحديثا كما نقل الحافظ ابن حجر قول الإمام الشافعي في التلخيص الحبير فهو يقول : إنه لا يثبته أهل الحديث، ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخا لآية الوصية. (١/ ١٢).

قبول الحديث ورده عن طريق التجربة:

التصحيح والتضعيف عن طريق التجربة والواقع، هو أيضا مذهب جماعة من أهل العلم وكثير من الصوفية، وقد اعتمده الإمام الطبراني والنووي والسخاوي؛ فقد روى الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧رقم: ٢٩٠) بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم عونا وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم. وعلق عليه بقوله:" وقد جُرب ذلك"، وقال السخاوي في "الابتهاج بأذكار المسافر والحاج" (ص: ٣٩) : وسنده ضعيف، لكن قال النووي: إنه جرّبه هو وبعض أكابر شيوخه.

وقال العلامة محمد بن إدريس القادري (١٣٥٠ هـ) في "إزالة الدهش والوله عن المتحير في صحة حديث ماء زمزم لما شرب له": هذا الحديث صحيح متنا وسندا وتجربة وكشفا. (ص: ١٨٨)

قال المحدث الألمعي سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري في الأربعين العزيزية:

قد أذكر في هذه الأربعين بعض الأحاديث التي لا تبلغ درجة الصحيح والحسن، ولكنها لا تنزل مع ذلك عن درجة الضعيف المنجبر، إما بورودها من طرق تعضدها وترفعها إلى درجة الحسن لغيره، كما هو مقرر في علم الحديث، وإما بكون خبرها مطابقا للواقع، وذلك شاهد قوي لصدق راويها وإن لم يكن لها طريق آخر يشهد لها، وقد حكم الحفاظ على كثير من أحاديث الضعفاء بالثبوت لمطابقتها للواقع، وهذا معلوم عندهم ومقرر في كتبهم، بل إنهم ربما يعتمدون على التجربة في ثبوت الخبر وجواز العمل به، كما وقع منهم ذلك في حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة: اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار، الحديث رواه الحاكم في "المائة" له وغيرها، ومن طريقه البيهقي، وذكر الحاكم أن جمعا من رواته جربوه فوجدوه حقا. قال الحاكم: قد جربته فوجدته حقا، وذكره الحافظ المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب فقال بعد أن ضعّف سنده: والاعتماد في مثل هذا على التجربة لا على الإسناد، وهذا العمل منهم موافق للمقرر عندهم في المصطلح وعلوم الحديث، وذلك أنهم قرروا أن الراوي الضعيف الواهي قد يصدق ويأتي بالحديث على وجهه، فإذا ثبت ما يدل على صدقه ورواية الحديث على وجهه صُحّح حديثه وعمل به. (ص: ١٨)

قبول الحديث ورده عن طريق الكشف والإلهام:

التصحيح عن طريق الكشف والإلهام: هو مذهب معتبر عند السادة الصوفية وأنكره عليهم أهل الظاهر، ونبسط هذا الموضوع إن شاء الله تعالى بسطا غير ممل.

حقيقة الكشف ومعناه وأنواعه:

الكشف لغة : رفعك للشيء عما يواريه ، وكشف الأمر : أظهره.

وفي الاصطلاح : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجودًا أو شهودًا. (التعريفات للجرجاني:٩٧)

أنواع الكشف:

أ – رؤية النبي صلى الله علية وسلم:

يقول الغزالي: حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد.(المنقذ من الضلال: ١٤٠)

ب – رؤية الخضر عليه السلام:

يقول الإمام النووي: وحكاياتهم (أى المتصوفة) في رؤيته والاجتماع به.... أكثر من أن يحصر.
(شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٣٥ ط. احياء التراث، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ١٧٨ ط. الفكر)

ويقول ابن عطاء السكندري الشاذلي (ت / ٧٠٩) في الأخذ عن الخضر: واشتهر ذلك إلى أن بلغ حد التواتر.

ج – الإلهام: ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة. (التعريفات: ٣٤)

وسمي بـ"العلم اللدني" لأنه بلا سبب من العبد ولا استدلال. (مدارج السالكين ٣/ ٤٣١)

وقال أبو المواهب الشاذلي في رده على من أنكر "حدثني قلبي عن ربي" : لا إنكار ، لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء. (طبقات الشعراني: ٢/ ٦٨)

د – الفراسة: قال الواسطي: إن الفراسة: سواطع أنوار لمعت في القلوب، وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه، إياها؛ فيتكلم على ضمير الخلق.

وقال القشيري :كلما كان أقوى إيمانا كان أحدّ فراسة.(الرسالة القشيرية ٢/ ٤٨٠)

وقال أبو سعيد الخراز: المتوسم: هو الذي يعرف الوسم، وهو العارف بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} [الحجر: ٧٥] أي للعارفين بالعلامات التي يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه. (الرسالة القشيرية: ١٠٥)

وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ "اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله، ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ" (سنن ترمذي، أبواب التفسير تحت هذه الآية) وقال الترمذي عن بعض أهل العلم في تفسير {لِلْمُتَوَسِّمِينَ} : لِلْمُتَفَرِّسِينَ.

ويقول الغزالي: وما حكي من تفرس بعض المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر.

ولأهمية الفراسة عند المتصوفة فقد أفردوا لها أبوابا مستقلة في أمهات الكتب كالتعرف للكلاباذي والرسالة للقشيري والفتوحات المكية لابن عربي.

هـ – الهواتف: لفظ منظم يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة وقد يكون لأي امرء.

وقد أفرد الكلاباذي بابا مستقلا للهواتف في الباب السابع والستين من كتابه "التعرف لمذاهب أهل التصوف" وقال:

وهو لا يخلو عندهم أن يكون ملكا أو وليا أو صالحا أو الخضر أو الله عز وجل أو إبليس، ويكون تلقي الهاتف إما يقظة أو مناما أو بينهما.

ومن أمثلة الهواتف ما ذكر أبو يزيد البسطامي قال: قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف لي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب. (طبقات الصوفية للسلمي: ٦٩)

و – الإسراءات والمعاريج:

يقول الشعراني: قد صرح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء وبمثابة المنام يراه الإنسان ولكل إنسان منهم مقام معلوم لايتعداه وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة فكل مكان كشف له فيه الحجاب حصل به المقصود فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل ذلك من السماء الدنيا ومنهم إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش. (كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان، لوحة مخطوط: ١٢)

وإن ما ورد عن الصوفية في ذلك يحمل على المعراج الروحي.

ز – الكشف الحسي: هو الكشف عما وراء الحجب الحسية العلوية والسفلية والاطلاع على حقائق الموجودات إما بالبصر أو البصيرة . ويظهر أن مرادهم بالكشف على الإطلاق هو هذا النوع ، خاصة إذا قرن به غيره كقولهم الكشف والإلهام .

ويقول الغزالي : وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت، فبه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي

من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما. (إحياء علوم الدين : ٣/ ١٩)

ويقول أيضا: وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه وما خالف أوّلوه، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف. (إحياء علوم الدين : ١/ ١٠٤)

ح- الرؤى المنامية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الحسنة، من الرجل الصالح، جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. (صحيح البخاري، ٩/ ٣٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي. (صحيح مسلم، ٤/ ١٧٧٥)

ودليل عناية العارفين بها هو إفرادهم لها أبوابا في مصنفاتهم كالقشيري في رسالته ، والكلاباذي في التعرف، وقد ذكر الكلاباذي العادة التي قد تجري لمحمد الكتاني أنه كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة اثنين وخميس فيسأله مسائل فيجيبه عنها.

الأدلة اللامعة على حجية الكشف والإلهام والرؤيا الصادقة:

الأدلة التي يستشهد بها العلماء الربانييون ، ويستندون إليها لإثبات جواز العمل بالكشف والإلهام : لها أنواع ؛ منها الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار ، والتجارب ، والقصص ، والحكايات ، وغير ذلك.

وقد أورد الإمام الغزالي مبحثا في إحياء علوم الدين بعنوان: "بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ، ولا من الطريق المعتاد" وساق تحته ما يراه من شواهد تؤيد دعواه وبعد إيراد هذه الشواهد والأدلة قال: "فهذه شواهد النقل ، ولو جُمع كل ما ورد فيه من الآيات، والأخبار، والآثار، لخرج عن الحصر. (٣/ ٢٤)

ولما أن كان الأمر كذلك فإن المناسب هو الاقتصار على بعض الدلائل والشواهد، وبخاصة من الكتاب والسنة وأهم الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

الكشف في القرآن الكريم:

وفي البداية نذكر من كشف الأنبياء والأولياء السابقين ما جاء في تنزيل العزيز والإلهام إلى غير

الإنسان وكذلك من كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي منحه الله إياه، على أن الكشف والإلهام له وللأنبياء ــ عليهم الصلوات والتسليم ــ معجزة، وللصحابة والأولياء من بعده كرامة، وكلُّ كرامة لولي معجزةٌ لنبيه صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الله عليه السلام: وكذلِكَ نُري إبراهيمَ مَلكُوتَ السمواتِ والأرضِ ولِيَكُونَ مِنَ الموقنين.(الأنعام: ٧٥)

وكذلك ما أخبر الله عز وجل عن الخضر عليه السلام، حين صحبه موسى عليه السلام في المسائل الثلاثة:

الأولى: انكشف للخضر أن السفينة التي ركبها مجاناً في طريقهم عبر البحر، سيأخذها ملك غاشم ظلماً، فخرقها ليعيبها ولينقذها من شر ذلك الغاصب، مكافأة للمعروف بالمعروف ولذلك قال تعالى على لسان الخضر عليه السلام : أمَّا السفينَةُ فكانتْ لمساكينَ يعمَلُونَ في البحر فأردْتُ أنْ أعيبَها وكانَ وراءهم مَلِكٌ يأخُذ كلَّ سفينَةٍ غَصْباً (الكهف: ٧٩)

الثانية: كُشف له عن الغلام ؛ أنه إن بقي حياً فسيقتل أبويه في كبره، ويوقعهما في الكفر، فقتله رحمة بأبويه المؤمنيْن، واستجابة لإرادة الله تعالى بإبداله بخير منه زكاةً ورحمة كما في التنزيل: وأمّا الغلامُ فكانَ أبواهُ مؤمنينِ فخشينا أنْ يُرهِقَهما طُغياناً وكُفراً . فأردنا أن يُبدِلَهُما رَبُّهما خيراً منه زكاةً وأقرب رُحْماً. (الكهف: ٨٠ـ٨١)

الثالثة: كشف له الكنز الذي كان تحت الجدار، وكان لغلامين يتيمين من أب صالح، فأقام الجدار حفظاً للكنز، ورحمةً للغلامين، ومحبةً لأبيهما الصالح، بلا أجر وعوض، مروءةً وإخلاصاً: وأمّا الجدارُ فكانَ لغُلامينِ يتيمينِ في المدينة وكان تحتهُ كنزٌ لهما وكانَ أبوهما صالحاً فأرادَ ربُّكَ أنْ يبْلُغا أشُدَّهما ويَسْتَخرِجا كنْزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ. (الكهف: ٨٢)

هذه نماذج من القرآن الكريم لمكاشفات الأنبياء وإلهاماتهم ــ عليهم الصلاة والتسليم ــ وإليكم نماذج أخرى من القرآن الكريم لإلهام الله إلى عباده الصالحين وإلى العجائب من الحيوانات والجمادات.

أما الإلهام إلى الإنسان في القرآن الكريم فقد قال تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (القصص: ٧)

أي عرفت بلا نظر منها ولا استدلال أن حياة موسى في الإلقاء في البحر ولم يكن ذلك وحيا بملك تكلم بل علمت بذلك عن طريق الإلهام وكان حقا.

وأما الإلهام إلى الحيوان فقال تعالى: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ

وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. (النحل : ٦٨-٦٩)

أي ألهمها حتى عرفت مصالحها فإذا كان الجائز بل الواقع أن تلهم النحلة الضعيفة فما هو المانع من الإلهام إلى العبد المؤمن الصالح بل هو أولى له منها.

وقد ألهم الله عز وجل إلى الجماد ، وهذا أيضا في القرآن ، يقول تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا. (الزلزلة: ١-٥)

أي أخبر عز وجل أن الأرض تبين ما حدث عليها من الواقعات والأخبار وذلك بإلهامها من الله تبارك وتقدس فالمؤمن أولى وأحق بذلك في الدنيا والآخرة.

هذه القصص والأخبار تدل على أن للكشف والإلهام حقيقة واقعية لا ينكره أحد من علماء الإسلام وأصحاب الدين والشريعة ولا ينكرون أيضا أن يعطي الله المؤمنين المتقين فرقانا ورحمة ومخرجا وأن يقذف في قلبهم نوراً يكشف لهم الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ، والصحيح وغير الصحيح ، وما ينبغي وما لا ينبغي.

والمعلوم بأن الصلاح والتقوى ونور الهداية والتوفيق من الله تعالى، وبدونه لا يهتدي أحد من العالمين إلى الصراط المستقيم ولا سبيل لأحد إلى معرفة الله لولا هداه كما أشار إليه في التنزيل العزيز: وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ (الأعراف: ٤٣)

وقال أيضا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. (سورة الأنفال: ٢٩)

وقال تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا. (الشمس: ٧ – ١٠)

وقال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٢، ٣)

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (الحديد: ٢٨)

وقال تعالى: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ. (الزمر: ٢٢)

أخبر عز وجل في هذه الآيات أنه عرف النفس التقوى ونور المعرفة والفرقان بين الحق والباطل والمخرج إلى سواء السبيل بالإيقاع في القلب وهو الإلهام فيكون حجة.

الكشف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:

إن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مملوءة ومزينة بالوحي المتلو ــ يعني بواسطة جبريل عليه السلام ــ وغير المتلو ــ يعني مباشرة من الله بدون واسطة الملك ــ وهو معجزة خالدة.

وإليك بعض النماذج التي تتعلق بالكشف والإلهام ــ يعني الوحي بدون الواسطة لدلالة وراثة قلوب العارفين الذين ورثوا هذا العلم الشريف.

عن أنس رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: أقيموا صفوفكم وتراصُّوا، فإِني أراكم من وراء ظهري (رواه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب الجماعة، ومسلم في كتاب الصلاة)

ولما كان الكشف بعيداً عن عالم الحس، انمحى أمامه المقياس الزماني والمكاني، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يستوي عنده في الرؤية والقرب والبعد:

يقول أنس رضي الله عنه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، وجعفراً وابن رواحة، ورفع الراية إِلى زيد، فأُصيبوا جميعاً، فنعَاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلى الناس قبل أن يجيءَ الخبر، فقال: "أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب، وإِن عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إِمرة، فَفُتِح له" (رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز وكتاب المناقب). قاله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة مؤتة.

هذه للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن العارفين ورثوا خزنة هذا العلم المكنون والمصدور وأشار إليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله : "قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر بن الخطاب منهم." قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه)

وكذا قال صلى الله عليه وسلم لواصبة بن معبد الأسدي :"يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك" ثلاث مرات، وقال: "البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" (مسند أحمد: ٢٩/ ٥٣٣) فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادة القلب بلا حجة، أولى من الفتوى بالحجة.

بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضابطًا في قبول الحديث ورده، فقال عليه السلام : "إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر أشعاركم، وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه " (مسند أحمد : ٢٥/ ٤٥٦) وهذا العرفان والهداية والنور في القلب من الله تعالى لا غير.

وذات مرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة : «كيف أصبحت يا حارثة؟» فقال: أصبحت مؤمنا بالله تعالى حقا قال: «انظر إلى ما تقول فإن لكل قول حقيقة» ، فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فكأني بعرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاورون فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصرت فالزم» ، وفي رواية: «أصبت فالزم، عبد نور الله تعالى الإيمان في قلبه» ، فقال: يا رسول الله ادع الله تعالى لي بالشهادة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنودي يوما في الخيل: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب، وأول فارس استشهد، فبلغ أمه، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أخبرني عن ابني، فإن يك في الجنة فلن أبكي، ولن أجزع، وإن يكن غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا قال: «أم حارثة، إنها ليست بجنة، ولكنها جنة في جنان، والحارثة في الفردوس الأعلى» ، فرجعت، وهي تضحك، وتقول: بخ بخ لك يا حارثة.

(رواه البزار في مسنده ١/ ٢٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٥٨، والطبراني في الكبير ٣/ ٣٠٢، والكلاباذي في بحر الفوائد ص: ١٠١ بإسناد ضعيف)

فأخبر في هذا الحديث أن من عمل بما علم نور الله تعالى قلبه، ومن نور الله تعالى قلبه كوشف عن كثير من أحوال الغيب، وعلم ما لم يتعلم من جهة اليقين فيما تعلم.

عمل الصحابة على الكشف

الكشف وراثة محمدية صادقة، وَرِثَه أصحابه رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين بسبب صدقهم وتصديقهم وصفاء سريرتهم، فأحيانا عملوا عليه عند الضرورة بأمر الله وإذنه، فنذكر هنا بعض المكاشفات التي عمل الصحابة بها.

عن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري، كيف نصنع؟ أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا أرسل الله عليهم السنة، حتى والله ما من القوم من رجل إلا ذقنه في صدره نائما، قالت: ثم كلمهم من ناحية البيت، لا يدرون من هو، فقال: "اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه". قالت: فثاروا إليه، "فغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قميصه يفاض عليه الماء والسدر، ويدلكه الرجال بالقميص"، وكانت تقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه.

(مسند أحمد، ٤٣/ ٣٣٢، وأبو داود ، رقم:٣١٤١ ، وابن ماجه رقم: ١٤٦٤ إسناده حسن)

قال التاج السبكي رحمه الله تعالى: كان عمر رضي الله عنه قد أمَّرَ سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهونـد وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: يا سارية! الجبل. من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، قال العجلوني: وإِسناده كما قال الحافظ ابن حجر: حديث حسن (ج:٣، ص:٣٨٠). فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين، وهم على باب نهاوند صوتَ عمر، فلجؤوا إِلى الجبل، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا.

قال الإمام السخاوي في هذه الواقعة :وهي عند البيهقي في الدلائل واللألكائي في شرح السنة، والدير عاقولي في فوائده، وابن الأعرابي في كرامات .... وهو كما قال شيخنا إسناد حسن.

(المقاصد الحسنة ، ص: ٧٣٧)

وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى: لم يقصد إِظهار الكرامة، وإِنما كُشِف له، ورأى القوم عياناً، وكان كمن هو بين أظهرهم حقيقة، وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين، فخاطب أميرهم خطاب مَنْ هو معه. (طبقات الشافعية الكبرى ، ٢/ ٣٢٤)

ففي هذه القصة شيئان:

الأول: الكشف الصحيح والرؤية العيانية على بعد آلاف الأميال، وأين التلفزيون في مثل هذه القصة الواقعة قبل أربعة عشر قرناً ؟

الثاني: إِبلاغ صوته ساريةَ على هذا البعد الشاسع وعمل سارية على وفق هذا الصوت.

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال: "إِنْ كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكْذِبُه الكِذبة فيقول: احبس هذه، ثم يحدثه بالحديث فيقول: احبس هذه، فيقول له: كل ما حدثتُك حق إِلا ما أمرتني أن أحبسه" (تاريخ الخلفاء للعلامة جلال الدين السيوطي ص١٢٧ـ١٢٨)

وأخرج عن الحسن قال: إِن كان أحد يعرف الكذب إِذا حُدّث فهو عمر بن الخطاب.

(تاريخ الخلفاء للعلامة جلال الدين السيوطي ص١٢٧ـ١٢٨)

ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه رجل، كان قد لقي امرأة في الطريق، فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم، وفي عينيه أثر الزنا ؟ فقال الرجل: أوحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن.

وإِنما أظهر عثمان هذا تأديباً للرجل، وزجراً له عن شيءٍ فعله. (طبقات الشافعية ٢/ ٣٢٧)

عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنط، ولبس ثوبين أبيضين، فكفن فيهما، وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر من صنيع هؤلاء، بئس ما عودتم أقرانكم ! خلوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل، فقاتل حتى قتل، وكانت درعه قد سرقت، فرآه رجل في النوم، فقال له: إنها في قدر تحت إكاف، بمكان كذا وكذا، وأوصى بوصايا، فنظروا فوجدوا الدرع كما قال. وأنفذوا وصاياه.

هذا خبر صحيح صححه الحاكم ووافقه الذهبي. (مستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب ثابت بن قيس رضي الله عنه، ٣/ ٢٦٠)

فانظر كيف استمع الصحابة وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنهم، إلى رؤيا منامية من واحد منهم فعملوا بها، فها هي رؤيا صحابي وكشف الصديق ومن معه بأنها رؤيا حق، فانظر كم بابا فقهيا وحكما شرعيا تم تنفيذه بناء على هذه الرؤيا المنامية وهذا نوع من الكشف، فحكموا بأن الدرع التي وجدوها لثابت بن قيس فحكموا بملكه لها برؤيا، ثم حكموا بأنها ميراث لأهله، ثم أخذوا من ميراثه وتركته وقضوا ديونا بمقادير معينة ولأناس معينين لا إثبات عليها سوى هذه الرؤيا، ثم انظر كيف أعتق الغلام بناء على رؤيا ولم يعتبر من الإرث والتركة .. فانظر إلى كل هذه الأحكام الشرعية والأبواب الفقهية كيف نتجت بناء على رؤيا منامية وهي أخت الكشف عندالمنكرين وأشد منها في رأيهم.

ولو أردنا أن نستقصي تراجم الصحابة الكرام رضي الله عنهم في كشفهم وفراستهم، لخرجنا عن موضوعنا في بحثنا هذا. وكذا قد اجتنبنا ههنا عن بيان كشوف التابعين والعارفين إقتصارا على ما ذكرنا.

من أقوال المحدثين والصوفية على حجية الكشف والإلهام في الأحكام:

قال العلامة عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى عند شرحه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر." (أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة ومتعة نعيمها) وإنما أَحبَّ إِسماعهم عذاب القبر دون غيره من الأهوال لأنه أول المنازل. وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومَنْ كُوشف بما لا يطيقه هلك.

تنبيه: قال بعض الصوفية: والاطلاع على المعذَّبين والمنعَّمين في قبورهم واقع لكثير من الرجال، وهو هول عظيم، يموت صاحبه في اليوم والليلة موتات، ويستغيث ويسأل الله أن يحجبه عنه، وهذا المقام لا يحصل للعبد إلا بعد غلبة روحانيته على جسمانيته، حتى يكون كالروحانيين. فالذين خاطبهم الشارع هنا هم الذين غلبت جسمانيتهم لا من غلبت روحانيتهم، والمصطفى صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم بما يليق بهم. (فيض القدير، شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ٥/ ٣٤٢)

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير عند قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ لكل قوم فراسة، وإِنما يعرفها الأشراف": (قاعدة الفراسة وأُسُّها: الغض عن المحارم، قال الكرماني: من عمّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوم المراقبة، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المخالفات، واعتاد أكل الحلال لم تخطىء فراسته ابداً. اهـ فمن وُفِّق لذلك أبصر الحقائق عياناً بقلبه)

(فيض القدير للمناوي ج٢. ص٥١٥).

واعتمد الحافظ العجلوني على الكشف في تصحيح الحديث وتضعيفه بقوله:

والحكم على الحديث بالوضع أو الصحة أو غيرهما، إنما هو بحسب الظاهر للمحدثين باعتبار الإسناد أو غيره، لا باعتبار نفس الأمر والقطع؛ لجواز أن يكون الصحيح مثلا -باعتبار نظر المحدث- موضوعا أو ضعيفا في نفس الأمر، وبالعكس ولو لما في الصحيحين على الصحيح، خلافًا لابن الصلاح كما أشار إلى ذلك الحافظ العراقي في ألفيته بقوله:

واقطع بصحة لما قد أسندا .... كذا له وقيل ظنا ولدي

محققيهم قد عزاه النووي .... وفي الصحيح بعض شيء قد روي

نعم المتواتر مطلقًا قطعي النسبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- اتفاقًا، ومع كون الحديث يحتمل ذلك فيعمل بمقتضى ما يثبت عند المحدثين ويترتب عليه الحكم الشرعي المستفاد منه للمستنبطين، وفي الفتوحات المكية ما حاصله: فرب حديث يكون صحيحا من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح لسؤاله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيعلم وضعه ويترك العمل به، وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه، ورب حديث ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع في رواته يكون صحيحًا في نفس الأمر لسماع المكاشف له من الروح حين إلقائه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انتهى. (كشف الخفاء ١/ ١٤)

وكذا قال الحافظ الغماري باحثا عن طرق معرفة الحديث الموضوع:

العمدة في معرفة الحديث الموضوع على أمرين:

أحدهما: وجود الراوي الكذاب في سنده مع تفرده به أو مع متابعة كذاب أو ضعيف هالك مثله.

ثانيهما: وجود النكارة الظاهرة في متنه بركاكة اللفظ، أو مخالفة المعنى للثابت المعروف، وغرابته عن الأمر المألوف، إلا أن ذوي الحذق بالصناعة والنظر الصائب في الحديث، قد يحكمون أحيانا بوضع الحديث لمعنى ينقدح في باطنهم، لنفورهم منه عند سماعه، كما قال النبي صلى ا لله عليه وسلم: إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم

به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه، فهذا شاهد لهم في حكمهم بوضع الحديث لمجرد السماع وإن كان سنده ظاهره صحة، إلا أن ذلك لا يقبل ولا يوجد إلا ممن مارس الحديث و خدمه حتى ذاق طعم الألفاظ النبوية، وامتزج لها وسرها بلحمه ودمه فصارت روحه تقبل الحديث الصحيح واللفظ النبوي، وتميل إليه لمجرد سماعه، وتنفر من الحديث الباطل، وتنكره قبل النظر في سنده، ومن هنا يدخل الغلط على بعض من لم يتذوق هذا المعنى، أو يعمل عليه من أهل الحديث فيحكمون بصحة الأحاديث الباطلة في نفس الأمر، ويبطلون بعض الأحاديث الصحيحة كذلك، جمودا منهم على ظاهر الإسناد، وهم في الواقع معذورون، لأن ليس بيدهم دليل يعتمدون عليه غيره، لكن الحديث المذكور يأمر بخلاف ذلك، ويجعل العمدة في قبول الحديث ورده على معرفة القلب وقبوله، وميل الروح من المحدث الذي امتزجت السنة بروحه مع نور القلب وصفاء الذهن وحسن الإدراك، لامن غيره كالفقهاء والوعاظ والصوفية ونحوهم؛ فإنه لا عبرة بميل قلوبهم وبإنكارهم، إلا من كان من العارفين أهل الكشف الصحيح والبصيرة النافذة بنور الله تعالى، لا من دونهم لعدم مخالطتهم للحديث وفقدان الفراسة الإلهية فيه، فكم حديث صححه الحفاظ وهو باطل بالنظر إلى معناه ومعارضته للقران، أو السنة الصحيحة، أو مخالفة الواقع والتاريخ. وذلك لدخول الوهم والغلط فيه على المعروف بالعدالة، بل قد يتعمد الكذب، فإن الشهرة بالعدالة لاتفيد القطع في الواقع. (المغير:١٣٦-١٣٨)

بل كثير من المحدثين والمشايخ اعتمدوا على الكشف والإلهام الصوفي في قبول الحديث ورده وقالوا : "هذا الحديث صحيح عندنا"، أو "وقد صح كشفا" أو غير ذلك...

وقد تعرض المحدثون للإلهام عند كلامهم عن علل الحديث، فقد نقل الحاكم عن ابن مهدي قوله : إن معرفة علة الحديث إلهام، فلو قلت للعالم بعلل الحديث من أين قلت هذا لم يكن له حجة، أي لم تكن له حجة يعبر بها غالبا وإلا ففي نفسه حجج للقبول وللرفض (فتح المغيث :١/ ٢١٩)

ثم أسند الحاكم إلى أبي زرعة ان رجلا سأله : ما الحجة في تعليلكم الحديث قال: الحجة أن تسألني عن حديث له علة فاذكر علته ثم تقصد ابن وارة فتسأله دون أن تخبره أنك سألتني فيذكر علته ثم تقصد أبا حاتم فيعلله ثم ميز بين كلامنا على ذلك الحديث فان اتفقنا فاعلم حقيقة هذا العلم وإن اختلفنا فاعلم ان كلا يتكلم على مراده ففعل الرجل فاتفقت كلمتهم فقال اشهد أن هذا العلم إلهام.
(علوم الحديث للحاكم: ٢٥٢، تدريب الراوي: ١/ ١١٢)

قال ابن مهدي: في معرفة علة الحديث إلهام، لو قلت للعالم بعلل الحديث: من أين قلت هذا؟ لم

يكن له حجة، وكم من شخص لا يهتدي لذلك.

وقيل له أيضا: إنك تقول للشيء: هذا صحيح، وهذا لم يثبت، فعمن تقول ذلك؟ فقال: أرأيت لـو أتيت الناقد، فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد، وهذا بهرج، أكنت تسأل، عن من ذلك، أو تسلم له الأمـر؟ قال: بل أسلم له الأمر، قال: فهذا كذلك، لطول المجالسة والمناظرة والخبرة. (تدريب ١/ ٢٩٦)

مع الرغم من هذه الأدلة من الآيات والأحاديث والآثاروأقوال العلماء الربانيين اختلـف معظـم أهل الحديث وأهل الظاهر في حجية الكشف والإلهام في أحكام الشريعة ولكن بعض منهم لم ينفوا نفيـا كليا ولم ينكروا إنكارا مطلقا بل نفيهم منصب على اعتداده أصـلا ودلـيلا شرعيـا مسـتقلا بـل سـلموه عضدا وتقوية للدليل الشرعي أو ترجيحا بين الأدلة المتعارضة وإليك التفصيل فيما يلي:

الإمام عبد الله بن أحمد النسفي : قبل الإمام النسفي حجية الإلهام في الأحكام للملهم عند فقـد الأدلة الشريعة الأربعة ، وهو يقول:

والإلهام عند عدم الدلائل الأربعة يكون حجة في حق الملهم لا في حق غيره كـالتحري. (كشـف الأسرار للنسفي ٢/ ٣١٦)

الشيخ ابن تيمية الحراني : أنكر ابن تيمية كون الإلهام دليلا مستقلا ولكـن قـرره لترجـيح أحـد الفعلين عند التردد والتعارض بين الأدلة و في فتاواه بحث عليه مفصلا، وأقام الدليل على حجيــــــة الإلهام بأدلة قاطعة وفيه يقول:

والذين أنكروا كون الإلهام طريقا على الإطلاق أخطؤوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الإطلاق. ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا وألهم حينئـذرجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى فإلهام مثل هذا دليل في حقه ؛ قد يكون أقوى من كثـير من الأقيسة الضعيفة ؛ والأحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه. (مجموع الفتاوى ،١٠/ ٤٧٣)

وكذلك يستند ابن تيمية إلى الإلهام وإن لم يوجد ما يعضده عند فقد الحجـج كلهـا وفي مـا يجـوز العمل به من غير علم ، يقول في مقام :

كثير من أهل الإيمان والكشف يلقى الله في قلبه أن هذا الطعام حرام أو العكس بأن يلقى في قلبه بأن هذا الطعام حلال من غير دليل ظاهر بل بما يلقي الله في قلبه، وأمثال ذلك كثير مما لا يستبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين. (مجموع الفتاوى، ٤٧ / ١٥٢)

العلامة يوسف بن عبد الله القرضاوي : أقر الإلهام لفهم الكتاب والسنة بدون تسليم الأصل من

الأصول الثابتة ، قال في كتابه : لا نزاع في أن يكشف الله لبعض المتقين من عباده من حقائق العلم وأنوار المعرفة في فهم كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بمحض الفيض الإلهي والفتح الرباني بينما يلهث كثيرون ليحصلوا عليه بالمذاكرة والتحصيل فلا يظفرون بها يدانيه. (موقف الإسلام من الإلهام، س:٣٠)

العلامة إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي الشاطبي: أثبت الإلهام بالشروط الآتية:

(١) أن يكون فى أمر مباح (٢) أن يكون العمل عليه لفائدة يرجو نجاحها (٣) أن يكون فيه تحذير أو تبشير ليستعد لكل عدته

وبعد بيان الشروط قال: وعلى الجملة فالشرط المتقدم لا محيص من اعتباره فى العمل بمقتضى الخوارق (كالإلهام والكشف).

هولاء العلماء الذين أقروا كون الإلهام مع الشروط المختلفة حجة في الأحكام فهذا دليل على أن الأحاديث المروية من العارفين بالكشف ولم توجد عند المحدثين هي أيضا حجة لتقوية الأحكام ولتنوير القلوب وتزكية النفوس.

حدود قبول الكشف وشرائطه:

ومن تلك المسائل التي هي أصل الخلاف في مذهب الحكم على الأحاديث بالكشف والإلهام: الخلاف في حدود الإلهام والكشف كما وضح بما سبق الآن، فالعمل بالتصحيح والتضعيف عند أرباب هذه الطريقة رضي الله عنهم، مشروط بشروط عندهم ومضبوط بضوابط:

الأول: أهمها عدم معارضته للأصول العامة التي دلت عليها الأدلة الكلية ولم يكن من باب الاعتقاد والحلال والحرام بل الأحسن أن يكون الحديث الكشفي مؤيَّدا من السنة النبوية الثابتة و مدللا من أقوال الصحابة والتابعين.

الثاني: أن الإلهام حجة للملهم ومتبعيه ولا للغير.

الثالث:أن الكاشف الذي يصحح الحديث بمكاشفته ينبغي أن يكون من المشايخ المحققين الذين يعتمد عليهم وعلى إتقانهم وثقتهم وديانتهم مشايخ زمانه بدون الخلاف.

الأحاديث الثابتة بالكشف:

الأحاديث المروية بالكشف قليلة جدا بالنسبة إلى الصراحة بأن هذا الحديث مروي أو ثابت بالكشف وإلا المشايخ والعرفاء لا يحدثون حديثا بدون الرواية الثابتة بمنهج الحديث أو بالكشف كما هو قول الشيخ علي الخواص:

لا ينبغي لفقيه أن يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا إلا إن كان له به علامة يعرف بها أن ذلك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إما من طريق النقل وإما من طريق سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الحديث . وقوله هو من كلامي يقظة ومشافهة، هذا كله فيما كان ضعيفا من طريق النقل أما ما صح من طريق المحدثين واستحسن فلا يحتاج إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم فيه.

فالحديث المروي بصيغة الجزم عن العارفين بدون الإيضاح بأنهم أخذوه بالنقل أوالكشف فهو بالكشف على صراحة الشيخ علي الخواص فإن العارف أفقه الناس في العالم لاسيما الإمام الغزالي هو أعلم وأفقه فإنه نقل الأحاديث في الإحياء ما لا أصل لها عند المحدثين كما أشار إليه تقي الدين السبكي في الطبقات الشافعية الكبرى وزين الدين العراقي في المغني.

وإليكم بعض الأحاديث قيل فيها بالصراحة أنها مروية بالكشف؛

(١) قال الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي قال: قابلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن الحديث المشهور "اذكروا الله حتى يقولوا مجنون"

وفي رواية صحيح بن حبان بلفظ: "أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون".

فقال عليه الصلاة والسلام : صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي "اذكروا الله" فاني قلتهما معاً مرة قلت هذا ومرة قلت هذا" (الطبقات الكبرى٢/ ٦٨)

(٢) حديث "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

قال الشعراني: وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المحدثين فهو صحيح عند أهل الكشف (الميزان الكبرى:١/ ٣٠)

(٣) عن عبد الله بن أسعد اليافعي الصوفي المغرق (المتوفى: ٧٦٨ هـ) قال:

أخبرني بعضهم أنه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء وأكثر ما يراهم ليلة الجمعة وليلة الاثنين وليلة الخميس وعد لي جماعة كثيرة من الأنبياء وذكر أنه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيه حول الكعبة ويجلس معه أتباعه من أهله وقرابته وأصحابه وذكر أن نبينا صلى الله عليه وسلم يجتمع عليه من أولياء الله تعالى خلق لا يحصى عددهم إلا الله ولم تجتمع على سائر الأنبياء وذكر أن إبراهيم وأولاده يجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه المعروف وموسى وجماعة من الأنبياء بين الركنين اليمانيين وعيسى وجماعة منه في جهة الحجر ورأي نبينا صلى الله عليه وسلم جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيته وأصحابه وأولياء أمته وحكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثاً

فقال له الولي :هذا باطل فقال: الفقيه من أين لك هذا.؟ فقال :هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث (الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي :٢٩٧).

واكتفيت بهذا القليل والأمر إلى الله والهداية منه قال الله تعالى : قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (الإسراء: ٨٤).

وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم المولى ونعم النصير.

*****

الرسالة المكية تهدي إلى المعرفة بأنواعها

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / إبراهيم صلاح الهدهد
نائب رئيس جامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عظيم الشان، جليل البرهان، الممتن على عباده بالإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام، إمام الأنبياء وسيد الأتقياء، وبعد

فإن مجلة ''الإحسان'' تتحف قارئيها، وتغذي بهذا السفر النفيس، الكاشف عن معنى السلوك والوصال، وطرائقهما، وعلوم الأحوال، وحاجات المريدين، وصفات الشيخ، وطرائق اختياره، وظهور الأنوار من وراء الأستار، والطريق الممهود إلى حصول المقصود من رضا رب الوجود، وضرورة الخلوة، لحصول الجلوة، ومناهج الأنبياء والمرسلين، في اعتزال العالمين في الخلوات، وبها تحصل المجاهدات، كما عرج هذا السفر النفيس على طرائق الذكر والتلقين، وشرائط الذكر وفضائل الذاكرين عند رب العالمين، كما أنه يهدي إلى تدريب المريد على صرف الشيطان المريد، كما عرض للخواطر وسوانحها، والمشايخ وشرائطها، وكل ذلك على نور من الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح.

كما أن هذا السفر يمتعك بما يجب على السالك إلى رب الممالك، كاشفا عن مقاماته، مبينا آدابه، ومحاوراته، منبها إلى احترام المريد شيخه ظاهرا وباطنا، واغتنامه أفضل الأوقات وحسن استثمارها، وبين أهمية ترويض النفس على المجاهدة، ومراعاة النفس وأخلاقها، وأهم الطرائق في كبح جماحها.

وهذا السفر يهدي إلى المعرفة وأنواعها، وما يجب على السالك في شأنها، وفرّق بين الحق والحقيقة في اصطلاح الصوفية، وعقد بابا في الوصية، وكشف عن معنى الوصل، وأركان الوصال، ودور المكاشفات في حياة السالك والمجاهدة إلى آخر ذلك من رياضات النفس التي بها يرقى السالك معارج القبول، وينخرط في سلك العارفين، ويرتاد بستان المحبين، وقد جاء ذلك كله في أسلوب جذاب ميسور، ولفظ قريب مقبول بأخصر طريق إلى تحقيق المقصود.

هذا، ولقد وفى محقق الكتاب الأستاذ غلام مصطفى الأزهري هذا الكتاب حقـه، وبـذل جهـدا طيبا يذكر له فيشكر عليه، إذ جعل هذه النسخة نتيجة مقابلة لنسخ كثيرة للكتـاب بلغـت سـت نسـخ، وكانت عنايته بالنص ذاته، فجاء النص دقيقا، ولم يكن شأنه شأن بعض المحققين الذي يعتني بالحاشـية ويثقل كاهله، ولكنه كان يحشّي بالقدر الذي يعين على فقه النص، فكانت صحة النص غرضه الأسمى، ومقصده الأسنى، كما يحمد له ضبط الآيات وإثباتها بالرسم العثماني، كما اعتنى بضبط النصوص النبوية، وعني بعزوها، وبيان درجتها في كثير من الأحيان، كما كان اهتمامـه بعلامـات الترقـيم المعينـة عـلى فقـه النص واضحا جليا، وإني أزجي الشكر لمن اختار هذا السفر ليكون عدد المجلة الثاني، كما أقـدم جزيـل الشكر لمن حقق، ولكل القائمين على مجلة الإحسان، أسكنهم الله جميعا دار الجنان، ورزقهم حب النبـي العدنان، إنه ولي ذلك والقادرعليه.

*****

كتاب جامع لكل ما يلزم السالك معرفته

فضيلة الأستاذ / حسن نجار محمد

كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد :

فإن كتاب " الرسالة المكية " للشيخ العالم الرباني قطب الدين الدمشقي، من أمتع كتب التصوف، فهو كتاب جامع لكل ما يلزم السالك معرفته، فلا يسع طالب التصوف المبنيّ على العلم والفقه إلا معرفة كل ما جاء في هذا الكتاب، فهو كتاب يغني عنه غيره في الوقت الذي لا يغني غيره عنه!!

وممّا يلفت النّظر أن المؤلف يبني كلامه في مبادئ التصوف على أصول من الكتاب والسنة، ويربط بين تلك المبادئ وهذه الأصول بطريقة سَلِسَة، مثل قوله: قال بعضهم: " العمل بحركات القلوب أشرف من العمل بحركات الجوارح؛

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لَرَجَحَ " ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما فاق أبو بكر بكثرة الصلاة والصيام ولكن بشيءٍ وقَر في قلبه "؛ ولهذا ظهر من حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر من حال غيره حين صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت" .

ومثل قوله: " اعلم أن الإنسان عبارة من جملة ظاهره وباطنه، ولكل واحد منهما لباس يختص به ؛ قال الله تعالى: (ولباس التقوى ذلك خير) " الأعراف ٢٦ "، أما ظاهره فالبدن، ولباسه ما أجازته الشريعة، وهو الخرقة ....." .

والكتاب بتلك المقاربات الربانية بين تلك النصوص ومبادئ التصوف، مقاربات مبنية على فهم صحيح ونظر ثاقب يستمدّ صاحبه من عطاءٍ ربانيٍّ ونور إلهيٍّ !!

ولن يستقم أمر التصوف وأتباعه إلا باتباع وتطبيق مثل ذلك المنهج.

وأسلوب المؤلف غاية في التقريب والتيسير، ففي كثير من المواطن يعتمد على الأسلوب الحواريّ المبنيّ على طرح سؤالٍ والإجابة عنه ؛ مثل قوله : " فإن قيل: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ؛ يقال – والله أعلم– أراد به ثمرة الإسلام" ؛

وخلاصة القول أن من أراد أن يعرف التصوف الصحيح المبنيّ على أصول من الكتاب والسنة فعليه إدماء قرأة هذا الكتاب !!

ويرجع الفضل – بعد الله تعالى – في إخراج هذا الكتاب إلى العلامة النوراني الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي، شيخ الجامعة العارفية في الهند، فله الشكر، وجزاه الله خيرا على جهوده المتواصلة للتعريف بالتصوف الصحيح.

يوم الإثنين ١٨ شعبان ١٤٣٥ هـ

١٦ / ٦ / ٢٠١٤ من الميلادي

رسالة جامعة في علم التصوف

فضيلة الشيخ السيد الشريف أ. د. / شميم الدين أحمد المنعمي

رئيس قسم اللغة العربية، كلية أورينتل بجامعة مَجَد، ونقيب الزاوية المنعمية، بتنا، بيهار، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده و نصلي ونسلم على رسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه وأولياء أمته أجمعين.

الحمد لله على أن "الإحسان" قد أشرفت على طباعة نص "الرسالة المكية"، ولقد كنت تمنيت منذ أمد بعيد أن تطبع هذه الرسالة ولكن لم يتأت ذلك، وقد طالعت هذه الرسالة بادئي بدء باللغة الأردية وكان عنوانه "إمداد السلوك" ولكن في الطبعة الأردية اختلط أصل الرسالة فيما بين الترجمة والشرح والتلخيص اختلاطا يكاد يخفي حقيقتها، وتصعب معها المعرفة بالرسالة الأصلية ثم رأيت الشرح للرسالة المكية الذي ألفه الشيخ سعد الدين الخير آبادي باسم "مجمع السلوك" فقرأته، واستفدت منه، فصرت مغرما ومعجبا به، وهائما مستهامًا له، ولا تسأل عن فرحي وطربي حينما اتصل بي الأخ العزيز ذ يشان أحمد المصباحي والأخ البار مجيب الرحمن العليمي بالجوال وأخبراني عن طباعة الرسالة وأرسلاها إلي بالبريد الإلكتروني فاستغرقت في مطالعة النص المحقق للرسالة المكية واستفرغت أوقاتي لقرأته وغرقت فيه كالغواص في البحر، الذي لا يرجع فارغ اليد، فاستفدت منه استفادة جمة، وتضاعفت محبتي وشغفي بهذا النص المحقق، وكلما قلبت صفحاته اتضح لي من جانب أن الشيخ قطب الدين الدمشقي هو شيخ عديم النظير ومرشد فذ، ومن جانب آخر أثنيت على الأستاذ غلام مصطفى الأزهري لمحاولته التحقيقية واستحسنته، وأنه قد سعى سعيا بليغا في قراءة النسخ ومقارنة المتن وتخريج الآيات والأحاديث وتراجم الأعلام بصورة حسنة، فهذا السعي في تحقيقه منفرد لا مثال له، فأقدم التحية والتهنئة إلى الأستاذ غلام مصطفى الأزهري على تحقيقه الأنيق البارز وحواشيه القيمة النافعة، وأعترف بفضل "الإحسان" في نشرها، على الأوساط العلمية عامة وعلى عالم التصوف والسلوك خاصة.

فهذه الرسالة المكية رسالة جامعة في علم التصوف وأسلوبها قريب من أسلوب "آداب المريدين" للشيخ أبي نجيب السهروردي بل إنني أرى أنه ينبغي إدراجها في المقررات الدراسية للتصوف فآداب المريدين يدرس أولا ثم الرسالة المكية بعدها، فهذان الكتابان يكفيان لإعداد الطلاب للتصوف العملي، وإن أضيف إليهما شرحهما ــ أي الشرح لآداب المريدين للشيخ شرف الدين أحمد يحيى المنيري والشرح للرسالة المكية المسمى بـ"مجمع السلوك" للشيخ سعد الدين الخير آبادي رحمة الله تعالى عليهما ــ تضاعفت إفادتهما.

والذين ينتقدون على التصوف والسلوك ويعرضون عنهما فبالتوفيق من الله تعالى تفيدهم مطالعة الرسالة المكية إن شاء الله تعالى وتنفعهم وسيرون رأي العين في التصوف والسلوك أنوار ولمعات القرآن والسنة وتكون الشبهات كلها هباءً منثورًا.

وأخيرا أقدم أطيب التهانئ إلى كل من هو عضو "الإحسان" وخاصة صاحب السمو والفضيلة، صاحب السجادة للزاوية الصفوية العارفية على هذا العمل الميمون و أشكر جميعهم من أعماق قلبي شكرا جزيلا.

*****

الرسالة المكية وصاحبها

ضياء الرحمن العليمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ على المؤمنين بظاهر إحسانه، فأرسل الرسل هداية للبشر إلى الطريق القويم بعميم ألطافه، والصلاة والسلام على برهان الحق والهدى، سيدنا ومولانا محمد المصطفى، وأحمد المجتبى، المبعوث إلى الخلق خاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين ورثوا منه العلم والإيمان، والحكمة والفرقان، فأصبحوا للمذنبين كهف الأمان، وللسالكين مرشدين إلى المنزل والمقام، نفعنا الله تعالى بهم في الدنيا والآخرة.

أما بعد؛ فقد أمرني سيدي الداعية الإسلامي الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي ـــ حفظه الله ـــ أن أكتب سطورا عن التعريف بالرسالة المكية ومؤلفها وأجمع ما وجدتها من درر الفرائد ولآلي الفوائد أثناء بحثي عن الرسالة المكية ومؤلفها، فأولا أتحدث عن الرسالة المكية وأهميتها فيما بين التراث الصوفي فأقول:

الرسالة المكية:

هذه الرسالة التي ألفها الشيخ الكبير والمرشد العظيم قطب الدين الدمشقي ـــ قدس الله سره ـــ قد تسمى بـ"الرسالة المكية في الطريقة السنية"، وهي رسالة جامعة لأصول التصوف وفروعه وهي تأخذ بأيدي السالكين إلى معالم الطريق ومناهج السبيل، ولا زالت هذه الرسالة منذ أول يومها معروفة لدى الطالبين والسالكين، وكم من طالب سلك بها إلى المطلوب، وكم من سالك وصل بها إلى المحبوب، وكم من واصل تسنى له بها الخوض في بحار الذات والصفات، ففازوا بدرر المعارف ولآلي الحقائق.

وامتازت هذه الرسالة بأن لها صلة خاصة بالهند، ولعلماءها وصوفيتها اهتمام كبير، فلا زالت في الهند خصوصا تعد من أمهات كتب التصوف ومصادره؛ ولذلك ورد ذكرها في كثير من مهمات مؤلفات التصوف ومجموعات ملفوظات المشايخ عبر العصور، وإن الأعلام من الصوفية لم يذكروا اسمها فحسب، بل نقلوا منها مباحث كثيرة وذكروها في مواضع التمسك والاستدلال. فقد نجد ذكرها في

"لطائف أشرفي"، وهي مجموعة ملفوظات الشيخ العارف القدوة السيد الشريف أشرف السمناني الكشوشوي (KICHAUCHAVI) قدس الله سره (٨٠٨هـ)، وهو من أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري في الهند وقد جاء فيها ذكر الرسالة المكية في عدة مواضع ونقلت فيها مباحث عديدة منها، فمثلا في اللطيفة السادسة وهي تتعلق بشرائط المشيخة والاقتداء بالمشايخ وآداب المريد والمرشد نقل جامع اللطائف الشيخ نظام اليمني قدس الله سره عن شيخه العارف أشرف السمناني الكشوشوي أنه قال نقلا عن الرسالة المكية: لا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي به؛ لأنه رفيق في الطريق إلخ.

ونقل الجامع عن شيخه ههنا بابا كاملا من الرسالة المكية. (اللطيفة :٦)

وقد ورد ذكر الرسالة في مبخث ذكر النفي والإثبات ونقل الجامع قدس الله سره ههنا مبحثا متعلقا بالرسالة عن شيخه فقال: وكل قلب أحبّه الله وارتضاه، وقربه وأدناه، وأراد أن يوصله إلى مقام النبوة إن كان في زمانه، أو مقام الولاية فهو تعالى يسلط الذكر على ذلك القلب. (اللطيفة: ٩)

وفي موضع آخر نقل الجامع قدس الله سره سؤالا أثير من قبل أحد من الحضور في مجلس شيخه، وبيانه أنه سئل: أن الشيخ العارف قطب الدين الدمشقي قدس الله سره قال في الرسالة المكية: "إذا وصل المريد إلى الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ أنه هل يصلح للمشيخة و يجوز الاقتداء به؟ فإنَّ أكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل". فقوله هذا يدل على أن معرفة المشايخ لايمكن بدون نور المعرفة فكيف يتيسر للمريد المبتدي معرفة المشايخ وهو لا يعرف شيئا من هذه الأمور؟

فأجاب عليه الشيخ السمناني ناقلا عن الرسالة المكية أنه جاء فيه: فإن كان مبتديًا يعرف ذلك من أفواه الناس ومن أحوال الجماعة الذين يقتدون به، يحبونه ولاينكرون عليه. (اللطيفة : ٦)

أقول : هذا إن دل على شيء دل على أن الرسالة المكية كانت متداولة في الهند فيما بين المريدين والسالكين والأوساط الصوفية عامة في ذلك الزمان، وعلى أن الشيخ السمناني قدس الله سره كان يذكرها وينقل منها كثيرا في مجالسه ولعله قد حصل له التعرف بهذه الرسالة بواسطتين:

الأولى: أنه رحل كثيرا فطاف الإيران ، والروم، والعراق، وتركيا، ودمشق، والبلاد العربية الأخرى، وزار الحرمين الشريفين مرتين، والشيخ قطب الدين الدمشقي كان من العلماء المجاورين لبيت الله الحرام، وألفت الرسالة المكية في مكة زادها الله شرفا، وزمانه أيضا أقرب من المؤلف وتأليف رسالته، فقد توفي الشيخ السمناني عام ٨٠٨هـ والشيخ الدمشقي في ثمانين وسبع مائة، وكانت الرسالة متداولة في مكة، بين علماءها و صوفيتها، فلعله تعرف بها في مكة بواسطة علماءها أو أثناء رحلته إلى دمشق فالمؤلف ينتسب إلى مدينة دمشق والرسالة أيضا قد استدركت وزيدت فيها بتلك المدينة.

الثانية: أن الشيخ السمناني قد لقي السيد الشريف جلال الدين البخاري المعروف بمخدوم جهانيان قدس الله سره (٧٠٧-٧٨٥ هـ) في ملتان، أثناء رحلته إلى الهند ومكث في صحبته وسمع منه وحصل على كثير من مقامات الفقر والتصوف، وكان السيد المخدوم البخاري له صلة عميقة بالرسالة ومؤلفها كما سيأتي ذكره. وكان يدرّسها في مجالسه فيمكن أنه قد حصلت له المعرفة بالرسالة في مجالسه.

محصول الكلام أن الرسالة المكية ما برحت تعتبر من الكتب المرجعية في التصوف في الهند فيما بين الأوساط العلمية عامة والصوفية خاصة عبر العصور وقد ذكرت ههنا الشيخ السمناني فحسب، ولو شئت لأوردت من عدد كبير لأعلام الصوفية أنهم قد استفادوا من هذه الرسالة وذكروها في مجالسه، ونقلوا منها مباحث ومعارف.

ولأجل هذا القبول العظيم لها فيما بين الناس وكونها كثير الفائدة عظيم النفع نقل بعض فصولها إلى اللغة الفارسية وهذّبها رشيد أحمد الجنجوهي (١٣٢٣هـ) وسماها بـ"إمداد السلوك" انتماء إلى الشيخ العارف الكامل إمداد الله السهارنفوري مولدا والمكي مدفنا (١٣١٧هـ)، وترجمها تلميذه ومريده محمد عاشق إلهي الميرتي (MEERUTI) (١٤٢٢هـ) بالأردية بعنوان "إرشاد السلوك"، ولكن مما يؤسف أن الرسالة المكية لم تطبع حتى الآن أصلا أو ترجمة بدون أي تبديل وتغيير حتى جاء هذا الشرف إلى نصيب أكادمية شاه صفي التابعة للزاوية العارفية، سيد سراوان، ألله آباد، الهند، أنها قامت بترجمة الرسالة كاملا باللغة الأردية وستقوم بطبع ونشر تلك الترجمة إن شاء الله تعالى أيضا.

اهتمام مشايخ الطريقة الجشتية الجلالية المينائية الصفوية بالرسالة:

بالإضافة إلى أن الأوساط العلمية والصوفية عامة قد تناولت الرسالة بأيدي القبول، اعتنى بها خصوصا المشايخ الجشتية الجلالية المينائية الصفوية اعتناء كبيرا، ولا زالوا يهتمون بها اهتماما بالغا مدحا ودرسا وتدريساوشرحا وتوضيحا، والفضل في ذلك يرجع إلى السيد الشريف جلال الدين البخاري الشهير بمخدوم جهانيان، فإنه أقام مدة طويلة في الحرمين الشريفين وصحب طويلا الإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (٦٩٨-٧٦٨هـ) مؤلف كتاب "روض الرياحين" وانتفع به كثيرا، وسمع منه هذه الرسالة وحضر دروسها لديه مع جماعة من الطالبين والسالكين، وبعد رحلته إلى الهند وإقامته ههنا كان يذكر الرسالة في مجالسه كثيرا بكل حب وولوع وينقل منها المباحث والأقوال ويقوم بتدريسها بكل اهتمام، فقد تكرر ذكرها في "الدر المنظوم" وهي ترجمة أردية لإحدى مجموعة أقواله وملفوظاته بالفارسية الموسومة بجامع العلوم جمعها تلميذه وخليفته الشيخ العالم العارف السيد الشريف علاء الدين علي بن سعد الحسيني (هذا المجموع يشتمل على دروس وأقوال الشيخ البخاري التي أفاد بها أثناء إقامته بدهلي

منذ يوم الأحد، ٨ من ربيع الآخر سنة ٧٨١هـ حتى يوم الثلاثاء ١٧ من محرم الحرام سنة ٧٨٢هـ)، وذكر فيها أن المخدوم البخاري أثناء تدريسه للرسالة، قال: إنه قد حضر دروسها مع جمع من الطالبين عند الإمام اليافعي قدس الله سره وسمعها منه ولكنه لم يستطع أن ينسخها لغلاء ثمن القرطاس وقلة المال، إلا أن المؤلف الشيخ قطب الدين الدمشقي عندما أكمل الرسالة أرسل نسختها إليه. (المجلد: ٢، ص: ٦٧٤، ٧٠٢ مطبع أنصاري، دهلي ١٣٠٦ هـ)

وجاء فيه أيضا أن الإمامين الجليلين الإمام اليافعي شيخ مكة والإمام المحدث عبد الله المطري شيخ المدينة (المتوفى ٧٤٨هـ تقريبا) عندما توفيا أوصيا بنيه وأخاه بالترتيب بأن يذهبوا إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي لتعلم التصوف والسلوك. (المصدر نفسه، ص: ٦١١، ٦٧٤)

وتوارث تدريسَ الرسالة المكية في المجالس الروحية من الشيخ جلال الدين البخاري قدس الله سره خلفاؤه ومحبوه ومريدوه ، فما زالوا يقومون بتدريسه وقراءته على الطالبين حتى آل الأمر إلى الشيخ العارف الزاهد النحوي الأصولي سعد بن بُلَّهن الخير آبادي (٩٢٢هـ) خليفة الشيخ العارف الزاهد محمد قطب المعروف بشاه مينا (٨٨٤هـ) وهو خليفة للشيخ المخدوم سَا رَنْگْ (٨٥٥هـ) وهو خليفة للشيخ أبي الفضل رَاجُوْ قَتَّال البُخاري(٨٢٧هـ)، وهو أخ وخليفة للسيد الشريف جلال الدين البخاري(٧٨٥هـ) قدس الله أسرارهم، فبنى الشيخ الخيرآبادي زاوية ومدرسة كبيرة في خير آباد ــ إحدى محافظات ولاية أترابراديش، الهند ــ، للتعليم والتربية ونشر المبادئ الإسلامية والمعارف الصوفية، فأصبح مقصد الطالبين وكعبة السالكين وتوجه إليه الطالبون المخلصون من كل فج عميق والتف حوله جمع من السالكين فبدأ يدرس الرسالة المكية ويقرأها عليهم، ويشرح معضلاتها، ويحل مشكلاتها ويوضح مجملاتها ويتحفهم بلطائف معانيها ودقائق مبانيها، فالتمس منه بعض تلاميذه وأحباءه من أمثال الشيخ مبارك البِجْنَوري والقاضي محمد مَنّ الله الكَاكُورِي والسيد الشريف جلال بن أبي طاهر أن يقوم بشرحها فكتب لها شرحا بالفارسية مدرجا فيه أقوال شيخه مثل اللآلي في العقد في أكثر من ثماني مائة صفحة، فقرت به أعين الطالبين وتنورت قلوب السالكين، واهتدى به حيارى طريق الله إلى المقامات والمنازل.

وبعد تأليف الشرح تيسرت مطالعة الرسالة المكية للطالبين فازداد إقبالهم عليها وعضوا عليها بالنواجذ ولا زالوا يدرسونها ويقومون بتدريسها على مر القرون وكر الدهور، حتى جاء السيد الشريف عبد الواحد البلجرامي المينائي الصفوي (١٠١٧هـ) مريد وتلميذ المخدوم عبد الصمد المعروف بـ" شاه صفي" (٩٤٥هـ) وهو خليفة للشيخ سعد بن بدهن الخيرآبادي شارح الرسالة، فألَّف الشيخ البلگرامي كتابا أسماه بـ"سبع سنابل" واستفاد من الرسالة المكية وشرحها ونقل فيه الكثير من المباحث من شرحها

مجمع السلوك، وهذا يشير إلى عنايته الكبيرة بالمتن والشرح كليهما ثم جاء القاضي إرتضا علي خان الگوپاموي (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) فأعد مؤلفا باسم "فوائد سعدية" وجمع فيه أقوال وملفوظات الشيخ الخيرآبادي وشيخه المخدوم شاه مينا من شرحه. واهتمامه بشرح الرسالة المكية مجمع السلوك، يدل على أن الشرح والمتن كليهما كانا من جملة مقروءاته ونفائس مكنوزاته.

وكذلك نجد الاهتمام البالغ بالرسالة المكية عند الشيخ العارف الشاه محمد عزيز الله المينائي الصفوي (١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨م)، وهو من أعلام التصوف في القرن العشرين الميلادي وله مؤلف في العقيدة الإسلامية يسمى بـ"عقائد العزيز" وقد أكثر النقل فيه من الرسالة وشرحها مجمع السلوك، وظل الاهتمام باقيا فيما بين المشايخ الجشتية المينائية الصفوية حتى جاء زمان احتجب فيه المشايخ الكبار في الطريقة المينائية الصفوية وتنقبوا عن أعين الناس وقل الرجال الصالحون والعلماء العاملون، وكثر المترسمون والمترزقون، وانتهى الأمر إلى من لم يكن لهم رغبة في العلم وميل إلى السلوك، فاندرست مجالسه وانطمست معالمه، فتوقفت دروس الرسالة المكية وضاعت ما كانت عندهم من نسخ الرسالة وشرحها أيضا، ولم يبق عندهم إلا الفرح بأن نسخة الرسالة المكية وشرحها كانت موجودة عندهم.

ولا زالوا على هذه الحالة السيئة حتى نبغ في الطريقة العارفية ـ فرع الطريقة الجشتية المينائية الصفوية ـ رجل عظيم، أعني جنيد زمانه وشبلي آوانه صاحب المناقب العالية، والمفاخر السنية، العارف الرباني والداعية الإسلامي، محتسب العلماء والأولياء الشيخ أبا سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي، فجدد من التراث ما اندرس، وأحيا من المجالس المتوارثة ما مات، فنفقت سوق العلم والإيمان، والسلوك والعرفان وراجت مجالس العلم والمعرفة، والشريعة والطريقة، وصرف قصارى جهوده في التنقيب عن الكنوز الخفية حتى حصل على نسخ الرسالة المكية وشرحها مجمع السلوك، وفوض عمل التخريج والتحقيق والتعليق والترجمة إلى من كانوا له أهلا، وأعد مقرَّرًا دراسيًّا خاصًّا هادفًا إلى إعداد وتربية جيلٍ جديدٍ على مبدأ القرآن والسنة وطريقة الصوفية الصافية، باسم الدبلوم العالي في الدعوة والعلوم الإسلامية بالجامعة العارفية، فأدرج فيه الرسالة وشرحها من بين الكتب المنهجية، فابتدأ تدريس الرسالة المكية من جديد. وهكذا استطاع هذا الرجل العظيم أن يعيد الماء إلى مجاريه وأعاد إلى الطريقة الجشتية المينائية الصفوية رونقها وبهاءها ومجدها المفقود منذ قديم، وهو مجاهد ليلا ونهارا بكل مده وصاعه مستخدما جميع موارده لإحداث ثورة إسلامية على مبدأ الصوفية الصافية وإعادة المجد الإسلامي التليد.

هذه كانت نبذة من أهمية الرسالة المكية وقبولها بين الأوساط العلمية والصوفية وتاريخ اهتمام المشايخ الجشتية المينائية الصفوية بالرسالة المكية درسًا وتدريسًا وشرحًا وتعليقًا.

نسأل الله تعالى من فضله أن يفيض علينا من بركاتها ويوفقنا لمطالعة ما فيها والعمل بها ويوصلنا إلى مقامات قربه ومقعد صدقه، والله هو الموفق.

مؤلف الرسالة:

لقد تواترت الروايات أن مؤلف الرسالة المكية هو الشيخ الكبير العارف القدوة قطب الدين الدمشقي إلا أن المؤرخين اختلفوا في تحديد اسمه ومولده ووفاته، وما ذكروا في ترجمته إلا عدة سطور.

فجاء في مجمع السلوك شرح الرسالة المكية نقلا عن معيار التصوف للشيخ قوام الدين العباسي الكروي والمانكپوري مولدًا، واللكنوي مدفنًا (٨٠٠هـ): قال الفقير العباسي: سمعت من الشيخ العالم العارف محمد بن الفرهي الساكن في بيت المقدس.

وجاء بعد سطرين في نفس الكتاب: وسألت أيضًا من شيخ العالم بقية السلف قطب الحق والشرع والدين مؤلف الرسالة المكية حين لقنني كلمة لا إله إلا الله وبيَّن كيفية النفي والإثبات.

(مخطوط النسخة الكاكوروية، فصل في احتياج المريد لتلقين الذكر، ص: ١٨١)

وورد في كشف الظنون (٢/ ١٧٤٤): أنه هو قطب الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أيمن النووي الأصفهندي وله كتاب معيار المريدين، ولكنه لم يذكر سنة ميلاده ووفاته.

وجاء في الذيل عليه المسمى بـ"إيضاح المكنون" (٤/ ٦٨٥): أنه هو قطب الدين عبد الله ابن محمد بن أيمن الشافعى الزاهد نزيل دمشق وله مؤلفات منها: نور العقائد وضياء الفوائد وقد فرغ منها فى رجب من سنة سبع وستين وسبع مائة (٧٦٧ هـ)، وهو كتاب جليل كثير الفائدة أوله: الحمد لله رب العالمين وبه نستعين إلخ. وإنه أيضًا لم يذكر سنة ميلاده ووفاته.

وورد في فهرس مخطوطات مكتبة آزاد- عليكر- الهند (٢/ ١٦): بعنوان: الرسالة المكّية (رقم الميكروفيلم: ١٨/ ٣) هوالشيخ قطب الدّين عبدالله بن محمّد بن أيمن الاصفهندى. وهو أيضا يخلو من ذكر سنة الميلاد والوفاة.

وجاء على غلاف نسخة أخرى للرسالة في مكتبة آزاد عليكر ، الهند: هو الشيخ قطب الدين الدمشقي السهروردي الكبروي، ولم يذكر شيء غير ذلك.

وقال في معجم المؤلفين (٦/ ١١١): هو أبو محمد قطب الدين عبد الله بن محمد بن أيمن النوري، الأصفهاني الشافعي الصوفي، نزيل دمشق، من آثاره: معيار المريدين، الرسالة المكية، ونور العقائد وضياء الفوائد، و توفي : ٥٩١ هـ.

وذكر في هدية العارفين(١/ ٢٣٨): هو قطب الدين عبد الله بن شمس الدين محمد بن أيمن الشافعي

النوري الأصفهندي الصوفي نزيل دمشق المتوفى سنة ٥٩١هـ. له الرسالة المكية، معيار المريدين، نور العقائد وضياء الفوائد.

تحقيق سنة وفاته:

قد اتضح مما ذكرنا أن المؤرخين قد اتفقوا على لقبه قطب الدين ونسبته الدمشقي ولكنهم اختلفوا في اسمه و كنيته ولم تذكر سنة وفاته إلا في معجم المؤلفين وهدية العارفين وهي إحدى وتسعين وخمس مائة ولكنها غير صحيحة من وجوه:

الأول: لقد مر من قبل أن الإمام اليافعى والشيخ عبد الله المطري أوصيا بنيه وأخيه بالترتيب قبل وفاتهما أن يذهبوا إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي لتعلم التصوف والسلوك وسنة وفاتهما بالترتيب هي ٧٦٨هـ و ٧٤٨هـ فلا يتصور أنه قد أمراهم أن يتعلموا السلوك من شيخ توفي قبل وفاته بقرنين تقريبا.

والثاني: قد ذكر الشيخ الدمشقي في رسالته المكية أنه تلقن الذكر من برهان الدين السمرقندي ، وهو تلقن من الشيخ عبد الرحمن الكرخي (ميلاد: ٦٣٩هـ)، وهو من الشيخ أحمد الكورباني (٦٦٩هـ) إلى آخر ما ذكره في سند تلقن الذكر فشيخه برهان السمرقندي سنة ميلاده ووفاته غير معلوم وشيخ السمرقندي عبد الرحمن الكسرقي من مواليد ٦٣٩هـ وهل من الممكن أن يتلقن أحد الذكر عن شيخ ولد شيخ شيخه بعد وفاته بقرن تقريبًا.

والثالث: : لقد مضى أيضا أن مؤلف الرسالة قد أرسل نسخة منها إلى الشيخ جلال الدين البخاري المتوفى عام ٧٨٥هـ فهل هذا من الممكن أن يرسل المؤلف نسخة الكتاب بعد وفاته بقرنين تقريبا؟

والرابع: لقد سبق أن الشيخ قوام الدين العباسي اللكنوي المتوفى عام ٨٠٠هـ قد تلقى الذكر من الشيخ قطب الدين الدمشقي في حياته كما جاء في كتابه المسمى بـ"معيار التصوف" ونقله شارح الرسالة المكية الشيخ الخير آبادي، فهل من المعقول أن يتلقى المريد الذكر من شيخ توفي قبل قرنين؟

والخامس: قد توارث في الطريقة الجلالية المينائية الصفوية أن مؤلف الرسالة المكية كان معاصرا للشيخ الإمام اليافعي والشيخ جلال الدين البخاري والشيخ قوام الدين اللكنوي والتوارث أقوى دليل لا يعارضه دليل آخر.

والسادس: أنه قد ورد في الدر المنظوم في ذكر الملفوظ يوم ٢٤، ٢٨ من شهر ذي القعدة سنة ٧٨١هـ أن المرشد العظيم قطب الدين الدمشقي قد توفي منذ سنة، وهذا يحدد سنة وفاة الشيخ الدمشقي، وهي سنة ثمانين وسبع مائة من الهجرة النبوية وبهذا يتعين أن ما هو مكتوب في آخر النسخة

الرامفورية من سنة تمام الرسالة المكية إنما هو من الناسخ لا من المؤلف، وهي في الواقع سنة تمام نسخ الرسالة والمؤلف قد فرغ من تأليفها قبل ثمانين وسبع مائة.

لقد ثبت من الوجوه المذكورة فيما سبق أن القول بأنه توفي في عام ٥٩١هـ، لا يمت إلى الحق والصواب بصلة، والصحيح عندي أنه توفي في ثمانين وسبع مائة، كما تم تحديدها برواية الدر المنظوم. والله أعلم بالصواب.

سنده في الطريقة:

إن الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره (٧٨٠ هـ) ينتمي إلى الطريقة السهروردية الكبروية وهو ــ كما ذكر في رسالته ــ قد تلقى تلقين الذكر من الشيخ برهان الدين السمرقندي، وهو من الشيخ عبد الرحمن الكسرقي (٦٣٩- ٧١٧ هـ)، وهو من الشيخ أحمد الكورباني (٦٦٩هـ)، وهو من الشيخ رضي الدين علي بن سعيد لالا (٦٤٢هـ)، وهو من الشيخ مجد الدين البغدادي (٦١٠هـ)، وهو من الشيخ نجم الدين الكبرى (٦١٨هـ)، وهو من الشيخ عمار بن ياسر البدليسي(٥٨٢ هـ تقريبًا)، وهو من الشيخ أبي النجيب السُّهروردي (٥٦٣هـ)، وهو من الشيخ أحمد الغزالي(٥٢٠هـ)، وهو من الشيخ أبي بكر النسَّاج (٤٧٨هـ)، وهو من الشيخ أبي القاسم الكركاني، وهو من الشيخ أبي عثمان المغربي(٣٧٣ هـ)، وهو من الشيخ أبي علي الكاتب(٣٤٣ هـ)، وهو من الشيخ أبي على الرُّوْذباري(٣٢٢ هـ)، وهو من الشيخ الإمام أبي القاسم الجنيد(٢٩٧ هـ)، وهو من خاله الشيخ سري السقطي(٢٥١ هـ)، وهو من الشيخ معروف الكرخي(٢٠٠ هـ)، وهو من الشيخ داود الطائي(١٦٥ هـ)، وهو من الشيخ حبيب العجمي (١١٩هـ)، وهو من الشيخ الإمام الحسن البصري(١١٠ هـ)، وهو من الإمام علي كرَّم الله تعالى وجهه (٤٠ هـ) وهو من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم(١١ هـ).

صلة المؤلف ببعض المشايخ الجشتية:

إن الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره كانت له صلات ببعض المشايخ الجشتية:

الأول: هو السيد الشريف جلال الدين البخاري المعروف بمخدوم جهانيان ويدل عليها أن الشيخ قطب الدين الدمشقي أهدى إليه نسخة للرسالة المكية كما مر.

والثاني: هو الشيخ العارف قوام الدين العباسي الكروي واللكنوي، مريد وتلميذ الشيخ نصير الدين الأودهي سراج دهلي (٧٥٧هـ)، وخليفة الشيخ المخدوم جلال الدين البخاري، والدليل عليها أنه قد اجتمع به وحضر مجالسه وسمع منه وتلقى منه إجازة الذكر، وقد ذكره الشيخ العارف سعد الخير آبادي في مجمع السلوك شرح الرسالة المكية ناقلا عن معيار التصوف كما مر من قبل.

تحقيق نسبة الرسالة إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي:

لقد ذكر فيما سلف أن الروايات متضافرة على أن الرسالة المكية مؤلفها الشيخ قطب الدين الدمشقي إلا أني وجدتها على غلاف نسخة طوكيو منسوبة إلى الإمام اليافعي وهي باطلة من وجوه:

الأول: أن الإمام اليافعي المتوفى عام ٨٦٨ هـ كان يدرس الرسالة في حلقاته العلمية وينسبها إلى الشيخ الدمشقي وقد حضر في دروسها عنده الشيخ البخاري.

والثاني: أنه قد تكرر ذكر الرسالة المكية في الدر المنظوم ونسبت فيه الرسالة دائما إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره.

والثالث: ذكر في نفس الكتاب أن الإمام اليافعي والإمام المطري قد أوصيا بنيه وأخاه قبل وفاتهما بأن يتلقوا التصوف والسلوك من الشيخ قطب الدين الدمشقي صاحب الرسالة وصرحا كلاهما بأن الإمام الدمشقي هو صاحب الرسالة.

والرابع: وجاء فيه أيضا أن الرسالة قد أهداها الشيخ قطب الدين الدمشقي مؤلف الرسالة إلى الشيخ جلال الدين البخاري كما مر من قبل.

والخامس: أن الشيخ قوام الدين العباسي الكروي اللكنوي قد ذكر في معيار التصوف أن مؤلف الرسالة شيخه قطب الدين الدمشقي.

والسادس: أن الجامع لملفوظات الشيخ أشرف السمناني قد نقل فيها بعض فصول الرسالة المكية عن شيخه بقوله: قال الشيخ قطب الدين الدمشقي في الرسالة المكية.

والسابع: أنه قد نقل في الطريقة الجلالية المينائية الصفوية كابرا عن كابر أن مؤلف الرسالة هو الشيخ قطب الدين الدمشقي المعاصر للإمام اليافعي والشيخ البخاري والشيخ قوام الدين اللكنوي، لا غير، وهو أكبر دليل على صحة نسبة الكتاب إلى الشيخ الدمشقي.

فهذه عدة وجوه تثبت ما قد اتفقت الروايات عليه من أن مؤلف الرسالة المكية هو الشيخ قطب الدين الدمشقي وتدحض نسبتها إلى الإمام اليافعي قدس الله سره، والذي يغلب عليه الظن أن بعض الناس لم يستطيعوا أن يميزوا بين الرسالة المكية في الطريقة السنية للإمام الدمشقي والرسالة الملكية في طريق السادة الصوفية للإمام اليافعي فاختلط عليهم الأمر وأخطأوا في نسبة الرسالة إلى اليافعي وقد قل من البشر من يعصم من الخلل والزلل والوهم والنسيان.

هذا ما تيسر وتوفر لي من المعلومات التي قد حصلت عليها بعد بحث وتحليل ولا أدعي لنفسي العصمة من الخطأ والنقصان والله هو المستعان في كل حين وآن.

وفي الختام أعترف بالتقدير نحو الأستاذ الفاضل الأخ غلام مصطفى الأزهري لما سعى في تحقيق الرسالة وتخريجها وإخراج متنها في ثوب قشيب وأتوجه بالشكر الجزيل والاعتراف بالجميل للشيخ الكبير العارف الرباني والداعية الإسلامي الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي لجميع نعمائه وآلائه على أعضاء مجلة "الإحسان" والفضل كله يرجع إليه وهو قطب دائرة النشاطات العلمية والروحية والتربوية بالزاوية العارفية الصفوية، وندعو الله الكريم أن يوفقنا للخيرات والمبرات، ويرشدنا إلى طريق الحق واليقين بوسيلة سيدي ومرشدي الكريم، ومؤلف الرسالة المكية وجميع عباده الصالحين برحمتك يا أرحم الرحمين وبجاه سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

*****

كلمات عن تحقيق الرسالة

غلام مصطفى الأزهري

قصتي مع التحقيق:

هذه ليست أول مرة أنني قمت على باب التحقيق ، فإني طفت على بابه مرتين من قبل، حينما كنت طالبا لمرحلة الليسانس في كلية أصول الدين، قسم الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف، سنة ٢٠٠٨ م، فطلب مني بعض الإخوة من إنجلترا طباعة الكتب في العقيدة والفرق الإسلامية من تراث علماء الهند فانتخبنا بعد المشاورة مع الأحبة من ثلة التراث الهندي الإسلامي كتابين أولهما: المعتقد المنتقد للعلامة فضل رسول البدايوني مع شرحه المعتمد المستند بناء نجاة الأبد للعلامة أحمد رضا البريلوي وثانيهما: حدوث الفتن وجهاد أعيان السنن للأستاذ محمد أحمد المصباحي رئيس الأساتذه، الجامعة الأشرفية، مباركفور، فحققت هذين الكتابين الجليلين وخرجت الآيات والأحاديث والآثار وتمت طبعتهما سنة ٢٠٠٨ م من دار المقطم، القاهرة. وهذا الكتاب الثالث ما هو بين أيديكم، وقد أنفقت جهدي في تحقيقه وتخريج أحاديثه وآثاره ، وتراجم رجاله وما يتضمنه من فوائد شتى.

صلتي بالرسالة المكية:

الرسالة المكية سفر عظيم وكتاب قيم للطالبين والكاملين وكان من المقررات الدراسية للتزكية والتطهير في الزوايا الصوفية لاسيما في الأسرة الجشتية إلى مدة مديدة ولكن عندما خفّت وانطفأت نار العشق والمحبة والذوق الروحي فيما بين الناس وتغشت عليهم من مادية واقتصادية مطلقة ما أدتهم إلى حياة مترفة مبذرة ومتنفرة عن الزهد والفقر والمجاهدة، فهم غابوا من مجالس التذكير وابتعدوا عن العارفين وعن دروسهم فقد احتجبت عيونهم من نور المعرفة وعميت قلوبهم عن كشف الحق والحقيقة وما بقيت إلا الرسوم الإسلامية بعيدة عن الإخلاص والاحتساب إلا من رزقه الله القرب من عالم رباني وشيخ كامل واجتنى شيئا من ثمار معارفه ومجالسه ودروسه ومواعظه وهم أقل قليل، حتى طلع فجر الخامس من شهر محرم الحرام ١٣٧٧هـ/ الثاني من أغسطس ١٩٥٧م، ولد فيه طفل ميمون في أسرة متدينة سمي بـ''أبي سعيد'' ولقب بـ"إحسان الله"، ونشأ وترعرع في بيئة روحية أدبية يسودها جو من الصلاح والتقوى، وشب على أيد أمينة ربته على عقيدة صافية زكية لا تشوبها بدع أو خرافات ورغم أنه

تعلم العلوم العصرية في المعهد الثانوي ثم التحق بقسم اللغة الفارسية في جامعة علي جراه الإسلامية وكان قلبه معلقا من بداية الأمر بطريق الحق، مجذوبا إليه، حتى رغب في المجاهدة وقيام الليل وصيام النهار واشتغل بالأوراد والأذكار، فبينما كان في مرحلة الليسانس بجامعة علي جراه الإسلامية طلب شيخه أحمد صفي قدس الله سره وبايعه وأجازه بجميع الطرق والسلاسل التي وصلت إليه من مشايخه في ١٧ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ فانقطع تعليمه وتسلط الذوق والجذبة الإلهية على قلبه فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته طول النهار سنوات عديدة وتزهد عن الدنيا وتخلى إلى الصحارى والغابات والقرى المجاورة لموطنه سيد سراوان.

ومن المعلوم أنه لم يكن جلس بين يدي أستاذ أو شيخ للحصول على العلوم الدينية وأنه تعلم الفنون العصرية واللغتين الأردية والفارسية في المعهد والجامعة فحسب ولكنه أخذ العلوم الدينية الضرورية كالعقيدة وأحكام الصلاة والصيام والحلال والحرام من بيئة أسرته العلمية وتراث مشايخه فتوجهت إليه جنود أرواح المشايخ الكبار للتربية فتلقى دقائق العلوم الإسلامية وكوامن طرق المعرفة من روحانية كبار المشايخ كالشيخ عبد الصمد المعروف بالمخدوم شاه صفي و الشيخ سعد الدين الخيرآبادي والشيخ نظام الدين سلطان الأولياء والشيخ أحمد جام زنده فيل والشيخ أبي سعيد أبي الخير وغيرهم قدس الله سرهم وذلك بالإضافة إلى معرفته بالديانات الأخرى وعقائدها ولغاتها كالهندوسية والسيخية، والسنسكرتية والهندية، التي اكتسبها بالخبرة والاحتكاك بالآخرين.

فلما توفي شيخه في ١٥من محرم الحرام عام١٤٠٠هـ تولى رئاسة المشيخة العارفية ومال إلى تربية المريدين والطالبين ودعوة الكفار والمشركين إلى قيم الدين، واعتكف على تدريس أمهات الكتب الصوفية، وتربية النفوس وتزكية القلوب، وبجهده المتواصل أسلم على يده مآت من الهندوسيين والوثنيين والسيخ والملحدين، وتاب آلاف من العلماء والمتخصصين في الفنون والعلوم وتركوا المادية وآثروا الروحانية وتوكلوا على الله وآووا إلى الحضرة الإلهية، وبعنايته وتوجهه فاق كثير من الناس في مجال التوحيد وأسراره وتنورت قلوبهم بنور الجمال الإلهي، وإضافة إلى ذلك أسس جامعةً باسم الجامعة العارفية لنشر العلم والإيمان والدعوة الإسلامية القائمة على الوسطية والاعتدال ولإقامة العلاقة بين الروح والجسد، وبين النظرية والعملية، وبين التحقيق والتطبيق، وللجمع بين العلم والدين، وبين القديم والجديد، وبنى أكادمية للطباعة والتوزيع وسماها بالشاه صفي أكادمي لنشر تراث التصوف محققا أو مترجما بأسلوب راهن ولدراسة العلوم العليا وهي التوحيد والمعرفة والتعريج إلى الحضرة الصمدية ولترويج العلوم والأصول والفروع من التصوف مقيدة ومشيدة بالقرآن والسنة، وله هيئة

للإغاثة الخيرية ومركز للدعوة والإصلاح، فالشيخ ــ حفظه الله ــ قام بتنويع وتجديد في كل المجالات العلمية والروحية وحمل لواء إحياء روح الإسلام والتصوف وقد فاز بمرامه بتوفيق الله وإذنه، وهو ما ماض نحو أهدافه السامية بكل نشاط ونجاح.

والشيخ ــ حفظه الله ــ أشار يوما بعض أصحابه الأكادميين إلى أن يذخروا مخطوطات نادرة نفسها لو أمكنت، وإلا فعكسها وصورتها من تراث الصوفية كالرسالة المكية وشرحها مجمع السلوك وسبع سنابل وأسرار التوحيد وخزائن جلالي ولطائف أشرفي وبحر ذخار وغيرها، فسافر الفاضل الجليل فضيلة الأستاذ حسن سعيد الصفوي الخلف الأكبر لشيخنا ومدير مجلة الإحسان، والأخ الفاضل الأستاذ مجيب الرحمن العليمي، والأخ الكريم السيد عارف إقبال المصباحي، إلى مكتبات قديمة في مدن الهند مرات عديدة على حسب الظروف وأخذوا شتى مخطوطات قديمة ونسخا عديدة لكتاب واحد.

فنشكر جميع الأحبة والأساتذة الأفاضل وأصحاب المكتبات الذين ساهموا في الحصول على أية نسخة لأي كتاب شكرا جزيلا.

ومضى الأمر حتى تمنى شيخنا الداعية الإسلامي أن تطبع الرسالة المكية التي ظلت مخطوطة ليجدد تدريسها في الجامعات الإسلامية وزوايا المشايخ الصوفية، فلبّى الأخ الفاضل ركن الدين السعيدي على ندائه وبدأ يكتب على الكمبيوتر مباشرة من نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند وقابلها بنفسه مع نسخة مكتبة رضا برامفور وجعل نصا مثبتا كل ما كان في نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند بدون تصحيح الخطأ من الناسخ وذكر اختلاف نسخة مكتبة رضا برامفور في الحاشية، وفرغ الكتابة في ٢٠ من مايو سنة ٢٠١٠م ثم قام الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي بتصحيح الكتابة وبمراجعة نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند ونسخة مكتبة رضا برامفور ونسختين لمجمع السلوك شرح الرسالة المكية بدون ذكر النسخ التي بها صححت النسخة الحالية ولكنه أضاف معظم عناوين الفصول وتراجم الأبواب في الكتاب فإن الكتاب كان مبوبا ومفصلا بدون التراجم والعناوين.

ومع الأسف الشديد أن هذه الأعمال كانت قد وقعت على البرنامج إنبج (INPAGE) وهو برنامج خاص باللغة الأردية فصعب الأمر في ترقيم الكتابة بأسلوب جديد وتشكيلها عند الضرورة وتحسين الخط العربي فانتهى الأمر إلى التحويل من إنبج (INPAGE) إلى ورد (WORD) ولما تم تحويلها حدثت فيها أخطاء كثيرة خاصة في الكتابة، وشكل الحروف، فقام بتصحيح الكتابة وترقيمها على قواعد حديثة فضيلة الأستاذ حسن سعيد الصفوي وفي نهاية المطاف فوض الكتاب إليّ في نهاية سنة ٢٠١٣م فعملت فيه بعض العمل بتوفيق الله تعالى.

عملي في التحقيق:

أمرني الداعية الكبير بأن أخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فبدأت العمل متوكلا على الله وخرجت أحاديثه وعلقت في بعض المقامات تعليقا ضروريا واستفدت فيه من تعليمات شيخي وإشاراته وفي أثناء التخريج ألقي في روعي أن أقابل النسخة الحالية الكمبوترية مع النسخ التي احتفظت في مكتبة الشاه إحسان الله الواقعة بالجامعة العارفية فجلست مع رفقائي الأكادميين لاسيما الأساتذة الأفاضل محمد اشتياق عالم المصباحي وإمام الدين السعيدي ومحمد شهباز عالم المصباحي ومحمد رفعت رضا النوري والأخ أصغر علي المصباحي، فتم العمل في شهرين وكتبت بنفسي على الكمبيوتر كل ما نتج عن المقابلة، ولما قدم الرسالة في هذا الشكل بين يدي فضلية الشيخ الأستاذ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد نائب رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الأسلامية، للتصحيح وإبداء الرأي فحسّن العمل وأشارني إلى أن أضيف ترجمة الأعلام أيضا في الرسالة بالإيجاز فتوجهت إلى أمره وقبلت مشورته، وكذلك نبهني إلى الإصلاح في الأخطاء التراقيمية الأستاذ الفاضل حسن نجار محمد أستاذ كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.

فنشكر جميع الأساتذة والأحباء وطلاب الدبلوم العالي في الدعوة والعلوم الإسلامية بالجامعة العارفية الذين ساهموا في هذا العمل بأي مساهمة وندعو لهم الخير.

وبعد هذه التفاصيل إليك الخطوات التي اتخذتها في هذه الرسالة وفهارس الأعمال التي قمت بها أنا وزملائي:

أولاً : اعتمدت في ضبط النص على عدة مخطوطات ، و هي و إن كانت متقاربة ، و لا يوجد بينها اختلاف مهم ، إلا في عدة مقامات، فاستفدنا من مجموعها في إخراج النص بصورة دقيقة وإليك وصف المخطوطات وبيان الرمز الذي اتخذ لها :

١ــ مخطوطة كتبخانه دار العلوم ديوبند ، أترابراديش ، الهند برقم: ٧٣٠١٨ ، عدد اللوحة:٧٧ ، هي نسخة كاملة وخطه عربي وفي هذه النسخة تعليقات من قبل القارئين، بعض منها جلي والآخر مخدوش، ولكن خطأ الكتابة فيها كثير بالنسة إلى النسخ الأخرى، والمكتوب في آخرها من قبل الناسخ باللغة المزدوجة من العربية والفارسية ،حاصله فيما يلي:

تمت الرسالة الشريفة المكية ــ التي ألفها الشيخ قطب الدين الدمشقي قطب اليمن قدس الله روحه وأفضى إلينا بركته ــ يوم الأحد في ٢٨/ جمادي الأخرى ١٢١٨هـ بطلب الأستاذ جلال الدين سلمه الله تعالى في مديرية "رامفور" أترابراديش، الهند وكاتبه همزة خان غفرالله له ولوالده.

عُين لهذه النسخة رمز''د''.

٢ ــ مخطوطة معهد الثقافة والدراسات الشرقية ، بجامعة طوكيو، اليابان، أخذته من موقع:
http://al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=m002281.pdf
وهذه المخطوطة ناقصة لنصف الأخير وعدد صفحاتها ٦٨ وعدد اللوحة ٣٤ وعلى جبهة النسخة مكتوب من قلم الناسخ:

''إن المؤلف هو الشيخ الإمام شمس الإسلام والمسلمين إمام المحققين مرشد الطريق الناطق بالتحقيق شيخ محمد الشافعي قدس الله سره ونور مرقده آمين يا رب العلمين.''

وتحت هذه العبارة في نفس الصفحة كتب شخص آخر:

''هذا الكتاب ''الرسالة المكية في طريقة السادة الصوفية'' تأليف الشيخ الإمام العالم .... عفيف الدين أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي المتوفى بمكة سنة ٧٦٨ هـ وهو مؤلف كتاب: روض الرياحين في حكايات الصالحين ......''

واعتمد أصحاب المكتبة عليه ونسبوا هذه الرسالة إلى الإمام عبد الله اليافعي وهو من الخطأ كما حققه الأستاذ العليمي في مقاله القيم ''الرسالة المكية وصاحبها''

فرض لهذه النسخة رمز''طو''.

٣ ــ مخطوطة مكتبة رضا برامفور، أترا براديش، الهند برقم: ٣٠٥٦ ع، وعدد صفحاتها ١٣٩ ، لون الصفحة أصفر ولكن الكتابة واضحة جلية.

أخذ لهذه النسخة رمز''ر''.

٤ ــ مخطوطة الزاوية المجيبية بفلواري ، فتنا ، بيهار ، الهند، عدد صفحاتها ٢٦٨ وفي هذه النسخة تعليقات من قبل القارئين، بعض منها واضح والآخر مخدوش.

رمز لهذه النسخة ''مج''.

٥ ــ مخطوطة مكتبة خدا بخش بفتنا، بهار، الهند وعدد لوحته : ١١ بخط فارسي رشيق.

استخدم لهذه النسخة رمز''خد''.

٦ــ في مكتبة الشاه إحسان الله بالجامعة العارفية عكس نسختين لمجمع السلوك للشيخ سعد الخيرآبادي، هو شرح الرسالة المكية باللغة الفارسية، الأولى منها نسخة مكتبة رضا برامفور ، والأخرى نسخة مكتبة الزاوية القلندرية بكاكوري ، لاكناو ، أترا براديش ، الهند.

فنص الرسالة المكية مع شرحه موجود في هاتين النسختين، فاخترت نسخة منها وهي نسخة مكتبة الزاوية القلندرية بكاكوري ليسهل الأمر علينا.

والرمز لهذه النسخة ''ك''.

ثانيًا: قمت بتخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف ووضعت الآيات في النص على الرسم العثماني.

ثالثًا: خرّجتُ الأحاديث النبوية من مظانها المعتبرة، فمن كتب الصوفية إن لم أجدها ولكني أيّدتها بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على ما استطعته ونقلت أقوال العلماء عن الحديث المخرَّج وآراءهم في الحكم عليه وأدرجت التعليقات والتنبيهات على خلاف رأي محدّث لو شعرت بالحاجة إليها.

رابعًا: وثّقت الأعلام و ذكرت تراجمها بيسير.

خامسًا: أضاف الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي معظم العناوين في المتن كما أشرت من قبل إلى أن الكتاب كان مبوبا ومفصلا ولكن مؤلف الكتاب لم يترجم لأبوابه وفصوله إلا بعدة مواضع وهي:

فصل في شواهد الذكر، فصل في كيفية الذكر، فصل في احتياج المريد إلى تلقين الذكرعن الشيخ، فصل في تلقين الذكر، فصل في الوصال، فصل في المشيخة، فصل في ذكرأدابهم في محاوراتهم، فصل في مراعاة مايجب رعايته، فصل في محافظة الاوقات التي يرجى فضلها وعماراتها بالصلوات والأذكار، فصل في لبس الخرقة، باب في التصوف ومذاهبهم، فصل في المعرفة، فصل في التوحيد، فصل في دلائل التوحيد، فصل في اليقين، فصل في العبادة، فصل في الحق والحقيقة، باب في الوصية، فصل في الوصال، فصل في شرف هذه الأمة المرحومة، فصل في تعريف الصحابي والتابعي والولي، فصل في القطب، فصل في سير ذات النفس.

سادسًا: كتب الأستاذ ضياء الرحمن العليمي مقالا قيما موجزا عن حياة الشيخ قطب الدين الدمشقي وعن الرسالة المكية وتاريخها وأهميتها ونسبتها إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي.

سابعًا: في أثناء التخريج شعرت بأن المنهج في قبول الحديث ورده مختلف بين المحدثين والصوفية فأردت أن أكتب مقالة حول منهج الصوفية في قبول الحديث ورده وتم العمل بإذن الله تعالى فألحقتها مع هذه الرسالة.

ثامنًا: في آخر الرسالة ضممت تراجم الأعلام غير المعروفة التي جاءت فيها.

تاسعًا: وضعت فهرستين؛ إحداهما: للكتب التي استخدمت في التخريج والتعليق مع بيان المطبع. والأخرى: لأبواب الرسالة وفصولها.

ملحوظات هامة

- ''والله أعلم بالصواب''مكتوبة فقط في نهاية معظم الفصول لنسخة المكتبة بدار العلوم، ديوبند،

ولأجل ذلك حذفتها من النص رعاية لأكثر النسخ.

- في جميع النسخ يتردد الباب والفصل باختلاف، فأثبتّ في النص 'الفصل' دون 'الباب' إلا إذا كان الباب وتحته فصول فأبقيته على ما كان.
- ألزمت الاختصار في بيان الفرق بين النسخ، لأجل ذلك إذا كانت في نسخة عبارة زائدة وهي صحيحة فأشرت إليه بقولي: ''زيدت من فلان'' معناها هذه العبارة صحيحة ولكنها ليست إلا في هذه النسخة فقط فزيدت منها، وكذلك إذا قلت : ''في فلان'' معناه: هذه العبارة في نسخة فلانة دون ما أثبتتها ولكن إذا شعرت بالحاجة إلى الإيضاح فأوضحت بقولي : بدل فلان أو دون فلان، ووضعنا رقم التعليق على موضع الخطأ أو الزيادة.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره مرقومة بصيغ مختلفة أو بالإشارة فأثبتتها بالصيغة المعروفة (صلى الله عليه وسلم).

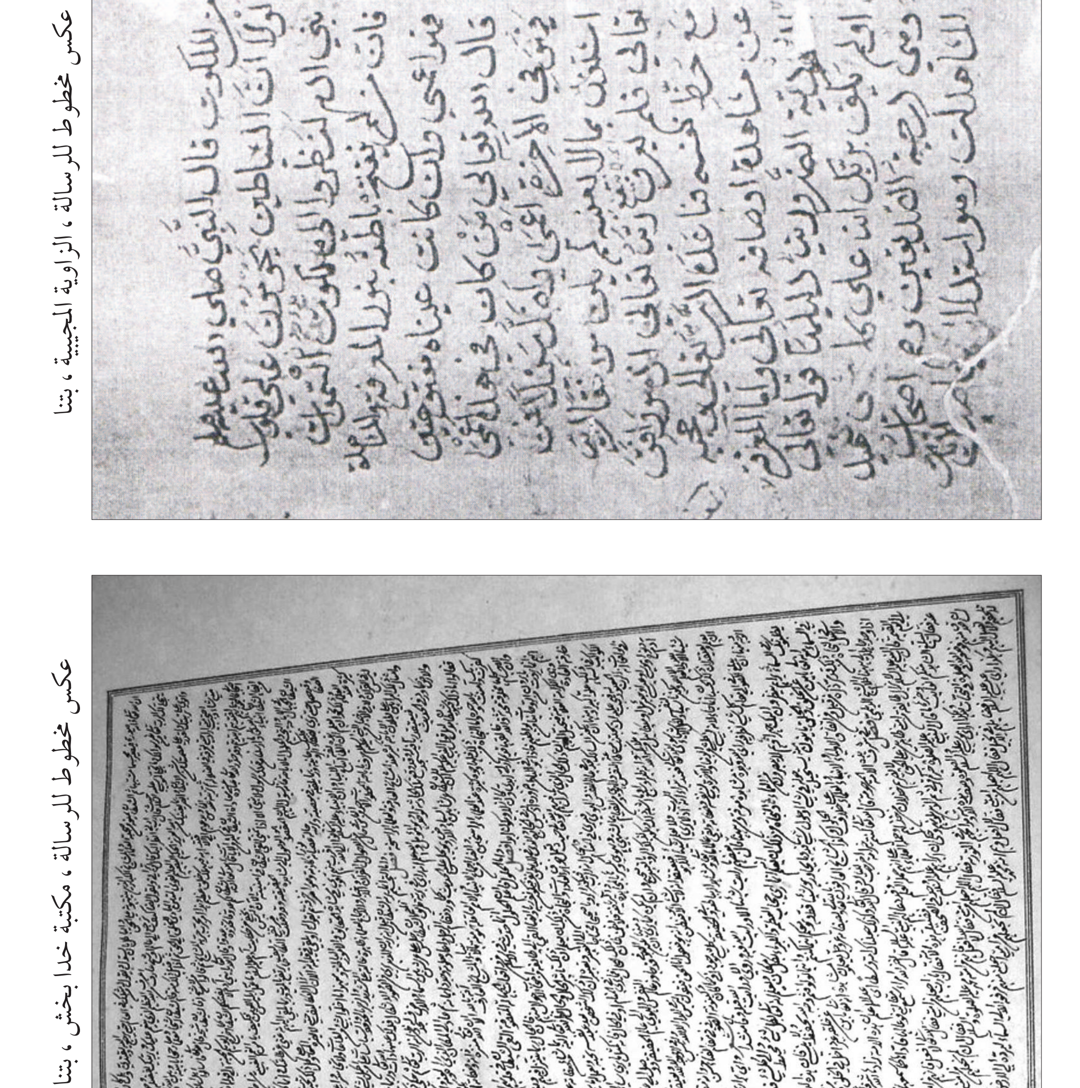
واجب الامتنان والشكر

ولا يسعني في الختام إلا أن أحمد الله تعالى على ما وفقني لهذا العمل ، شاكرًا لكل من بدأ هذا العمل وشاركني فيه بعد تفويض العمل إلى هذا العبد المذنب وساعدني في إتمامه وأعانني على إنجاز هذا التحقيق ونشره خاصة الأستاذ ضياء الرحمن العليمي والأستاذ ذيشان أحمد المصباحي الذين عملوا بأنفسهم كثيرا من العمل وساعدوني في كل المرحلة، مع خالص الامتنان والشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف وعضو مجمع البحوث الأسلامية، وفضيلة الأستاذ حسن نجار محمد، أستاذ كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، قد راجعا هذه الرسالة تماما بإمعان النظر وصححا الأخطاء وألقيا المشورة القيمة وكتب كل منهما تقديما ثمينا فلهما آلاف الشكر، كما أشكر فضيلة الشيخ السيد الشريف الأستاذ الدكتور شميم الدين المنعمي الذي كتب كلمات مفيدة حول الكتاب وتحقيقه والأستاذ الفاضل حسن سعيد الصفوي راجع الكتاب وعلق عليه بعض التعليقات النافعة ولا سيما للعارف الرباني الداعية الكبير الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي الذي هو قدوتي وذخري في حياتي وبعد مماتي، وهو رائد الفكر الصوفي والسلوك الروحي والأسلوب العلمي في العصر الحديث، يسعى للثورة الروحية الأسلامية على منهج الصوفية الصافية وإن نشر هذا الكتاب لهو جزء الثورة.

وندعو الله العلي القدير بالتوفيق لزملاء الشاه صفي أكادمي للقيام بنشر هذا الكتاب وغيرها من الكتب الدينية وما التوفيق إلا من واهب العلم والعمل والهادي إلى التحقيق والتنوير والصلاة والسلام على سيد الهادين، محمد الأمين، وأتباعه إلى يوم الدين. ****

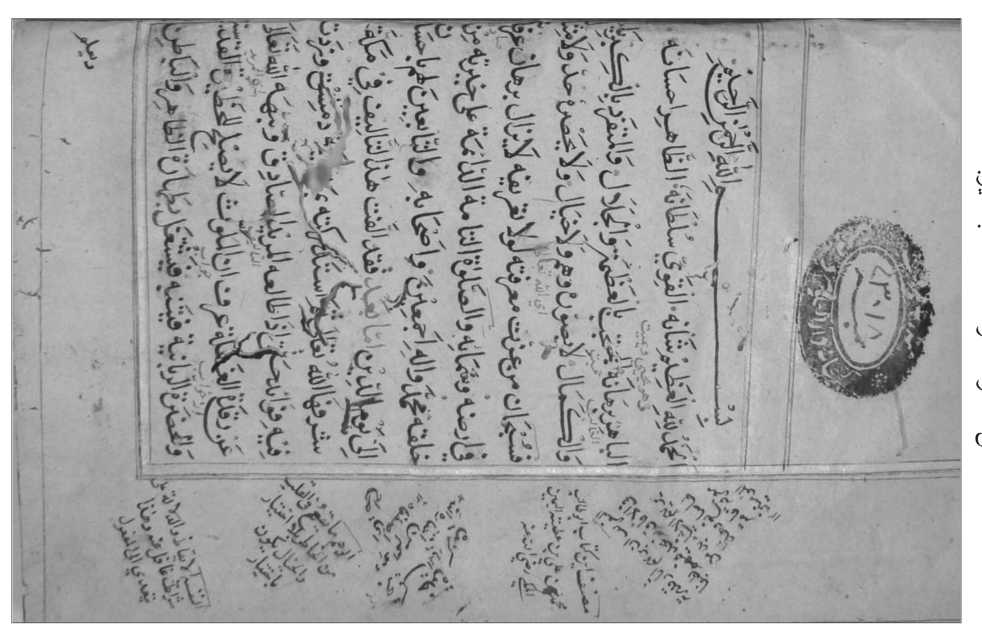
عكس مخطوط للرسالة، طوكيو

عكس مخطوط جمع السلوك شرح الرسالة المكية، نسخة كالورية

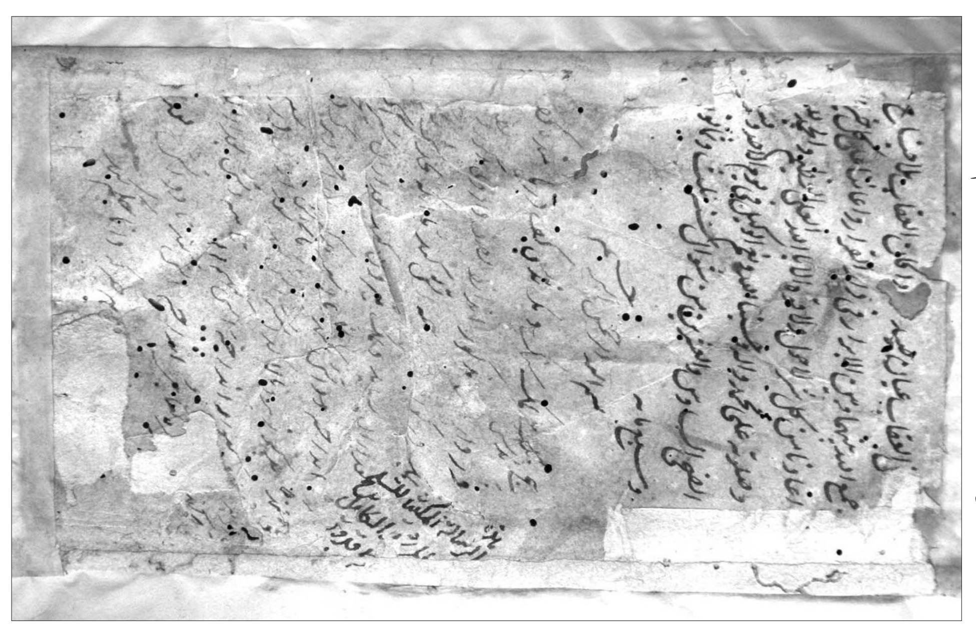


عكس مخطوط للرسالة ، الزاوية المجيبية ، بتنا

عكس مخطوط للرسالة ، مكتبة خدا بخش ، بتنا



عكس مخطوط للرسالة، مكتبة ديوبند



عكس مخطوط للرسالة، مكتبة رضا، رام فور

الرسالة المكية

للشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله العَظِيمِ شَأْنُه، القوي سلطانه، الظاهر إحسانه، الباهر برهانه،[1] المحتجب بالعظمة والجلال، المتفرد[2] بالكبرياء والكمال، لايصوّره وَهْم ولاخيال، ولا يحصره حد و لا مثال، فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه، لا يزال برهان عرفانه في أرضه وسمائه، والصلاة التامة الدائمة على خيرته[3] من خلقه محمد و آله، و صحبه، والتابعين لهم بإحسان، وتابعيهم إلى يوم الدين.[4]

أَمَّا بَعدُ؛ فقد أَلَّفتُ هذا التأليفَ في مكةَ ـ شرَّفَها[5] اللهُ تعَالى ـ، ثُمَّ اسْتَدرَكتُه[6] بمدينة دِمَشْقَ، وزِدْتُ فِيه فوائدَ، حتَّى إذا طالعَه المريدُ الصَّادقُ ونبَّهَه اللهُ تعالى من[7] رقدة الغفلةِ عرَف أن الملوث لا يصلح للحظيرة[8] القدسية والحضرة الربانية، فيتنبَّه[9]، فيشتغل بطهارة الظاهر والباطن، ويعلم أن ربه تعالى يطلبه بموافقة الطاعة ويمنعه عن المخالفة، فيناديه بلسان الحال: يا بن آدم، أنا بدّك اللازم فالزم بدّك، أنا كافيك[10] عن كل شيء ولا يكفيك عني شيء، فيقوم فيطلب النجاة، فيقول: يا غياثَ المستغيثين، أغِثني، فيحمله ذلك على سلوك طريق التحقيق، والبلوغ إلى عالم اليقين، والوصال[11] إلى حضرة الإله[12] المنزه عن الاتصال والانفصال، والقرب[13] من الله تعالى، والأنس به، والجلوس معه كما قال الله تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي».[14]

---

(١) في خد بتقديم "الباهر برهانه" على "الظاهر إحسانه".

(٢) في د "والمتفرد".

(٣) في ر "خيرة".

(٤) في طو بزيادة "على" قبل "آله" وفي د بزيادة "أجمعين" بعد "آله" وفي د، و ر "أصحابه" وفي البواقي "صحبه" وفي د بدون "تابعيهم".

(٥) في طو "حرسها" بدل "شرفها".

(٦) في مج " استَدرَكتُ" بدون الضمير الغائب.

(٧) في طو "من" وفي الباقية "عن".

(٨) في طو "حضيرة" وهو خطأ من الناسخ.

(٩) في طو "و" بدل "ف".

(١٠) في ر "أكافيك.

(١١) في خد "علم" بدل "عالم" وفي خد، و ر "الوصول" بدل "الوصال".

(١٢) في د "إله" بدون لام التعريف.

(١٣) في د بزيادة "أي القرب" بعد "القرب".

(١٤) "كما قال الله تعالى" هذه زيادة من المحققين من حاشية ر. وهذا الخبر القدسي صحيح برواية كعب الأحبار عن سيدنا موسى عليه السلام كما أخرجه أحمد في الزهد، باب أخبار موسى عليه السلام (ص: ٦٨)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٥٧، رقم: ١١١)=

فصل في معنى السلوك والوصال وطرائقهما :

فإن قيل: ما معنى السلوك والوصال؟[1] فيقال: السلوك عبارة عن تهذيب الأخلاق ليستعد به[2] للوصول، ومعنى الاتصال بالحق؛ الانقطاع[3] عما دون الحق، وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب وإن كان من بعيد، فإذا رفع الحجاب عن قلبه وتجلى له، يقال: إنه الآن واصل، ثم لايزال يزداد الوصال على قدر دوام المشاهدات إلى أن يحصل الأنس به تعالى والبسط وغير ذلك من المقامات[4] العالية. و ليس المراد بالاتصال اتصال الذات بالذات؛ لأن ذلك إنما يكون بين الجسمين، وهذا التوُّهم في حق الله تعالى كفر، بل بمقدار انقطاعهم عن غير الحق[5] اتصالهم بالحق.

فإن قيل: ما الدليل على كينونة الوصال[6] بين العبد وربه تعالى؟

يقال: حَديث أَبِي رَزِينٍ ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أنه قال: «يا أَبَا رَزِين، إذا خلَوْتَ فأَكثِر ذِكرَ الله تعالى، وزُرْ فِي الله، فَإِنَّهُ من زار فِي الله شَيَّعَه سَبْعُونَ ألف ملك يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ وَصَلَنا فِيكَ فَصِلْه»[7]. دلَّ هذا الحديث على كينونة الوصال بين العبد وربه تعالى.

=وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطهارة، باب الرجل يذكر الله وهو على الخلاء أو وهو يجامع (١/ ١٠٨، رقم: ١٢٢٤) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٢) وأوردها البيهقى تماما فى شعب الايمان، باب في محبة الله عز و جل، الفصل الثاني في الذكر (٢/ ١٧١رقم :٦٧٠) من طريق الحسين بن جعفر عن سفيان عن عطاء بن مروان حدثنى أبي عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أ قريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. قال: يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك، قال وما هي؟ قال: الجنابة والغائط. قال: يا موسى اذكرني على أي حال. ورواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم عن عبيدة (٦/ ٥٢، رقم: ٢٣٦٢) وعن وهب بن منبه (٧/ ٢١٢، رقم: ٣١٢٢) والديلمي في الفردوس برواية ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم (١٩٢/٣، رقم: ٤٥٣٣) ورواه أبو نعيم في الحلية أيضًا (٢٠٧/٨)عن عبيد الله بن محمد الكرماني قال: دخلت على محمد بن النضر الحارثي فقلت له: كأنك تكره مجالسة الناس. قال: أجل، قلت له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني، وذكر رواية الحارثي بسنده ابن أبي عاصم في الزهد (ص: ٤٧، رقم: ٨٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٢/٢، رقم: ٦٩٧). وقيل: إن هذا الخبر مروي عن النبي ﷺ ولكن لم أعثر عليه ومعناه ثابت مرفوعا أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ (١٥٣/٩) عن أبي هريرة «أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه». وقال الحوت البيروني في أسنى المطالب (ص: ٩٢): لكن المعنى مختلف بين المعية والمجالسة. نقول: ليس بمختلف في حق الله تعالى فإنه منزه عن المعية والمجالسة كليهما معا فافهم. أنظر أيضًا في: اللآلي المنثورة للزركشي، والمقاصد الحسنة للسَّخاوي، والدرر المنتثرة للسيوطي، وكشف الخفاء للعجلوني.

(١) في د "الوصال" وفي الباقية "الوصول".

(٢) "به" زيدت من د.

(٣) في د، وخد "الانقطاع" بلام التعريف وفي الباقية بدون لام التعريف.

(٤) في مج بدون لام التعريف.

(٥) في طو "بقدر أن انقطاعهم عن غير الحق"، وفي د "من" مكان "عن".

(٦) في ر "الوصول".

(٧) أخرجه الديلمي في الفردوس، باب الياء (٥/ ٣٥٣، رقم: ٨٤١٣) الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي، باب المتزاورين=

فإن قيل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ يقال: الطريق له بداية ونهاية[1]، سُئِل الجنيد ـ رحمه الله ـ عن النهاية، فقال: الرجوع إلى البداية، قال بعضهم: أراد الرجوع إلى الله؛ لأن الله تعالى أوّل كل شيء و مبدأه، و مرجع كل شيء ومنتهاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾(هود: ١٢٣)، و قال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة: ٢٤٥)، فمنه المبدء وإليه المنتهى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾(النجم: ٤٢).

وله معنىً آخر؛ وهو أن نهاية المريد وغايته أن يبلغ إلى حال[2] بدايته حيث خلقه الله تعالى وصوَّره[3] في بطن أمه، ونفخ فيه الروح، وأنه في تلك الحالة[4] كان في غاية الفقر و الحاجة إلى الله تعالى، و في غاية التوكل على الله تعالى، ولا حافظ له، ولا مُربِّي له[5] في تلك الحالة إلا الله، وأنه كان[6] في تلك الحالة في غاية الضعف، والعجز، والتواضع، والتذلُّل، والخضوع لله تعالى، وأنه كان في غاية الصفاء من الحقد، والحسد، والكبر، والعُجْب، والهوى، وسائر الصفات الذميمة، والذنوب كلها، وكل ذلك كمال العبد، وبتلك[7] الأحوال يبلغ العبد درجة الحرية، فالحرية نهاية العبودية، فهي بداية العبد عند[8] ابتداء خلقته، فافهم فإنه بعيد الغور[9].

و أما الطريقة فهي لباب[10] الشريعة، لا هي الشريعة[11]، ولا هي غير الشريعة، و بداية الطريقة الأخذ بالأحسن والأحب، والاحتياط في أحكام الشرع، والاجتناب عن الرخص[12] والتسهيلات، ثم في الطريقة منازل ومقامات، و لكل منزل و مقام بداية و نهاية، و لا يصل أحد إلى النهاية إلا بتصحيح البداية.

=في الله عز وجل (٢/ ٧٩١، رقم: ١١٠١) مسند الشاميين للطبراني، عطاء الخراساني عن أنس بن مالك (٣/ ٣٠٠، رقم: ٢٣٢٥)، الأمالي الخميسية للشجري، زيارة الإخوان وفضلها وما يتصل بذلك (١/ ٣٧٢)

(١) في د "الطريق إلى الله تعالى" بدون "له بداية ونهاية"

(٢) في د بدون "حال".

(٣) في ر "في تلك الحالة" زائدة.

(٤) في د "الحالة" وفي الباقية "الحال".

(٥) "له" زيدت من ك.

(٦) "كان" زيدت من ك.

(٧) في خد، و طو "تلك" وفي الباقية "ذلك".

(٨) في طو "عن" بدل "عند".

(٩) في ر "عن الغور".

(١٠) في طو "كتاب" بدل "لباب".

(١١) "لا هي الشريعة" زيدت من د.

(١٢) في طو "اجتناب الرخص".

فصل في أن الوصول إلى النهاية بتصحيح البداية :

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: لا يصل أحد إلى النهاية إلا بتصحيح البداية، وقال بعضهم: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصو ل.[١]

و قال أبوسليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: و إنما حرموا الوصول ـ وهي الحقيقة ـ لتضييعهم الأصول ـ[٢] وهي الطريقة ـ.

وقال الجنيد: أصولهم خمس خصال[٣]: صيام النهار، و قيام الليل، و إخلاص العمل، والإشراف[٤] على الأعمال بطول الرعاية، والتوكل على الله تعالى في كل حال.

وقال سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ: أصولنا[٥] سبعة أشياء: التَّمَسُّك بكتاب الله تعالى، والاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، و أكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

فصل في أن علوم الصوفية علوم الأحوال:

علوم الصوفية علوم الأحوال[٦]، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال؛ ولهذا قالوا: لا وارد لمن لا وِرْد له، وقال أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: كل عمل لا ميراث له في الدنيا لا جزاء عليه في الآخرة.

وتصحيح الأعمال بمعرفة[٧] علومها، و هوعلم الفقه من الصلاة، والصيام، وسائر الفرائض، والسنن الراتبة.

فأوَّل ما يجب على العبد بعد علم المعرفة والتوحيد: الاجتهادُ[٨] في طلب هذا العلم على قدر ما أمكنه على طريق الكتاب، والسنة، و إجماع السلف الصالح.

قال بعضهم: العمل بغير علم سقيم، والعلم بغير عمل عقيم، والعمل بالعلم صراط مستقيم؛ ولهذا فُرِض طلب العلم.

---

(١) في مج "لتضييعهم الأصو ل"

(٢) في د بزيادة "والأصو ل" بعد "الأصول" وهو خطأ.

(٣) في د "خلال".

(٤) في ك "الأشدات" مكان "الإشراف" وهو خطأ.

(٥) في ر "أصولها".

(٦) في خد "علوم الصوفية علوم الأحوال" ساقطة.

(٧) زيد حرف الباء من د وليس في غيرها وفي ر "تصح" بدل "تصحيح".

(٨) في ر "بعد علم الفقه، المعرفةُ، والتوحيدُ، والاجتهادُ".

قال النبي عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[1]

وفي بعض الروايات: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة»[2].

والعِلْمُ الَّذي فُرِضَ طَلَبُه هُو الَّذي به يصحّ اعتقاده، وإيمانه[3]، وتوحيده، وعمله، ومعرفته، وما لا يسعه[4] جهله، وكل علم لا يكون طريقه التوحيد فباطل.[5] فمن صح له العلم الراجح وصح له توحيد الحق فيجب عليه عبوديته، والواجب عليه قد يكون في ظاهره كأعمال الجوارح، وقد يكون في باطنه كأعمال القلوب.

فصل في أن العلم الراجح هو في كتاب الله تعالى:

هذا العلم الراجح الذي به يصح اعتقاده، ومعارفه[6]، وعمله الصالح ، هو في كتاب الله تعالى؛ فإن القرآن هو الإمام في الاعتقاد، والإيمان، والتوحيد، والمعرفة، والأعمال، والأحوال[7].

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾(فاطر: ٣١)، وقال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(الأعراف: ٣).

وكذا[8] الأخبار، قال النبي ﷺ: «إني تَرَكتُ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلوا، كتابَ الله وعِترَتي»[9].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/ ٨١، رقم: ٢٢٤) قال السيوطي في مصباح الزجاجة على شرح ابن ماجه: (٢٠/١) سئل الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي سندا، وإن كان صحيحا، أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزي: هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال. فإني رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء. وقال الزركشي في اللآلي المنثورة: (ص:٤٠) روي من حديث علي وابن مسعود وانس وابن عمر وابن عباس وجابر وأبي سعيد، وفي كل طرقه مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقال: فالحديث حسن.

تنبيه: قد ألحق المصنف والآخرون بآخر هذا الحديث «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحا.

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢٣٠/٢، ترجمة ٧٧٧)، وابن عدى في الكامل (١١٨/٤، ترجمة: ٩٦٣) كلاهما فى ترجمة طريف ابن سلمان أبي عاتكة. والبيهقى فى شعب الإيمان (١٩٣/٣، رقم: ١٥٤٣) وقال: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجه كلها ضعيفة. وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (٢٩/١، رقم: ٢٠) والخطيب في تاريخ بغداد (٤٩٨/١٠، ترجمة: طريف بن سلمان) ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات، كتاب العلم (٢١٥/١) وقال العجلونى في كشف الخفاء (١٥٦/١، رقم: ٣٩٧): ضعيف. وقال ابن حبان: باطل. وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، ونوزع بقول الحافظ المزى: له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن، وبقول الذهبى فى تلخيص الواهيات: روى من عدة طرق واهية وبعضها صالح.

(٣) في طو تقديم كلمة "يصح" على "به"، وكذا تقديم "إيمانه" على "اعتقاده".

(٤) في ك "يسيغه" مكان "يسعه".

(٥) في د "فهو باطل" مكان "فباطل".

(٦) "اعتقاده" زيدت من د.

(٧) في ك، وخد "معرفة الأعمال والأحوال" مكان "والمعرفة، والأعمال، والأحوال".

(٨) في ر "كذلك".

(٩) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ (٥/ ٦٦٢، رقم: ٣٧٨٦) بلفظ: «يا أيها الناس إني تركت=

ومن لم يبلغ هذه الرتبة فلا بدّ له[1] من شيخ كامل يدلّه على الطريق ويرشده إلى الله تعالى؛ ولذلك قالوا: «من لا شيخ له فالشيطان شيخه»[2]. والشيخ يدلّه على المجاهدة، والرياضة[3]، والزهد، والتقوى. وكيف ما كان، لا بد له[4] من سراج العلم و مشعلته[5] كيلا يتخبط في الطريق فيخرج شاطحا غالطا، فإن بنور العلم ضياء القلب وبذهابه عماه، قال الله تعالى: ﴿وَ مَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهٖٓ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَ اَضَلُّ سَبِيْلًا﴾[6](الإسراء:٧٢).

قال أبو علي الرُّوذباري ـ رحمه الله تعالى ـ: كان أستاذي في [7]التصوف الجنيد، وكان أستاذي في الفقه أبو العباس بن سريج، وكان أستاذي في النحو واللغة ثَعْلب، وكان أستاذي في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إبراهيم الحربي[8] و لا بد من كل ذلك في استكمال النفس[9].

فصل في أن طلب العلم أفضل الأعمال عند الصوفية:

الصوفية رأوا طلبَ[10] العلم أفضل الأعمال لتوقفها عليه، فإن الجاهل قد يعتقد ما ليس بقربةٍ قربةً،

=فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٤/ ١٨٧٣، ٢٤٠٨)، والآخرون في كتبهم بألفاظ مختلفة.

(١) في د "هذه المرتبة" بدل "الرتبة" وزيدت "له" من د.

(٢) في د "فالشيخ له إبليس" مكان "فالشيطان شيخه". وهذا الكلام من أقوال المشايخ وتؤيده الآيات البينات، والأحاديث الصحيحة قال الله تعالى: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ كُوْنُوْا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ (التوبة: ١١٩)، و ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَ اَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَ اُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، و قال ﴿وَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد:٧) ، وقال ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰىهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩)، وقال ﴿وَّ اتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥) ، وقال ﴿اَلرَّحْمٰنُ فَسْـَٔلْ بِهٖ خَبِيْرًا﴾ (الفرقان: ٥٩) ، وقال ﴿وَ لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيْرٍ﴾ (فاطر: ١٤) ، وقال ﴿وَ مَنْ يَّعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهٗ شَيْطٰنًا فَهُوَ لَهٗ قَرِيْنٌ ۔ وَ اِنَّهُمْ لَيَصُدُّوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ وَ يَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ﴾ (الزخرف: ٣٦،٣٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جزء من حديث: «العلماء ورثة الأنبياء»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضًا: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» رواه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل(٢٤/١) وروى مسلم في مقدمة صحيحه، باب في أن الإسناد من الدين (١٤/١) عن ابن سيرين أنه قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

(٣) "والرياضة" ساقطة في ط ، وخد.

(٤) في طو "فلا بد" بزيادة الفاء و "له" ساقطة في د ،و طو.

(٥) في طو، ومج "مشعلة المعلم"، وفي د "مشعلة العلم".

(٦) في د ﴿وَ اَضَلُّ سَبِيْلًا﴾ ساقطة.

(٧) في ر بزيادة "علم".

(٨).في جميع النسخ "أبو العبّاس بن شريح" والصحيح "سريج" (المتوفى ٣٠٦ هـ) وكذا في بعض النسخ "ابراهيم الجوفي" وفي الأخرى "الجوني" والصحيح "إبراهيم الحربي" (١٩٨ - ٢٨٥ هـ = ٨١٥ - ٨٩٨ م) كلا الاسمين أثبتناهما من تاريخ الإسلام للذهبي تحت ترجمته لأبي علي الروذباري [المتوفى: ٣٢٢ هـ] (٧/ ٤٦٩).

(٩) في طو "لا بد له في كل ذلك من استكمال النفس".

(١٠) في طو بدون "طلب".

كبدع المبتدعة[1] بأفعالهم، نحو حلق اللحى، والتطوُّق بأطواق الحديد وغير ذلك مما اخترعه[2] الجهلة. ولا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان صوابًا خالصًا، والصَّواب: ما كان على وفق الشريعة المطهرة، والخالص: ما أريد به وجه الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(البينة: ٥).

وأجمعوا على أن جميع ما فَرَضَ اللهُ تعالى على العباد في كتابِه، وأَوْجَبَه رسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرض لازم، وحتم واجب، لا يجوز[3] التخلف عنه، ولا يسع[4] فيه التفريط لأَحَد من الناس من صدّيق أو ولي أو عارف، وإن بلغ أقصى المراتب و أعلى الدرجات، وأنه لا مقام للعبد يُسقط عنه آداب الشريعة، فإن من المعلوم بالضرورة أن أقرب الناس إلى الله تعالى أنبياؤه و رسله ـ عليهم السلام ـ، ولم يرتفع عنهم التكليف إجماعًا مع بلوغهم الرتبة[5] العالية، فَمَنْ دونهم أولى بذلك، بل كلّما ازداد[6] القرب كانت المطالبةُ بأداءِ آدابِ الشريعة و المعاتبةُ على تَرْكها أكثر. فعُلِم بذلك أن صحة العمل بصحة العلم. ولهذا قال سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ: اجتنب صحبة ثلاثة[7] أصناف من الناس: الجبابرة الغافلون، و القراء[8] المداهنون، والمتصوفة الجاهلون.[9]

فصل في علوم الشريعة :

علوم الشريعة[10] أصول و فروع، فالأصول أصول الدين، مثل التوحيد، والمعرفة، والإيمان، والإيقان. والفروع ؛ هي[11] الأعمال، و الطاعات، و الأحوال. و المقامات فروع هذه الأصول وزياداتها.

وأقسام العلوم أربعة:

القسم[12] الأول: علم الرواية والأخبار والآثار ؛ وهو العلم الذي ينقله الثقات عن الثقات.

(١) في ر "المبدع" بدل "المبتدع".
(٢) في مج "اخترعته" .
(٣) في طو بزيادة "لأحد"
(٤) في طو "ليسيع" مكان "لا يسع".
(٥) في مج "المرتبة".
(٦) في طو "زاد" بدل "ازداد".
(٧) في د "ثلاث" مكان "ثلاثة".
(٨) في مج "القراءون" بدل "القراء".
(٩) "والله أعلم بالصواب" زائد في د وهكذا في اختتام أكثر الفصول.
(١٠) في د "العلوم الشريعة" وفي ر "علوم الشريعة له" وفي غيرهما بدون اللام الجار "علوم الشريعة أصول و فروع".
(١١) في د، ومج "وهي" بزيادة حرف العطف.
(١٢) "القسم" هذه زيادة من المحققين ليتفق النص أعني القسم الثاني والقسم الثالث وهلم جرًا.

والقسم الثاني: علم الدراية ؛ و هو علم الفقه و الأحكام المتداولة[1] بين العلماء و الفقهاء.

والقسم الثالث: علم النظر و الاستدلال على المخالفين بإثبات الحجة على أهل البدع[2] والضلال، نُصْرةً للدين.[3]

والقسم الرابع:ـ وهو أعلاها وأشرفها ـ، علم الحقائق والمنازلات والأحوال، وعلم المعاملة والإخلاص في الطاعات، و التوجّه إلى الله تعالى من جميع الجهات.

فمن غلط في علم الحقائق والأحوال فلا يَسأل عن غلطه إلا عالمًا منهم[4] كاملًا في معناه. فهذه العلوم كلها توجد في أهل الحقائق من الصوفية، ولا يوجد علم[5] الحقائق في غير أهلها؛ لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق، فإذا انتهى إليها[6] وقع في بحر لا ساحل له، وهوعلم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار؛ فإن اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد، فهو الإمام الكامل، و هو القطب، و الحجة، والداعي إلى المنهج والمحجة؛ قال رسول لله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا تزال[7] طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[8]، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ في كلام لكميل بن زياد: «[9]اللهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، كَيلَا تَبْطُلَ آياتُه، وتدحض حُجَّتُه، أُولَئِكَ[10] الْأَقَلُّونَ عَدَدًا[11]، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا»[12].

---

(١) في مج، و ر"المتداولة" وفي الباقية "المتداول".

(٢) في د "والاستدلال للحجة على أهل البدعة" وفي طو "وإثبات" مكان "بإثبات".

(٣) "نُصْرةً للدين" زيدت من طو و ر.

(٤) في طو بدون "إلا" وفي د "منهم" بعد "كاملا".

(٥) في جميع النسخ "أهل" إلا في د.

(٦) في د "عليها".

(٧) في طو "لا تزال" وفي الباقية "لا يزال" و في طو "خذلان" بدل "من خذلهم".

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...» (٩/ ١٠١، رقم: ٧٣١١) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي .» (٣/ ١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧) والآخرون بألفاظ مختلفة.

(٩) "أقسم بالله إن الطائفة من العباد قائمون على الحق" زائد في طو و ك، وفي د مكانه "علِّمه".

(١٠) "هم" زائد في طو.

(١١) "و" العاطف زائد في طو.

(١٢) أخرجهُ أبو نعيم في الحلية (٨٠/١)، والخطيبُ في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١- ١٨٣ رقم: ١٧٧) ، والمزي في تهذيب الكمال (٢٢١/٢٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ١٨) و الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٢) وعلى الرغم من ضعفه فقد اهتم ابن القيم بشرح هذا الأثر في كتابه مفتاح دار السعادة (١٢٣/١) ، وابنُ رجب الحنبلي في رسالته كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (٣٢٣/١).

فصل في أن ليس لأحد أن يزعم أنه يحوي جميع العلوم:

ليس لأحد أن يزعم أنه يحوي جميع العلوم فيخطئ برأيه كلام المخصوصين بذلك و يزندقهم، وهو غير ممارس أحوالهم وغير منازل حقائقهم، وأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[1](يونس: ٣٩) وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(الأحقاف: ١١).

وذلك لأنَّ اللهَ خصَّ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعلوم ثلاثة، علم بين الخاصة والعامة، وهو علم الحدود والأمر والنهي. وعلم خص به بعض الصحابة دون غيرهم، و هو الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان صاحب السرّ ـ رضي الله عنه ـ، وروي عن علي ـ كرَّم اللهُ وجهَه ـ أنه قال: «علَّمني رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعين بابًا من العلم لم يُعلّم ذلك أحدًا غيري»[2]. وعلم خصَّ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشارك فيه أحدٌ من الصحابة، وهوالعلم الذي قال عليه السلام: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ، وَلا تَقَارَرْتُمْ عَلَى فُرُشِكُمْ[3] ،وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ،[4] والله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَد»[5].

---

(١) وفي ر هذه الآية و"وأعمالهم" ساقطة. والآية التالية مكتوب على وجه الخطأ.

(٢) نقل أبو نصر السراج الطوسي في اللمع، باب ذكر التخصيص في علوم الدين (ص:٣٨) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦٨) عن ابن عباس، قال: «كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى علي سبعين عهدا، لم يعهد إلى غيره» والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٦١، رقم: ٩٥٦) وقد وردت الأحاديث والآثار عن سعة علم سيدنا علي كرم الله وجهه الكريم منها: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها» أخرجه الترمذى (٦٣٧/٥ ، رقم ٣٧٢٣) و «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب » أخرجه الحاكم (١٣٨/٣ ، رقم ٤٦٣٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٥٥/٨، ترجمة: جعفر بن محمد أبي محمد الفقيه) وابن عدى في الكامل (٤١٢/٣ ترجمة:٨٤٠ سعيد بن عقبة أبي الفتح) وعن هاتين الروايتين قال السخاوي في المقاصد (ص: ١٧٠) «وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة وأحسنها حديث ابن عباس بل هو حسن» وقال الزركشي في اللآلي المنثورة (ص: ١٦٥) «والحاصل أن الحديث ينتهي لمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا» وقال السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ٥٧): «وقال الحافظ أبو سعيد العلائي: الصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف، فضلا عن أن يكون موضوعا. قلت: وكذا قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتوى له». وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (ص: ١٢٣): «رواه جماعة ، وصححه الحاكم، وحسنه الحافظان العلائي وابن حجر» ونقل السيوطي عن سعة علم سيدنا علي رضي الله عنه في الإتقان في علوم القرآن (٤٤٩/٢) «قال ابن أبي جمرة: عن علي رضي الله عنه أنه قال: لو شئت أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت».

(٣) وفي طو "الفرش" وفي ر "فراشكم".

(٤) وفي ر "وقلتم" زائدة ، و فيها أيضًا "تقطع" بدل "تعضد"

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا» (٤/ ٥٥٦، رقم: ٢٣١٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤، رقم: ٣٨٨٣) بلفظ: والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى و الله لوددت أني شجرة تعضد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة و عائشة و ابن عباس و أنس، وقال: هذا حديث=

فعلى هذا يجب على القائل والسامع[1] مراعاة الكلام في المخاطبات؛ فالذي يجب على القائل أن لا يطلق اللفظ المبهم الموهم إلا إذا فهمه السامع، والذي يجب على السامع أن لا يبادر إلى تخطئة القائل عند سماعه، بل يحسن الظن به ويحمل عدم ظهور الحق على قصور فهمه.

باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل :

لا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي به؛ لأنه رفيق في الطريق، ويعلم أن لهذا الشأن محكًا ومعيارًا، وهو القرآن، والأخبار، وإجماع الأمة المسلمة. فما وافق المعيار وخرج من المحك سالمًا من الغش فهو صحيح، و ما خالف ذلك فهو فاسد باطل، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ابْتَغُوْٓا اِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾(المائدة: ٣٥)، و قال عليه الصلاة و السلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2].

و روى الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإحياء: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «الشيخ في

=حسن غريب، ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال لوددت أني كنت شجرة تعضد، وقد رواه أصحاب الصحاح بنقص وزيادة، ولفظ الشيخين: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا».

(١) في د " أن للسائل" مكان "والسامع".

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، باب ذكر الدليل من أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب (٢/ ٩٢٥، رقم: ١٧٦٠)، و عبد بن حميد في المنتخب من المسند (ص: ٢٥٠، رقم: ٧٨٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٨٥- ٧٨٦)، و البيهقي في المدخل (١/١٦٢، رقم: ١٥٢)، والخطيب في الكفاية (ص: ٤٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٢٧٥، رقم:١٣٤٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٦٥، رقم: ٧٠٣) بألفاظ مختلفة، ومعناه واحد. ولكن هذا الحديث غريب لم يروه أحد من أصحاب الكتب المعتمدة وله طرق ضعّفها علماء الجرح والتعديل وأما معناه فهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ اَدْعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ﴾ فالنبي ﷺ داع إلى الله على بصيرة وأتباعه أيضًا دعاة إلى الله والرعيل الأول لأتباعه هو الصحابة كلهم ففهم من هذه الآية أن الصحابة كلهم دعاة الطريق إلى الله وهداته فمن اقتدى بهم اهتدى إلى سواء السبيل وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَّسَطًا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فإن حملة لواء الأمة الوسط وقوادهم الأولين، المشهودين بالرسول بدون الواسطة، هم أصحاب النبي ﷺ وهذا القدر من شهادة القرآن لهم يكفي لكونهم هادين لمن يقتدي بهم وقال سبحنه تعالى: ﴿وَالسّٰبِقُوْنَ الْاَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهٰجِرِيْنَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِاِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا﴾ (التوبة: ١٠٠) ودلت هذه الآية على رضاء الله تعالى عن الأنصار والمهاجرين والذين اتبعوهم إلى يوم الدين وعلى سخطه على من يخالف سبيل الرسول والمؤمنين وهم الصحابة أولا بلا ريب.

وهناك أحاديث صحيحة وحسنة تؤيده منها: قال رسول الله ﷺ في بيان الفرقة الناجية «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/٢٦، رقم: ٢٦٤١) و الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨، رقم: ٤٤٤) ومنها «النجوم أمنة أهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتي أهل السماء ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتي أمتي ما يوعدون» أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤/ ١٩٦١، رقم: ٢٥٣١)، وأحمد في مسنده عن أبي موسى الأشعري (٣٢/ ٣٣٥-٣٣٦، رقم: ١٩٥٦٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦/٢٣٥، رقم: ٧٢٤٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ٣١٨- ٣١٩)

وأما الإجماع فقد اتفق العلماء على عدالة الصحابة وكونهم الهادين والمهديين ومن يقتدي بهاد ومهدي لا شك في كونه مهتديا.

قومه كالنبي في أمته»[1]، و قال ـ رحمه الله تعالى ـ : ليس ذلك بكثرة ماله و لا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله؛ ولذلك ترى أجلاف الخلق يوقرون المشايخ بالطبع، فضلًاعن ألطاف الناس.[2]

فَالشَّيخُ هو الَّذي سَلَك طَرِيقَ الحقِّ وعرَف المخاوفَ والمهالك، فَيُرشِد المريدَ و يشير إليه بما ينفعه و يضرُّه[3] ، فلا يكون الشيخ[4] وصحبته أقل من الجليس الصالح، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يجدك من عطره عبق بك رائحته، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك ناره عبق بك دخانه و رائحته»[5].

فصل في أن يحتاط المريد في اختيار الشيخ و يجتهد في معرفته :

إذا وصل المريد إلى الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ أنه هل يصلح مسيئًا[6] ويجوز الاقتداء به؟ فإنَّ أكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل، بل هلاك عموم الناس كان بالاقتداء بالأئمة المضلة[7]، قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه ابْن حبَان فِي الضُّعَفَاء من حَدِيث ابْن عمر (ترجمة عبد الله بن عمر بن غانم قاضي إفريقية، ٤٥٩/١) وَأَبُو مَنْصُور الديلمي (٣٧٣/٢، رقم الترجمة:٣٦٦٦) ومعجم ابن عساكر من حَدِيث أبي رَافع بِسَنَد ضَعِيف (٢/ ٧٠٣) وعزاه السيوطي في الجامع الصغير للخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه ولكن هذا الحديث غير ثابت مرفوعاً عند أهل العلم، كابن حجر وغيره. وقال بعضهم: إنه من أقوال المشايخ، ولكن معناه موافق للكتاب والسنة كما في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ (النساء: ٥٩)، قال تعالى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ (لقمان: ١٥) وفي السنة الصحيحة: "إن العلماء هم ورثة الأنبياء" أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (١/ ٢٤) وأحمد في مسنده عن أبي الدرداء (٣٦/ ٤٥، رقم: ٢١٧١٥).

وقد فهم بعض الشارحين أن معنى كلمة "الشيخ" هو ضد الشاب، والصحيح أن المراد به العالم الرباني وهو حقا من أولي الأمر يطاع فلا يعصى. قال المناوي في فيض القدير (٤/ ١٨٥): قال ابن عربي : الشيوخ نواب الحق كالرسل في زمانهم فهم ورثوا الشرائع وعليهم حفظ الشريعة لا التشريع وحفظ القلوب ورعاية الآداب، فهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة، والطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن، والعالم بالطبيعة يعرفها مطلقا وإن لم يكن طبيبا.

(٢) كتاب العلم، الباب السابع في العقل (٨٣/١)

(٣) في ك "وما يضره".

(٤) في مج بزيادة "في طريق الحق".

(٥) في طو "الكير" بدل "القين" والحديث رواه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الأدب باب الجليس الصالح (٨/ ٦١، رقم:١٢٩٣١) عن أبي موسى قال: قال رسول الله - ﷺ -:«مثل الجليس الصالح مثل العطار، إن لم يحبك من عطره يعبق بك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرق ثيابك يعبق بك من دخانه» وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن، وأخرجه البخارى في صحيحه كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٧٤١/٢ ، رقم: ١٩٩٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٠٢٦/٤ ، رقم: ٢٦٢٨)، والآخرون من أصحاب الصحاح بألفاظ مختلفة ولفظ البخاري: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة»

(٦) في د " للمشيخة شيئا" مكان "مسيئا".

(٧) في طو بزيادة "الضالة".

﴿وَ قَالَ الشَّيْطٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْاَمْرُ اِنَّ اللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُّكُمْ فَاَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ اِلَّآ اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ فَلَا تَلُوْمُوْنِيْ وَ لُوْمُوْٓا اَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، والسلطان هوسلطان الحق، قال رسول الله ﷺ: «لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله»[١].

وطريق معرفته أن يعلم المريد أن جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ متابعتهم فرض لازم وحق صواب[٢] لا سيما نبينا محمد خاتم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، ودينهم في الأصول واحد. ويجتهد في معرفته ـ أعني معرفةَ الله تعالى ومعرفة صفاته عز وجل ـ و معرفة الكتب، والرسل، والملائكة، وأمور الآخرة، لايسع فيها الخلاف والنسخ؛ إذ الحقائق لا تقبل[٣] النسخ و إنما النسخ في الأحكام.

ثم يعلم أن اختلاف الأمة[٤] في فروع الإسلام، لابأس به، بل هو رحمة، وكل مجتهد مصيب، يعني لو أخطأ في إصابة الحق يستحق من الثواب[٥] كفلا وإن أصاب يستحق كِفْلَين كما في الخبر.[٦]

وأما المخطئ في الأصول فضالٌّ، مبتدع، عاص، وطريق نجاته من البدعة متابعة[٧] الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة في معرفة ذات الله تعالى وصفاته ـ جل وعلا ـ.

فإن وجد[٨] الشيخ على هذا المذهب يبحث بعد ذلك عن علمه بالطريقة والحقيقة، فإن كان مبتديًا يعرف ذلك من أفواه الناس ومن أحوال الجماعة الذين يقتدون به، يحبونه ولا ينكرون عليه. فإن علم أنه لا ينكرعليه علماء زمانه، ورأى بعض العلماء يقتدون به، وأكياس الناس من الشيوخ والشباب[٩] يبايعونه، ويرجعون إليه في طلب الطريقة والحقيقة، يعلم أنه ماهر في ذلك، والاقتداء به إن قبله الشيخ عين

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، فصل في فضل العقل (٣٥٤/٦، رقم: ٤٣٢٠) وقال: إسحاق بن أبي فروة ضعيف، وقد روى عنه الأكابر والله أعلم، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٨٨ رقم:٩٤٣) والعقيلي في الضعفاء (١٠٢/١ ترجمة ١١٩ إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة)، وابن عدى فى الكامل (٤١٢/٢ ، ترجمة ٥٣١ حبيب بن أبى حبيب) نقول: ولعل هذا هو المراد في قوله تعالى: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوْٓا اَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًۢا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوْا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نٰدِمِيْنَ﴾(الحجرات:٦).

(٢) في د "حق وصواب" بالعطف.

(٣) في د، وخد، وك "يقبل"

(٤) في مج "الأئمة" وفي الباقية "الأمة".

(٥) في طو "من الثواب" وفي غيرها من دون "من".

(٦) كما روى البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٠٨/٩ رقم: ٧٣٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٣٤٢/٣، رقم ١٧١٦): أن رسول الله ﷺ قال: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر".

(٧) في غير طو "بمتابعة" بالباء الجارة.

(٨) في خد بزيادة "المريد".

(٩) في طو، ومج "الشبان" مكان "الشباب".

المصلحة، فيقتدي به وينقاد له فيما يأمره من معاملات الطريقة، ويعتقد في قلبه أن لا شيخ له غيره، ولا يوصله إلى الله تعالى إلا هذا. وهذا توحيد المطلب، وأنه ركن عظيم، [1]غلط فيه كثير من المريدين وانقطعوا به من طريق الله حيث[2] تردَّدُوا بين المشايخ، و ذاقوا من طريقة كل واحد[3] ذوقة وتشوَّشُوا فيه.

مسألة: معنى توحيد المطلب عند الصوفية :

المراد من توحيد المطلب أن يتحقق الطالب أنه لا يمكنه[4] الوصول إلى مطلوبه إلا من يد شيخ معيّن موصوف بما ذكرنا، فإن من تشعبت به همومه لا يبالي الله تعالى في أي واد[5] أهلكه، فكما أن الحق واحد والقبلة واحدة، ينبغي[6] أن يكون المطلب واحدًا، لئلا يتصرف فيه الشيطان ولا تزعجه النفس.[7]

مسألة: معنى الصدق و الإخلاص :

ينبغي أن يكون المريد صادقًا مخلصًا. أما الصدق: فأن يكون مستقيمًا مع الله ظاهرًا، و باطنًا، وسرًّا، وعلانية[8]، وأن يكون بجميع أطواره طالبًا لله تعالى، يعني ببدنه، ونفسه، وقلبه، وعقله، وسره، وروحه.

وأما الإخلاص: فأن يكون جميع حركاته وسكناته، وقيامه وقعوده، وتقلباته، وأفعاله، و أقواله لله تعالى، فبهذا الطريق يرجى[9] له معرفة الله تعالى وصفاته عز وجل، وذلك التوحيد.[10]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى عز وجل: من طَلَبَني وجدني ومن طلَب غيري لم يجدني»[11]

---

(١) في د "كما" زائدة.

(٢) في طو "طريق" ساقطة وكذا في د "حين" مكان "حيث".

(٣) في ك، وخد "أحد" مكان "واحد".

(٤) في مج، و ر "لا يمكن" بدل "لا يمكنه".

(٥) في طو "أودية" مكان "واد".

(٦) في د "فينبغي" بزيادة الفاء.

(٧) في طو "كيلا" مكان "لئلا" وكذا "تزعجه" بدون "لا" وفي د "يزعجه".

(٨) في د "علنا" مكان "علانية".

(٩) في ك "ترجي" مكان "يرجي".

(١٠) في ك، وخد، و ر "بالتوحيد" مكان "التوحيد".

(١١) في ك، وخد، ومج "لم يجدني به". أخرج الحديث أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد (المتوفى ٢٧٠هـ) في المحبة لله سبحانه (ص:١١١) وأبو نعيم في الحلية (١٠/١٩٣) وأبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى٦٠٠هـ) في الترغيب في الدعاء (ص: ٥٣، رقم: ١٩) بأسانيدهم، وقال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، كتاب المحبة والشوق، بيان معنى الشوق إلى الله (٢/ ٢٧١): (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لكعب) الأحبار رحمه الله تعالى (أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوارة فقال يقول عز وجل: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقا) ولفظ القوت: طال شوق أوليائى إلي وأنا إليهم أشوق، (قال ومكتوب إلى جانبها: من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله صلى=

وفيه رجاء عظيم للطالبين بوجدان[1] الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه أضاف الطلب والوجدان إلى ذاته، ولكن الشرط الصدقُ في الطلب مع كمال الإرادة، وإخلاص الطلب عن شائبة طلب الغير[2]، حتى يكون في طلبه صادقًا، مخلصًا، موحدًا، هو التوحيد القائم بالأزل[3].

معنى التوحيد عند الصوفية :

والتوحيد عند الصوفية أن لا يذكر شيئًا إلا الله تعالى، ولا يعلم شيئا إلا هو، ولا يفهم شيئًا سواه، ولا يحب شيئًا إلا إيَّاه، فيحبُّ ذاتَه لذاته[4]، وعلى هذا الترتيب هو التوحيد عندهم.

مسألة : معنى الآية ﴿يَرْجُوْنَ رَحْمَتَهٗ...﴾:

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿يَرْجُوْنَ رَحْمَتَهٗ وَ يَخَافُوْنَ عَذَابَه﴾(الإسراء: ٥٧) [5]، الجواب: هذا في وصف المؤمنين دون الأنبياء والأولياء، وقال الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِيْنَ يُبَلِّغُوْنَ رِسٰلٰتِ اللّٰهِ وَيَخْشَوْنَهٗ وَلَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا اِلَّا اللّٰهَ﴾(الأحزاب: ٣٩)، وقال الله تعالى:﴿يُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهٗٓ﴾(المائدة: ٥٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إني أعوذ بك منك»[6].

وكل ذلك في القرآن أو الأخبار مؤكد لمقالة[7] هؤلاء الأئمة الصوفية، فافهم.

وأما شرائط الشيخ فيذكر[8] في بابه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

=الله عليه وسلم يقول هذا). نقله صاحب القوت وأغفله العراقي، والذى رواه أبو الدرداء مرفوعا هو قوله: يقول الله تعالى: من طلبني وجدني ومن طلب غيرى لم يجدني. ويؤيد معناه ما روى البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت (٩/ ١٤٥، رقم: ٧٥٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَاِنِّيْ قَرِيْبٌ اُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهٖ مِنْهَا وَمَنْ يُّرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهٖ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشّٰكِرِيْنَ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَاِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

(١) في د "لوجدان" مكان "بوجدان".

(٢) في مج بزيادة "والاجتناب من الغير".

(٣) "هو التوحيد القائم بالأزل" زيدت من د .

(٤) في طو بزيادة "و يريد ذاته لذاته، ويذكر ذاته لذاته، ويشكر ذاته لذاته، ويخاف ذاته لذاته، ويرجو ذاته لذاته".

(٥) في ك، وخد بزيادة "في وصف المؤمنين".

(٦) في طو بدون "إني". أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٤١، رقم: ٧١٠٦) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلوات، ما يقول الرجل في آخر وتره (٢/ ٩٩، رقم: ٦٩٤٣) و أحمد الدينوري الشافعي المعروف: بـ:ابن السني (المتوفى:٣٦٤هـ) في عمل اليوم والليلة: سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص: ١١٢).

(٧) في ك، وخد "بمقابلة".

(٨) في ر "فنذكر" وبدون "إن شاء الله" .

فصل فيما يعمل الطالب إذا اشتدت إرادته وشوقه إلى سلوك الطريق:

إذا صدقت إرادة الطالب واشتد شوقه إلى سلوك الطريق يطلب شيخًا يعلِّمه[١] الذكر، ويأمره بمواظبته حتى ينفذ [٢] حرارة نار الذكر في وجوده ـ إن شاء الله تعالى ـ، و يجعله مستعدا لأخذ التلقين ويلبسه خرقة التشبه [٣] في التصوف، إلى أن يجعله الله تعالى أهلًا للبس خرقة التصوف.

ثم على المريد أن يداوم على أهم[٤] الأذكار، والأهم للمبتدي قول "لا إله إلا الله"، فيداوم على الذكر القوي الخفي بشرط النفي والإثبات، بحيث ينفي بـ"لا إله" جميعَ الخواطر، خيرًا كان أو شرًّا، ويثبت بـ"إلا الله"[٥] ما يستحيل فقده، ويحضر شيخه بقلبه في كل ذكرعند مد "لا"، ويقول[٦] في نفسه: إن روحانية الشيخ حاضرة عندي ممدة لي.

فإذا كوشف بشيء في أثناء الذكر وخلال الخلوة وتجلى له الصور الحسنة أو القبيحة فلا يلتفت إليه، و لا إلى البروق و اللوامع، و لا إلى الألوان المنورة، ويعلم يقينًا[٧] أن النور الحقيقي منزه عن أن يكون ملونًا و مشكلًا ومتحيزًا في جهة من الجهات، وكل ما كان من قبيل الخيال فيتبدل في الحال، فيقول كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: إني ﴿لَآ أُحِبُّ الْأٰفِلِيْنَ﴾ (الأنعام: ٧٦). وإن ثبت فله حقيقة في عالم المعنى يتجلى عليه[٨] في عالم المثال، فينبغي أن لا يأذن نفسه أن يأنس به؛ لأن الله تعالى خلق في هذا الطريق سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، وجعلها أستارًا لكعبة الأسرار غيرة لها.

وأشار إلى هذا السِّر قول النبي ﷺ: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة».[٩]

---

(١) في ك، وخد "ليعلمه".

(٢) في ر "جوارحه" زائدة.

(٣) في ر "المتشبه".

(٤) في ك "المهم".

(٥) "في قلبه فيكون قد نفي بـ"لا إله" ما يستحيل أن يكون إلها وأثبت بـ"إلا الله" هذه زيادة في طو.

(٦) في طو "ولا يقول" مكان "و يقول" وهو خطأ من الناسخ.

(٧) "يقينا" زيدت من ك، وخد.

(٨) في طو "عينه" بدل "عليه".

(٩) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٢/٢- ٢٩٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، ما تسع نفسي حس شيء من تلك الحجب إلا زهقت نفسها.وقال: تفرد به موسى بن عبيدة الربذي، وهو عند أهل العلم بالحديث ضعيف، والحجاب المذكور في الأخبار يرجع إلى الخلق لا إلى الخالق، وروي الدارمي في رد الدارمي على بشر المريسي، باب الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه (ص:١٧٢-١٧٣) عن أبي زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل هل رأيت ربك؟، فانتفض جبريل، وقال: يا محمد: إن بيني و بينه سبعين حجابا من نور، لو دَنَوْت من أدناها حجابا لاحترقت، قلت والحديث بهذا السند مرسل. وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد،=

وهي هذه الأنوار الروحانية والظلم الجسمانية[1] وهي الحواس الخمسة، والطبائع الأربعة، والأغراض، والأخلاق، والنفس، والهوى، والشهوة، والشيطان و غير ذلك.[2]

فصل في رفع الحجاب الظلماني والنوراني:

رفع الحجاب الظلماني أسهل على السالك[3] من رفع الحجاب النوراني؛ لأن النفس الزاكية تهرب بالطبع من الظلمة وتأنس بالنور. ومن هذه الحجب السبعين ألفًا:

عشرة آلاف حجب ظلمانية مُستكِنّة في اللطيفة[4] القالبية ولونها كَدِر. فإذا اشتغل بالذكر واشتعلت[5] نيرانه يشاهد تلك الظلمات اللطيفة المطبقة[6] بعضها فوق بعض، فإذا صلح الوجود صَفَا وابيَضَّ مثل المُزْن[7] الأبيض.

ومنها عشرة آلاف كامنة في الطبيعة النفسية[8]، ولونها أزرق، و فيضان النفس على الوجود وتربيته منها، فإذا صفت و زكت أفاضت عليه الخير فينبت منه الخير، وإن أفاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر.

ومنها عشرة آلاف مودعة في اللطيفة القلبية، ولونها أحمر، مثل لون النار الصافية، إن لم تكن لقماته[9] حظوظية، وإلا فمعها دخان ولايكون لها في الصعود سرعة.

ومنها عشرة آلاف مكنونة في اللطيفة السرية، و لونها أبيض، مثل الزجاجة البيضاء الصافية التي وقعت عليها[10] الشمس.

=باب ذكر صورة ربنا عز وجل (٥١/١) عن هشيم عن أبي بشر عن مجاهد قال: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا، حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من نور وحجاب من ظلمة، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٧٠/٢) عن أنس إلا أنه قال: حجابا من نار أو نور، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢٣/١)عن العقيلي قال: حدثنا الوليد حدثنا أبو حاتم حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل بسند الدارمي عن زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل وذكره بلفظه وقال: هذا مسند صحيح الإسناد. قلت: ومما لا شك فيه أن الله احتجب عن خلقه بحجب، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

(١) في طو "الحجب الظلمانية" بدل "الظلم الجسمانية".

(٢) في د زيادة "والله أعلم".

(٣) في د "للسالك".

(٤) في ر "الطبيعة" بدل "اللطيفة".

(٥)المُزْنُ : السَّحابُ يحمِل الماءَ.

(٦) في د بدون "المطبقة".

(٧) في خد، وك "اشتعل".

(٨) في طو "مكامنة في اللطيفة النفسية".

(٩) في د "لقيماته".

(١٠) في د "عليه".

ومنها عشرة آلاف مودعة[١] في اللطيفة الروحية، ولونها أصفر في غاية الصفاء.

ومنها عشرة آلاف مدرجة في اللطيفة الخفية، ولونها مثل لون السَّجَنْجَل[٢] المُصَقّل مثل سواد العين في حدقة سويداء الإنسان، وفي هذا المقام يصل اللطيفة الأنانيةالخضرية إلى ينبوع الحياة.

ومنها عشرة آلاف موجودة في اللطيفة الحقيقية التي قامت بها هذه اللطائف ولونها أخضر، تقرّ به الأعين وتفرح به القلوب[٣]، و هو لون حياة القلب، ثم بقي بعده لون العقيق.

قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى: من اتصف به حمله على ما يجب عليه عدمه[٤]، شاء صاحبه أم أبى، لايأبى عليه[٥] كما لايأبى على الروح إذا احترز من النار، وهذا لايمتنع العدم على الشخص الموصوف بهذا اللون[٦]، وهذا اللون إنما يظهر باليسر بعد العسر و هو عسر المجاهدة.

فصل في ظهورأنوار اللطائف من وراء الأستار:

ومن وراء هذه الأستار يظهر أنوار اللطائف السبع فيشاهد في اللطيفة القالبية الجنّ، و في اللطفية النفسية يشاهد الجحيم، وفي اللطيفة القلبية يشاهد الجنة، وفي اللطيفة السرية يشاهد الملائكة، وفي اللطيفة الروحية يشاهد الأولياء، وفي اللطيفة الخفية يشاهد الأنبياء، وفي اللطفية الحقيقية[٧] يشاهد نبينا ﷺ، ثم يتجلى نور الأنوار، ويهلك في نوره جميع الأنوار، وينتهي السلوك في هذا المقام، ويتبدل السير بالجذبة الجلية، ولا يمكن سلوك في هذا الطريق إلا بالجذبة الخفية، ولا يمكن الوصول إلى الله تعالى إلا بالجذبة الجلية، إذا أحب الله عبدًا عشقه، وعشق عليه فيقول: يا عبدي أنت عشيقي ومحبي وأنا عشيق لك ومحب لك إن أردت أو لم ترد[٨]، ولا يتشرف أحد بالجذبة الجلية[٩] إلا بمتابعة النبي ﷺ. والجذبة الجلية مدرجة في قوله تعالى: ﴿**يحبُّهم**﴾(المائدة: ٥٤)، والجذبة الخفية مودعة في قوله تعالى: ﴿**يحبُّونه**﴾(المائدة: ٥٤)، فإذا أحب الله عبدًا وتقرب[١٠] إليه بالنوافل بالجذبة الخفية، فيحبه الله تعالى ويجذبه إليه بالجذبة الجلية، ويطلعه على سرِّ

---

(١) في د "مدرجة".

(٢) السَّجَنْجَلُ : المرآة.

(٣) في طو "مما تقر به العيون" بدل "تقرّ به الأعين" وفي د، وخد "تفرج" بدل "تفرح".

(٤) في طو "من اتصف به حمله على ما يجب أن يوجد ويمنعه عما يجب عدمه"، وفي غير د "عليه" بعد "يجب" ساقطة.

(٥) في مج "على فوقوع عليه تأبى عليه" مكان "لا يأبى عليه" وفي ر "لا تأبى كما لاتأبى" بصيغة المؤنث.

(٦) في طو "احترزت" بدل "احترز". "وهذا لايمتنع العدم على الشخص الموصوف بهذا اللون" زيادة من د.

(٧) في ر "الخفيفة".

(٨) في د، ومج، وطو "إذا أحب الله عبدا ...... إن أردت أو لم ترد" ساقطة.

(٩) "الجلية" زيادة من د.

(١٠) في د "عبدا تقرب" بدون العطف.

محبة الله تعالى إيَّاه، وهذا سرّ ذوقي، من لم يذق لم يدر.

فإذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرائط المذكورة أربعين يومًا مستمرا يفتح له باب المكاشفات، فأول ذلك مشاهدة الأنوار الروحانية والكواكب الروحانية، ثم مشاهدة الملائكة، ثم مشاهدة الصفات يفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق، وذلك في البداية إلى أن تعلو[1] درجته عن المثال، فيكافح بصريح الحق في كل شيء، فإذا رد إلى هذا العالم المجاز الذي هو كالظلال نظر إلى الخلق نظر مترحم، لحرمانهم عن جمال الحضرة القدسية وتعجب من قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور فيكون معهم حاضرًا بشخصه[2]، غائبًا بقلبه، يتعجب من حضورهم وهم يتعجبون من غيبته فهذه ثمرة لباب الذكر.

وأول الذكر ذكر اللسان، ثم ذكر القلب ثم استيلاء المذكور، و انمحاء الذكر[3]، و ذلك نتائج الأعمال الصالحة والأحوال السنية، وهذا في النهاية بصحة البداية.

باب في أقرب الطريق إلى حصول المقصود :

تصحيح البداية على ما يخصها أستاذ الطريقة أبو القاسم الجنيد ـ رحمه الله ـ أقرب الطرق[4] إلى حصول المقصود، وهو ثماني شرائط: (١)دوام الطهارة، (٢)ودوام الصوم، (٣)ودوام السكوت، (٤)ودوام الخلوة، (٥)ودوام الذكر ـ وهو قول: لاإلٰه إلا الله ـ، (٦)ودوام نفي الخواطر، (٧)ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه حتى يفنى[5] تصرفه في تصرف الشيخ، (٨)ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل ما يرد منه[6] عليه ضرًا[7] كان أو نفعًا، وترك السؤال عنه[8] من جنة أو تعوذ من نار.

وإنما يقوم بذلك من وفقه الله تعالى فنظر وتفكر فيما هو الأهم له، فيعلم أن الأهم له هو الله تعالى، فيكتسب في قلبه إرادة الله ومحبته ويعرض من الكون ويقبل على المكوِّن ـ و هو الله تعالى[9] ـ، فيرجع من طريق البعد إلى القرب، ومن الكسل والبطالة إلى الجد والاجتهاد، كما قال سهل التستري رحمه الله تعالى:

---

(١) في طو "تعلو" وفي ر"يتعالى" وفي غيرهما "يتعلى".
(٢) في د "شخص".
(٣) في د "ذكر الذاكر".
(٤) في طو "الطرق" ساقطة.
(٥) في ر "نفي".
(٦) في ك "منه" ساقطة.
(٧) في ر "ضررا".
(٨) في خد "عنه" ساقطة.
(٩) في طو "وهو" ساقطة.

الهجرة فُرِضَت إلى يوم القيامة من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

فصل في دوام الوضوء:

الشرط الأول: دوام الوضوء، فلا يمكث على الحدث سويعة ما، وإذا لم يجد الماء تيمم حتى يجد الماء، قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «الوضوء سلاح المؤمن»[2]، و «الوضوء على الوضوء نور على نور»[3]. وروى الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء[4] أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الدِّينُ عَلى النظافةِ»[5]، وقال: «مفتاح الصلاة الطهور»[6]، وقال: «الطهور نصف الإيمان»[7] قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا

---

(١) في طو "الجهاد" بدل "الصلاة" وهو خطأ. أخرج الحديث الطيالسي في مسنده (٣٣٦/٢ ، رقم: ١٠٨٩)، وأحمد في مسنده عن ثوبان (١٠٩/٣٧، رقم: ٢٢٤٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢٢٠/١، رقم: ٤٤٧)، والبيهقي في سننه (٣٢/١ ، رقم: ٣٨٤)، والدارمي في سننه (٥١٩/١، رقم ٦٨١، ٦٨٢)، وابن ماجه في سننه (١٠١/١، رقم: ٢٧٧) عن علي بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان وقال البوصيرى في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه كتاب الطهارة، باب خير العمل الصلاة (٢٥٤/١): هذا الحديث رجاله ثقات، إلا أنه منقطع بين سالم وثوبان ، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ، لكن له طريق أخرى متصلة أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو يعلى الموصلي والدارمي في مسنده وابن حبان في صحيحه من طريق حسان ابن عطية أن أبا كبشة حدثه أنه سمع ثوبان.

(٢) لم نجده وأطلق على الوضوء كلمة الرباط في قوله ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» صحيح مسلم (٢١٩/١، رقم: ٢٥١) وإنما المحافظة على الوضوء هي شأن المؤمن قال ﷺ «سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١/٣، رقم: ١٠٣٧) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطهارات، باب في المحافظة على الوضوء وفضله (١/ ١٤ ، رقم: ٣٥) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٣) وهذا الحديث ليس في طو. قال ابن حجر في فتح الباري، كتاب الوضوء باب ماجاء في الوضوء(٣٠٨/١) : ولو زاد الرابعة وغيرها لا لوم، ولا سيما إذا قصد به القربة للحديث الوارد "الوضوء على الوضوء نور" وقال العراقي في المغني، كتاب أسرار الطهارة، في طهارة الأحداث (١٣٤/١، رقم: ٣١٩): لم أجد له أصلا. قال السخاوي في المقاصد (ص: ٧٠٤) وسبقه لذلك المنذري، وأما شيخنا (ابن حجر) فقال: إنه حديث ضعيف، رواه رزين في مسنده، قلت: قد تقدم في معناه حديث: من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات.

(٤) كتاب أسرار الطهارة (٢٥/١).

(٥) لم نجده في كتب الحديث وقال العراقي في المغني، كتاب العلم، الباب الخامس (٤٩/١، رقم: ١٢٤) حديث بني الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود «النظافة تدعو إلى الإيمان».

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور عن علي رضي الله عنه (١/ ٩، رقم: ٣) وقال هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن. وأبو داود في سننه (١/ ٢٢) وابن ماجه في سننه (١/ ١٠١) وأحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه (٢/ ٢٩٢، رقم: ١٤٦٦٢).

(٧) في طو " شطر" بدل "نصف" وكلا اللفظين مرويان. أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب الدعوات (٥/ ٤٢٠، رقم: ٣٥١٩) =

﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِيْنَ﴾(التوبة: ١٠٨).

ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يتكلم، ولا ينام إلا على طهارة كاملة[١]، ليحصل ببركة طهارة الظاهر طهارةُ الباطن[٢]، وسلامةُ الصدر. إذ لا يؤذن[٣] بالدخول في الحضرة الصمدية إلا من أتى الله بقلب سليم، ومن لم يطهر ظاهره على قانون الشريعة لا يمكنه أن يطهر باطنه بآداب الطريقة؛ لأن الظاهر عنوان الباطن، وإذا داوم على الطهارة أو شك أن يتلألأ فيه الأنوار الربانية من طريق العكس، ثم ينعكس منه إلى مرآة الخيال، فيشاهد ذلك بعين قلبه، فيرى في الظلمات مالم يكن يرى قبل ذلك.[٤]

فصل في دوام الصوم:

الشرط الثاني: دوام الصوم و تقليل الغذاء عند الإفطار بحيث لا يضره الجوع[٥]، ولا يثقله الشبع، ويجتنب كلا الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط.

قال الله تعالى:﴿وَّكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا﴾(الأعراف: ٣١) وقال الله تعالى:﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُحَرِّمُوْا طَيِّبٰتِ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ﴾(المائدة: ٨٧).

والتقليل إذا كان مقرونا بنية الصوم كان أحسن، فإن الصوم قد اختص من الله تعالى بفضيلة امتاز بها عن سائر أركان الإسلام والعبادات.

قال رسول الله ﷺ حكاية عن الله تعالى:[٦] «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[٧]

و «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك»[٨]

= عن رجل من بني سليم، وقال: هذا حديث حسن. و ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان والرؤيا (٦/ ١٧١، رقم: ٣٠٤٣٣) عن علي رضي الله، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣، رقم: ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ولفظه «الطهور شطر الإيمان».

(١) في د بدون "كاملة".

(٢) في خد "الكامل الباطن".

(٣) في ر "لا يأذن".

(٤) من " ومن لم يطهر ظاهره" إلى آخر الفصل ساقطة في خد.

(٥) في د "لا يضره الجوع" وفي غيرها "لا يضر به الجوع".

(٦) في د " قال رسول الله ﷺ حكاية عن الله تعالى" وفي غيرها " قال الله تعالى".

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصيام (٥٢٥/١، رقم: ١٦٣٨) عن أبي هريرة والآخرون من أصحاب الصحاح والمتون بألفاظ مختلفة و روى البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (٢٤/٣، رقم: ١٨٩٤)

(٨) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصيام (٢٤/٣، رقم: ١٨٩٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٧، رقم:١١٥١).

وقال النبي ﷺ: «الصوم جُنَّة»[1]

ولابد للمجاهد مع النفس[2] والشيطان من جُنَّة لئلا يصيبه[3] سهام إبليس، فإنه ماملئ وعاء شرا من بطن آدم بحسب[4] ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: أجيعوا بطونكم وأعطشوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم لعلَّكم ترون ربكم بقلوبكم.[5] قال الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإحياء: اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأحوال والأخلاق الوسط، إذ خير الأمور أوساطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.[6]

وما أوردناه في فضائل الجوع ربما[7] يومي إلى أن الإفراط فيه مطلوب، وهيهات! ولكن من أسرار حكمة الله تعالى في الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد[8]، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعَالِم يُدرك أن المقصود الوسط؛ لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع[9] باعثا، والشرع مانعا، فيتقاومان وحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد، فيعلم أنه لا منتهى إلى الغاية، فإن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع[10] ما يدل على إتيانه، فالأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة[11] يمنع من العبادة، وألم الجوع أيضًا يشغل القلب ويمنع منه، فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للآكل فيه أثر، ليكون متشبها[12] بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام و ألم الجوع.

---

(١) في مج، و ر بزيادة "من النار" والحديث أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٦، رقم:١١٥١) بلفظ: «الصيام جنة» و الترمذي في سننه، أبواب الصيام، باب فضل الصوم (٣/ ١٣٦، رقم: ٧٦٤) بلفظ: «الصوم جنة من النار».

(٢) في ك "مع النفس الشر".

(٣) في غير طو "لا يصيبه".

(٤) هذا في طو، وفي غيرها "يحسب" وفي ر "فبحسب".

(٥) "وأعطشوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم" هذه زيادة من د، و ر ولكن فيه "وأظمأوا" بدل "وأعطشوا" ، وبتمامها مع تغيير يسير في قوت القلوب لأبي طالب المكي، الفصل ٢٧ (١٧٠/١)، وفي الإحياء للغزالي كتاب كسر الشهوتين (٩٦/٣).

(٦) كتاب كسر الشهوتين، بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه (٩٦/٣).

(٧) في خد، وك "فربما" وفي د "وربما" وفي ر "أيما".

(٨) في ر "الطف الأقصى أو مان فيه فساد" وهو خطأ من الناسخ.

(٩) في د بدون "إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع".

(١٠) "كان في مايدل على إتيانه" هكذا في طو بدون "الشرع".

(١١) في د " لا يتجشأ فثقل المعدة" و في طو "لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة".

(١٢) في ر "يكون تشبها".

فصل في دوام السكوت :

الشرط الثالث: دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى مما لا يعنيه قولا وفعلا وفكرا، قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت»[1]، وقال عليه السلام: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم».[2]

وقال علي رضي الله تعالى عنه: الخير كله مجموع في أربعة: الصمت، والنطق، والنظر، والحركة؛ فكل نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو لغو، وكل صمت لا يكون في فكر[3] فهو سهو، وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة، وكل حركة لا يكون في تعبُّدِ الله تعالى فهي فترة.

فرحم الله[4] عبدا جعل نطقه ذِكرا، وصمته فِكرا، ونظره عِبرة، وحركته تعبُّدًا، ويسلم الناس من لسانه، ويده،[5] وينجو بالسكوت عن الكذب وا لنفاق، قال الله تعالى:﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(الفتح: ١١).

ولما أراد الله تعالى أن يتكلم عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ طفلا صغيرا، أمَرَ أُمَّه مريم بالسُّكوتِ، فقال الله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(مريم: ٢٦)، فنطق عيسى ـ عليه السلام ـ وهو طفل. فلا يبعد أنك[6] إذا سكت عن فضول الكلام، سمعت كلام القلب الذي هو طفل الطريق مع الله تعالى. وفي الجملة: إذا نطق اللسان سكت القلب واستمع، وإذا سكت اللسان نطق القلب.

فصل في دوام الخلوة :

الشرط الرابع: دوام الخلوة، وهو حبس الحواس الظاهرة، لفتح حواس القلب حتى يشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره في النوم، وسد طرق الحوا س شرط لفتح حواس القلب[7].

ألا ترى أنك لا ترى[8] شيئا في اليقظة، فإذا نمت رأيت أشياء كثيرة، كذلك إذا سددت عليك في اليقظة

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٨/١٠٠، رقم: ٦٤٧٦) ومسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار (٢/ ٨٠٧، رقم: ٤٧) والآخرون أيضًا.

(٢) في خد بدون "في النار"، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٤/ ٣٠٨، رقم: ٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٢/ ١٣١٤، رقم: ٣٩٧٣).

(٣) في ك "فكر الله تعالى".

(٤) في ر "فيترحم الله".

(٥) في خد "إذا طلبت صلاح قلبك فاستعف عليه لحفظ لسانك وألزم الصمت فإنه سقر للجاهل وزين للعاقل" بدل من "ينجو.... حتى الآية.

(٦) في ر "فلا يُعبدك" وهو خطأ من الناسخ.

(٧) في د "لفتح طرق حواس القلب".

(٨) في طو " لا تشاهد" بدل " لا ترى".

طرق الحواس انفتحت عليك حواس أُخر من الغيب[1]؛ ولهذا السر كان رسول الله ﷺ حبب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء، وهو تعبد الليالي ذوات العدد،[2] فكان يرى النور قبل المبعث بخمس عشرة سنة[3] وكان يتحنث في غارحراء أسبوعا أو أسبوعين. وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ «أن النبي ﷺ جاور في غارحراء شهرا».[4]

فلا يخرج من خلوته، لإزالة قبض، ولا لسَآمة، وملالة، ولا لداعية من دواعي الهوى، بل يكون خروجه عن ضرورة في الدين كالوضوء، وصلاة الجمعة، والجماعة.

وبيت الخلوة صغير بقدر ما يصلي فيه[5] ويتربع في وقت الذكر، مظلم لا يتداخله شعاع الشمس وضوء النهار.

فصل في صفات المتخلي:

ينبغي أن يكون المتخلي شُجاعًا، مِقْدامًا، لايبالي ببذل مُهْجَته[6]، قويًّا، ولا يكون[7] جَبَانًا، خَوَّارًا، ضعيفًا، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا بمن توجه إليه، ثابتًا غير طائش، ساكنًا قلبه، مطمئنةً نفسه، طيّبًا روحه، طاهرا طبعه عن رِقِّ الشهوات، مزَيِّنًا قلبه بالتقوى، وعقله بالإيمان، عامرًا جوارحه بالطاعة، مشروحًا صدره بنور الإسلام، وأنفاسه بأنوار الصدق والإخلاص، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:١٨).[8]

---

(١) في ر "من القلب".

(٢) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١/ ٧، رقم: ٣) بلفظ: حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب كم أقام النبى -ﷺ- بمكة والمدينة (٤/ ١٨٢٧، رقم: ٢٣٥٣) عن ابن عباس قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرا» وفيه مقال، وأحمد في مسنده عن ابن عباس (٥/ ٤٤، رقم: ٢٨٤٦) وقال محققه شعيب الأرناؤوط : إسناده على شرط مسلم، إلا أنه اختلف في وصله وإرساله. وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩٥) عن عروة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً قلت قد ثبت بما سلف من الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى النور والضوء ويسمع الصوت قبل البعثة ولكن المدة المذكورة لم أجدها.

(٤) هذا الحديث ليس في خد. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ١٤٤، رقم: ١٦١) بلفظ: جاورت بحراء شهراً.

(٥) في د بزيادة "قائما".

(٦)المُهْجَةُ : : الرُّوح ، النَّفْس، دمُ القلب.

(٧) في خد "قويا جبانا" بدون "و لا يكون" وهو خطأ.

(٨) هذه الآية غير موجودة في خد.

ويكون متصفا بهذه الأخلاق، وهي: الأدب، والتواضع، والذُلُّ، والانكسار، والمسكنة، والخضوع، والخشوع، يروض[1] نفسه إلى أن تعتاد[2] هذه الأخلاق، فإن الخير عادة.

ويكون معرضا عن حب الدنيا، وحب الجاه، والمال، ويرتاض رياضة من قلة الأكل، و طول الصمت، وكثرة الصوم والصلاة، والصدقة [3]، والصبر، والشكر، والتوكل، واليقين، والسخاوة، والقناعة، والأمانة، والسكون، والتأنِّي. وأن يكون ثيابه وغذاؤه من وجه حلال، لا يريبه الشيطان بالوسوسة، وأن يقدم قبل دخول الخلوة رياضة وعزلة عن الخلق، من قلة الكلام وقلة الطعام [4] وقلة المنام، وقلة الاختلاط مع الأنام، وقلة شرب الماء، ولا يكثر من أكل اللحم،[5] بل في كل أسبوع مرة أو مرتين، ويأكل[6] كل مرة بوزن خمسين دِرْهمًا، وهي أوقية واحدة، فإن هذا المقدار أجازه الشيوخ، لئلا يضعف[7] المبتدئ، ويصغر اللقمة، ويمضغ مضغًا قويًّا مع حضور القلب في دوام الذكر، ليندفع ظلمة شهوة الطعام بنور الذكر، ويأكل الغذاء الخفيف الموافق للطبع، البطيئ الهضم المشبع.[8]

وأما أدب الأكل في أوان العزلة والخلوة، فهوأن يأخذ اللقمة فيسمي الله تعالى عليها، فإذا جعلها في فمه يكثر مضغها جدا، فإذا ابتلعها يحمد الله تعالى الذي سوغها في حلقه، حتى إذا استقر في المعدة يأخذ لقمة أخرى ويفعل بها مثل الأول هكذا، إلى أن ينتهي إلى القدر الذي فيه غذاؤه، وكذلك في شرب الماء يمصّ مصا، ويقطع نفسه مرارا.

قال بعضهم: إنا جربنا العطش فوجدناه من الشهوات الكاذبة، فمن تعوَّد نفسه بقلة شرب الماء عند العطش يدفع [9] الله تعالى شهوة الماء عنه، حتى يمضي عليه شهور كثيرة، لا يشرب فيها ماء ولا يشتهيه، ولا يؤثر في مزاجه وبدنه، ويقنع الطبيعة بما يستعمل من الرطوبات التي في الغذاء.[10]

---

(١) في ر "يرتاض".

(٢) في خد، وك "يعتاد" بصيغة المذكر.

(٣) في د "ارتاض" بدل "الصدقة" وهو خطأ.

(٤) في د بدون "وقلة الطعام".

(٥) في نسخة "د" بزيادة العبارة الآتية (كما قال رسول الله ﷺ :«إذا أكلت اللحم وجدت في نفسي تميزا»، أي رغبة إلى الجماع) قلت: أخرج هذا الحديث ابن الجوزي في غريب الحديث بلفظ "تمشيرا" بدلا عن "تميزا" وقال الزبيدي في تاج العروس عن ابن الأعرابي قال الصاغاني: وفي الحديث الذي لا طرق له إني إذا أكلت اللحم وجدت في نفسي تمشيرا. وقد نقله الجزري في النهاية في غريب الأثر والحديث، والخطابي في غريب الحديث، وغيرهما عن بعض الصحابة.

(٦) "ويأكل" زيد من ر.

(٧) في خد، و ك "الشيخ" بدل "الشيوخ" وفي مج "ليضعف" بدل "لئلا يضعف".

(٨) في مج، و د، و ر " لا البطيئ الهضم المشبع " مع "لا" النافية.

(٩) في ك "يرفع" بدل "يدفع".

(١٠) من "وأما أدب الأكل في أوان العزلة" إلى هنا غير موجودة في خد.

فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان:

قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في رياض الصالحين:[1]

باب استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو الخوف من فتنة، أو وقوع في حرام، أو شبهات ونحوها، قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾(الذاريات: ٥٠)، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:« إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ » رواه مسلم[2]، والمراد بالغني غني النفس.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَال: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ الله» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : « ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».وفي رواية : « يَتَّقِي الله ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» متفقٌ عَلَيْهِ.[3]

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ ، وَمَواقعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ» رواه البخاري[4]، وشعف الجبال: أعلاها.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت:« أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي» فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَه خَدِيجَةُ: كَلَّا ، أَبْشِرْ فَوَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَ تَصْدُقُ الحَدِيْثَ،

---

(١) (١٩٩/١).

(٢) في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٧، رقم: ٢٩٦٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه (١٥/٤، رقم: ٢٧٨٦) بلفظ: يتقي الله وفي كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء (١٠٣/٨، رقم: ٦٤٩٤) بلفظ: يعبد ربه. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (١٥٠٣/٣، رقم: ١٨٨٨).

(٤) في صحيحه، في أربعة مواضع، منها: كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١/ ١٣، رقم: ١٩)

وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[1].

قال أهل الله: فإذا كان رسول الله ﷺ مع تحققه بهذه الصفات الحميدة وعصمة الله تعالى[2] عن هذه الآفات لم يأمن على نفسه، فكيف يصح لأحد[3] أن يطمع في الدخول إلى الله تعالى والأخذ عنه، وعمل الخلوة والأربعينات، مع ملابسة الأخلاق الذميمة. بل ينبغي لمن أحب أن يكون عند الله تعالى كريما، ومن غوائل الشيطان سليما، أن لا يخلو عن الاتصاف بهذه الأوصاف السنية التي ذكرتها خديجة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالكمال.

وقال النواوي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: وأما الخلاء فممدود وهو الخلوة، وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، وقال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: حببت العزلة إليه ﷺ؛ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر و يتخشع قلبه.[4]

ثم إن النبي ﷺ جاور في غار حراء على ما روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه[5]، فاتصل به جبريل عليه السلام وما كان يعرفه، فأمره بالقراءة فحسب، دون الإبلاغ و الإنذار إلى أن بالغ في الرياضة وزاد في مدة الخلوة، فاستعلى أمره، وعظم شأنه، واستأهل للتبليغ والإنذار، وترقى إلى ذروة الكمال. وذلك بعد أن تخلى ورغب عن مخالطة الأغيار، واستبشع[6] ملاذ الدنيا ونعيمها، وحبب إليه الخلاء، ففارق الأهل والبلد وقنع بما سد رمقه وسكن جوعه[7]، وداوم على التوجه إلى حضرة الربوبية إلى أن أغناه الله تعالى عن طعام الخلق[8] وشرابهم، فقال: «أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني»[9] فأيَّده الله تعالى بروح منه، وأكرمه بإنزال الوحي عليه، فهذه هي السنة الإلهية في هداية خواص عباده من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وتربية طالبيه بمتا بعتهم.

---

(١) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١/ ٧، رقم: ٣) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ١٣٩، رقم: ١٦٠) واللفظ للبخاري.

(٢) في خد، ومج بزيادة "له".

(٣) في د بدون "لأحد".

(٤) في شرح الحديث السابق، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم: (١٩٨/٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ١٤٣، رقم: ١٦١) بلفظ: جاورت بحراء شهراً.

(٦) في طو، و خد "استشنع". اسْتَبْشَعَ الشيءَ: استقبحه؛ عَدَّهُ كريهًا.

(٧) في طو "سكن" وفي الباقية "يسكن" وكذا في د، و ك "جوعه" وفي غيرهما "جوعته".

(٨) في د بزيادة "رمقة نفسه".

(٩) رواه البزار في مسنده (٣٥١/١٥، رقم: ٩٠٠٨) عن أبي هريرة، و إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٦٣، رقم: ١٠٣٥) عن عائشة بلفظه، وقد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح باختلاف يسير في اللفظ ولفظ البخاري: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين» (كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ٣٨/٣، رقم: ١٩٦٦).

وفي العوارف: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إلا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ» ، قَالُوا: وَمَتَى ذَالِكَ يَا رَسُولَ الله ﷺ ؟ قَالَ:«إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمعِيشَةُ إِلا بِمَعَاصِي الله فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُزُوبَةُ.» قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ الله ﷺ ، وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِالتَّزَوُّجِ؟ قَالَ: «لأَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبَوَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلا وَلَدٌ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ.» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَالِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمعِيشَةِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ.»[1]

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ خَفِيفُ الْحَاذِ» قِيلَ[2]: وَمَا خَفِيفُ الْحَاذِ؟ قَالَ: الَّذِي لا أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَدَ لَهُ، وَلَا مَالَ لَهُ»[3]، قوله: خفيف الحاذ يعني خفيف الحساب.

وقال الجنيد: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

فصل في بيان معنى الحديث: المؤمن الذي إلخ

قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤمنُ الَّذِي يُخالطُ النَّاس ويَصبرُ عَلى أذاهُم، خَيرٌ مِن الْمُؤمنِ الَّذِي لَا يُخالِطُ النَّاسَ ولا يَصبرُ عَلى أذَاهُم»[4]، هذا الخبر كما أخبر به رسول الله ﷺ، ولكن بعض الناس ما فهموا معناه،

(١) أخرجه الخطابي في العزلة، باب ما جاء في العزلة (ص:١٠) بلفظه، وأخرج جزءا منه أبو نعيم فى الحلية (١١٨/٢)، وابن حبان في الثقات (٢١١/٨) والبيهقى فى الزهد الكبير، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى (١٨٣/١ ، رقم ٤٣٩)، والحارث فى بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٧٧٣/٢ ، رقم ٧٧٤) ، والديلمى في الفردوس (٤٤٧/٥ ، رقم ٨٦٩٧) والحديث ضعيف.

(٢) في خد "قالوا".

(٣) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٢/ ٥٥٠، رقم: ٩٨٦٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤٩/٧، ترجمة: إبراهيم بن النضر) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢١١/١٨) وأخرجه أيضًا الديلمى في الفردوس (١٧٠/٢، رقم:٢٨٥٢)، والحديث ضعيف بل باطل عند البعض بهذا اللفظ، وقال السخاوي في المقاصد (ص: ٣٢٩): قال الخليلي ضعفه الحفاظ فيه وخطؤوه انتهى، فإن صح فهو محمول على جواز الترهب أيام الفتن وقد أخرج الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب الكفاف والصبر عليه (٥٧٥/٤، رقم: ٢٣٤٧) «إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ» وقال: هذا حديث حسن. وقال الحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة (١٣٧/٤) هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه.

(٤) في خد "خير له" بزيادة "له" والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٤٠، رقم: ٣٨٨) و أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٩/ ٦٤، رقم: ٥٠٢٢) والترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٤/ ٦٦٢، رقم: ٢٥٠٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٥٣/١٠، رقم: ٢٠١٧٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (١٣٣٨/٢رقم: ٤٠٣٢) ، وفي شعب الإيمان (١٢/ ٢٠١، رقم: ٩٢٧٧).

فإن معنى الخبر ـ والله أعلم ـ أن المؤمن الذي ارتاض[1] نفسه بتهذيب الأخلاق وتزكية النفس وتسكين الطبع، ثم بعث الله تعالى إليه جبال الصبر و بحار الرضا، قال الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِيْ قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾[2]، فحصل له الحلم، والثبات، وكظم الغيظ، واحتمال الأذى، والوقار، والتؤدة[3]، والاقتصاد في الأمور، والصبر، والعفة، وسخاء النفس ومسامحتها، والقناعة، والورع، والمساعدة، وترك الطمع، وزال عنه الحرص، والغضب، والكبر، و العجب، ورعونة الطبع، والهوى، فعند ذلك يمكنه الصبر على أذاهم.

فأما من لم يبلغ هذا المبلغ وبقي في صفات نفسه وآثار طبيعته[4]، وهي السبعية والضراوة و الذئابة، فإن النبي ﷺ لا يقول لمن هذه صفته أنه يخالط الناس ويؤذيهم، ويغتابهم[5]، ويمزقهم بضراوته وخباثته. فاجتهد أيها المريد ! في ترك الهوى حتى يمكنك الجمع بين الظاهروالباطن،[6] كما قال سري السقطي رحمه الله تعالى: الكامل من لا يطفئ نور علمه[7] نور ورعه.

اعلم أن الشيوخ المسلّكين في تربية السالكين لهم طرائق مختلفة، وقد يكون ذلك بواسطة صنع الخلوة وهذا طريق الأكثرين من بعد الصحابة رضي الله عليهم أجمعين.

فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة:

أما الصحابة فكانت فتوحاتهم من غير صنع خلوة، بل من حضور مجالسة النبي ﷺ، وكان يحصل لهم من المعارف وغرائب العلوم بمجالسة واحدة مع النبي ﷺ، ما لم يحصل لغيرهم بالخلوات الكثيرة، وذلك أن الإرادة ـ كما قيل: ـ ترك العادة، وكانت عاداتهم رسوم الجاهلية، فلما دعاهم النبي ﷺ إلى دين الإسلام انتزعوا من عاداتهم ورسومهم إلى المتابعة، وحكّموا النبي ﷺ فيما بينهم على أنفسهم[8]، مسلمين لقضائه من غير حرج، فكتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، مع مباشرة الأسباب واكتساب المباحات والغزوات، ومع مخالطة الأهل والأولاد وغيرهم، وكانت همتهم مقصورة على المتابعة، ونظرهم ملاحظة[9] الرسول صلى الله عليه وسلم، آخذين ما أتاهم الرسول،

---

(١) في ر "ارتضى".

(٢) الفتح: ٤.

(٣) في طو "المؤدة".

(٤) في طو "طبعه".

(٥) في ك "يغتابهم" ساقطة

(٦) في طو بزيادة "ولا تقتصر على أحد الجانبين ليكون كاملا".

(٧) في طو "معرفته" مكان "علمه".

(٨) في طو بزيادة "وأموالهم"، وفي د بدون: "انتزعوا من عاداتهم ورسومهم إلى المتابعة، وحكموا النبي ﷺ فيما بينهم على أنفسهم".

(٩) في ر "على ملاحظة".

منتهين عما نهاهم[1]، وعنده ﷺ كل الفضائل والمكرمات. فلما رأى ذلك منهم قابلهم بشمس قلبه ـ عليه السلام ـ، فأفاض على قلوبهم بألحاظ بصره إليهم ما يسطع من سطوات غلبات أنوار نبوته من معدن الرسالة. وروى الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي إِلا وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ».[2] واستضاءت[3] مصابيح قلوبهم بما أفاض عليهم، فتنورت مشكاة وجودهم متلألأة، فاضمحلت[4] ظلمات صفات بشريتهم فصاروا زهادا، عبادا، علماء، حكماء، عارفين، موحِّدين، راسخين في العلم. فاستضاء من أنوار بحار معارفهم من يتبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

قال رسول الله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[5]، فنظره عليه السلام كساهم هذه السعادة العظمى، فأي خلوة يوازي مجالسته؟ وأي عقل يجيز[6] ترك مجالسته عليه السلام واختيار[7] الخلوة.

وإنما فائدة الخلوة أن يجد المتخلي شيئا مما وجده الصحابة في حضرته عليه السلام، ولكن من لم يدرك مجالسته المباركة ولم يتشرف بها رجع إلى أصل فعله وهي الخلوة، لتعرض نسيمات نفحات ألطاف ربه في أيام دهره؛ قال رسول الله ﷺ:« إِنَّ لله فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَاْ فَتَعَرَّضُوا لَهَا»[8] بأداء

---

(١) في طو بزيادة "عنه".

(٢) وفي ر، و مج "وقد صببته"، والحديث عده المحدثون من الموضوعات لأنهم لم يجدوا له أصلا، وظاهر معناه أيضًا ليس بصحيح إلا أنه يمكن تصحيح معناه من جهة أن الله شرح صدر أبي بكر للإيمان والتصديق الأوَّلِيّ. وله شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرهما وقد كان الصحابة يعرفون حقا بأن قد شرح له صدر سيدنا أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- كما في قضية جمع القرآن و قتال مانعي الزكاة ففي الصحيحين من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ العناق في الصدقة، ١١٨/٢، رقم: ١٤٥٧، مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ٥١/١، رقم: ٢٠). وصح عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم (شعب الإيمان للبيهقي، ٤٣/١، رقم:٣٥)

(٣) في غير طو "فاستضاء".

(٤) في مج، وخد، وك "فاضمحل".

(٥) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٦) في د "يختار".

(٧) في طو "يختار" وفي د "اختار".

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٣٣/١٩، رقم: ٥١٩) بلفظ: إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وابن عبد البر في التمهيد، (٥/ ٣٣٩) وابن ابي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٤٤/٢، رقم: ٢٧) والحكيم في نوادر الأصول الأصل/١٢٤ في طلب الخير والتعرض لنفحات رحمة الله (٢٩٣/٢)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٧٠/٢، رقم: ١٠٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٢/٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٣/٢٤) والقضاعى في المسند (٤٠٧/١، رقم ٧٠١) والديلمى في الفردوس (٧٩/١، رقم:٢٤١) بلفظ: اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات الله عز و جل فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم. حكم عليه السيوطي بالضعف في الجامع الصغير وزيادته برقم: ١٩١٧ قلت: وإنما الحديث في الحث على اغتنام الأيام الفاضلة والساعات المباركة، وهو وإن كان ضعيفاً، إلا أن أدلة الشرع متوافرة على ذلك من الحث على استباق الخيرات وتحين الفرص، كالدعاء يوم عرفة، وليلة القدر، وفي الثلث الأخير من الليل، وساعة يوم الجمعة، والدعاء حال السفر وفي مواضع السجود. كل هذا يدل على معنى ما دل عليه الحديث.

الأوامر[1] على أكمل الوجوه وأحسنها، وذلك لا يتيسر لمن تفرق قلبه وتشعبت همومه. فيحتاج إلى العزلة والخلوة، لتزول تفرقته، وليجمع قلبه[2]، وتصير همومه همًّا واحدًا.

فمن اختار العزلة والخلوة لأجل ذلك فلا يلام على صنع الخلوة، فإنها تفرغ القلب من الخلق، وتجمع الهم بأمر الخالق وتقوي[3] العزم على الثبات وتقل الأفكار في عاجل حظوظ النفس، إذ الخلوة سدّ باب الحواس، وحاسة العين باب القلب، منها تدخل آفاته وعندها[4] توجد شهواته ولذاته. والعاقل الكيِّس الدرَّاك لا ينكر الخلوة لأن أصلها صحيح بتعبد النبي ﷺ في غار حراء.

فصل في عدة الخلوة و دلائلها:

مشايخ الطريقة قيَّدوا الخلوة بشهر أو أربعين[5] يوما، وهم في ذلك على المتابعة. فمن مال إلى الأربعين[6] يتمسك بحديث سوَّار بن مُصْعَب، عن ثابت، عن مِقْسَم، عن ابْن عبَّاسٍ، عن النبي ﷺ أنه قال:«مَن أَخْلَصَ لله أَرْبَعينَ صَبَاحًا ظَهَرتْ يَنَابِيْعُ الحِكمَةِ من قَلْبِه على لِسَانِه»[7]، ومن قال بشهرٍ استدلَّ بحديث عائشة وجابر ـ رضي الله عنهما ـ، قال جابر[8]: جاوَر النبي ﷺ بحراء شهرا[9]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا. وقد يترك الأكل ويقول لخديجة:

---

(١) في طو "والتعرض بأداء الأوامر".

(٢) في د، ومج "ليجتمع قلبه" و في ك، وخد "لتجتمع قلبه" وأثبتنا ما في طو.

(٣) في مج "تقوم".

(٤) في طو "منها" بدل "عندها".

(٥) في ك، وخد "بأربعين".

(٦) في ر "قال" بدل "مال" ، وفي ك "أربعين" بدون لام التعريف.

(٧) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٨٥ رقم: ٤٦٦) وله شاهد من حديث أبي أيوب الأنصاري عن مكحول مرسلا وموصلا ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، ما ذكر عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الزهد (٧/ ٨٠، رقم: ٣٤٣٤٤) وأبو نعيم في الحلية (١٨٩/٥) والديلمي في الفردوس (٣/ ٥٦٤، رقم: ٥٧٦٧) و ابن المبارك في الزهد، باب فضل ذكر الله عز و جل (ص: ٣٥٩، رقم: ١٠١٤) وهناد في الزهد، باب التفرغ للعبادة (٢/ ٣٥٧، رقم: ٦٧٨) قال المناوي في التيسير (٢/ ٣٩١): ضعيف بل قيل بوضعه قال الزبيدي في اتحاف السادة (٦/ ٦) وقال المناوي أيضًا في فيض القدير (٦/ ٤٣) "وفي شرح الأحكام لابن عبد الحق هذا الحديث وإن لم يكن صحيح الإسناد فقد صححه الذوق الذي خص به أهل العطاء والإمداد وفهم ذلك مستغلق إلا علي اهل العلم الفتحي الذي طريقه الفيض الرباني بواسطة الإخلاص المحمدي".

(٨) في مج بدون "قال جابر".

(٩)سبق تخريجه في "فصل في دوام الخلوة".

أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ[1] وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ»[2] الحديث.

فإن قيل[3]: الخلوة بحراء كانت قبل الرسالة أو بعدها؟، قلت: قول عائشة رضي الله عنها: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا»، يدلّ على أنه كان نبيا يوحي الله إليه[4]، وقولها: «ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ»، يدل على أن الخلوة كانت حكما مرتبا على الوحي؛ لأن كلمة "ثم" للترتيب، فكان خلوته عليه السلام أمرًا من أمور الدين.

وجواب آخر، وذلك أن النبي ﷺ كان محفوظا من الله تعالى قبل البعث[5]، فما كان يجري[6] عليه إلا المرضي به من الأقوال، والأفعال. ولهذا عاتبه الله حين رفع الإزار على عاتقه لنقل الحجارة للبيت، كاشفا عورته كما هو فعل العرب[7]، فصرع من ساعته شاخصا بصره إلى السماء، فستر عورته ولم ير بعد ذلك اليوم عورته. فلو كان التخلي منه عليه السلام أمرًا مخالفًا للدين لنهي عنه، فلما لم ينه؟[8] بل صارت خلوته ذريعة إلى مجيئ الحق إليه، وظهور الملك لديه، ونزول الوحي والقرآن عليه. علمنا أنها[9] أمر من أمور الدين، كانت مباركة على نبينا عليه السلام، فتكون الخلوة[10] مباركة علينا من بعده إن شاء الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الأحزاب: ٢١)، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ﴾(آل عمران: ٣١). وإنما لم يشتغل بها[11] الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لاشتغالهم بأحكام ظاهر الشرع من الفقه والجهاد. ولما استقر الشرع وأعزَّ اللهُ تعالى

(١) في مج "حتى جاءه" كما في البخاري وفي الباقية "فأجاه".

(٢) سبق تخريجه في "فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان".

وفيه زيادة "وقد يترك الأكل ويقول لخديجة: أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني" ولعله إضافة من الشيخ الدمشقي شرحا ومع ذلك حديث "أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني" رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٦٣، رقم: ١٠٣٥) عن عائشة تقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصيام فقيل له فإنك تواصل قال إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم (٢/ ٧٧٤، رقم: ١١٠٣) والترمذي وعبد الرزاق والطبراني وغيرهم باختلاف يسير في اللفظ.

(٣) في ر "فإن قلت".

(٤) في طو، و خد "يوحى إليه".

(٥) في د، و مج "المبعث".

(٦) في خد بدون "كان".

(٧) في طو "كفعل العرب".

(٨) في د "فلما ينه".

(٩) في ك، و خد "أنه".

(١٠) في طو بدون "الخلوة".

(١١) في ك، و خد "بهذه".

الدِّينَ، فقد اشتغل بها التابعون وتابعو التابعين.[1]

فصل في فوائد الخلوة:

فوائد الخلوة كثيرة، منها: دوام الطهارة، ودوام الذكر بالقلب واللسان، وكثرة التلاوة، ودوام الصوم،[2] ودوام حفظ اللسان، وسائر الحواس عما لايعنيه، ودوام الصلاة بالجماعة في أول الوقت، فإن من لم يكن مترصدا[3] للجماعة بالخلوة،[4] فربما يفوته الجماعة، و دوام صلاة الجمعة، فإن معنى الخلوة أن يجعل نفسه بالكلية لله تعالى، على مواظبة حدود الشرع. هكذا كان مشايخنا ـ رحمهم الله تعالى ـ، حتى كانوا يأمرون بغسل الجمعة في أيام البرد.

ومن فوائد الخلوة أن لا يأكل إلا عند الفاقة، وأن لا ينام إلا عند الغلبة، وأن لا يقول إلا عند الضرورة، وأن يتأدب مع الله تعالى بحسن الأدب، وإخلاص العبودية، والصدق في الطلب، والخشوع والخضوع والذلة والافتقار إليه تعالى، والاستغناء به، والتوكل عليه، وزوال البَطر [5] والأطماع الفاسدة في الخلق، وترك الرياء والسمعة. فالخلوة على هذا الطريق قد فعلها أكثر أهل الدين والعلم بالله تعالى، فمن أنكرها فهو [6]إما جاهل وإما متعنِّت.

فصل في أن الولاية يحتاج ظهورها إلى العزلة والخلوة :

النبوة كانت كامنة في النبي ﷺ، قال النبي ﷺ:«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.»[7]، وفي رواية: «بين الماء والطين»[8]، فاحتاج ظهورها في عالم الشهادة إلى العزلة والخلوة، والانقطاع إلى الخالق عن الخلق،

---

(١) في طو "أتباع التابعين".

(٢) في د بدون "دوام الصوم".

(٣) في خد "متوصلا" وفي ر بدون "من".

(٤) في ك، وخد بدون "بالخلوة".

(٥) البَطَر: التكبر والطغيان في النِّعمة.

(٦) في خد "فهو" ساقطة.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٦/ ٩، رقم: ٣٦٠٩) عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحاكم في المستدرك (٦٦٥/٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٢/١٢، رقم: ١٢٥٧١) و (١١٩/١٢، رقم: ١٢٦٤٦) عن ابن عباس.

(٨) قال عبد الحي اللكنوي في الآثار المرفوعة (ص: ٤٥) اشتهر على ألسنة القصاص من حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين فإنه صرح السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة والسيوطي في الدرر المشتهرة في الأخبار المشتهرة وغيرهما بأنه موضوع بهذا اللفظ نعم ثبت عند الحاكم في مستدركه وصححه وأبي نعيم في حلية الأولياء والبخاري في تاريخه وأحمد في مسنده عن ميسرة الضبي قلت يا رسول الله متى كنت نبيا=

وكذلك الولاية في الأولياء كامنة، يحتاج ظهورها إلى العزلة والخلوة، قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».[1] فيحتاج إلى كثرة الذكر، والتلاوة، ودوام الوضوء، والصوم، والصلاة، وترك الشهوات، و اللذات، ودوام المراقبة، والحضور مع الله تعالى، والمناجاة معه ـ عزّ وجلّ ـ وذلك يتعذر على أكثر الخلق بدون صنع الخلوة.

فصل في القلب العمي وفي طريق النجاة من عماه:

القلب العمي الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج: ٤٦)، هو القلب الذي لا يشاهد[2] عظمة الله تعالى، وسبب عماه استيلاء وساوس الشيطان[3] وهواجس النفوس، وإعراضه[4] عن ذكر الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف: ٣٦).

والنجاة من ذلك بتصفية القلب، وتزكية النفس بدوام الذكر، حتى يجلو قلبه شيئا فشيئا إلى أن يتحرق[5] حجابه بمشيئة الله تعالى، ويصل بسره إلى مطلوبه، فتحصل[6] الجمعية، وتزول التفرقة ويحصل المعرفة بالله.

وهذه الجمعية إنما يحصل عند عدم مضادها وهي التفرقة، وسلطان الجمعية هي العزلة، ثم الخلوة وهي العزلة في العزلة، قال عليه السلام: «تفقهوا و اعتزلوا»[7]، إنما أشار إلى جمعية القلب [8]، فإذا قوي القلب بالذكر وتمكن حاله، واستعلى شأنه، و صارت[9] خلوته وجلوته سواء، فعند ذلك لا يضره مخالطة الناس، قال عليه السلام: «خالطوا الناس بأبدانكم و زايلوهم بقلوبكم»[10].

=قال: وآدم بين الروح والجسد. وعند البيهقي وأحمد من حديث العرباض ابن سارية مرفوعًا: إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وعند الترمذي عن أبي هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة. قال: وآدم بين الروح والجسد.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة (٤/ ٢٠٣١، رقم: ٢٦٣٨) .

(٢) في ر "يشهد".

(٣) في طو بزيادة "عليه".

(٤) في د "والإعراض".

(٥) في طو، و مج "يتخرق" وفي خد "ينخرق".

(٦) في د "فيحصل الجميعة" ومابعدها إلى "ثم الخلوة" غير موجودة و كذا في خد "وهذه الجمعية إنما يحصل عند عدم مضادها وهي التفرقة" غير موجودة.

(٧) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٥٧، رقم: ١٠٠٣): قال النجم: ليس بحديث وإنما نقله في الإحياء عن النخعي، ورواه أبو نعيم الأصبهاني عن الربيع بن خيثم، ورواه أحمد في الزهد عن مطرف أنه قال: تفقهوا وتعبدوا ثم اعتزلوا. (ص: ٢٤٠).

(٨) في مج بزيادة " بالذكر".

(٩) في غير طو "صار".

(١٠) أخرجه هناد بن سري الكوفي في الزهد، باب مخالطة الناس (٢/ ٥٨٨) مرسلا عن عبدالله بن باباه قال: قال رسول الله: خالطوا الناس وصافحوهم وزايلوهم ودينكم لا تكلمونه. ووكيع في الزهد (١/ ٨٥٣، رقم: ٥٣١) موقوفا عن عبد الله بن باباه قال:=

وهذا سر قوله عليه السلام: «المؤمن الذي يخالط الناس»[١] ـ الحديث ـ، وقد ذكرناه مشروحًا.

فاجتهد حتى يفتح الله عين قلبك، فتشاهد عظمة الله تعالى بصفاء سرك وانجلاء قلبك، فإن مَن[٢] لم يفتح عليه بشيء من ذلك ولم يبلغ مبلغ الرجال فهو أعمى، وإن كانت عيناه مفتوحتين. قال الله تعالى: ﴿وَ مَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهٖٓ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَ اَضَلُّ سَبِيْلًا﴾(الإسراء: ٧٢)، فافهم ولا تعرض، فإن الخلوة أصلها صحيح بتعبد النبي ﷺ.

فمن لم يصل[٣] فهمه إلى أسرار الخلوة من حصول الجمعية وتواتر الواردات الربانية و لم يخلق لذلك فليحفظ لسانه من الوقيعة في أصحاب الخلوات، والحقد عليهم. فالذي اشتغل بحفظ سمعه، وبصره، وجوارحه، وظاهره، وباطنه، من المعاصي والذنوب[٤]، وبطنه من دخول الشبهة ليسلم دينه خوفًا من الله تعالى أن يعذبه عليه، فالمانع من ذلك من[٥] لا يؤمن عليه من دخول ضرر في دينه أو دنياه، فأيما امرء كتب[٦] الله تعالى الإيمان في قلبه، ووفقه لما يحب ويرضى، فإنه لا يشوش على من يسعى[٧] في حفظ دينه، فربما يكون بعض المريدين لا يتيسر له حفظ القلب والدين إلا بواسطة صنع الخلوة والعزلة فمن كلّفه بغير طاقته فقد ظلمه، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾(البقرة: ٢٨٦).

وكل مسلم يعلم أن العزلة والخلوة أمرجائز في الشرع، وليس بحرام، فالاعتراض لماذا؟ وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿اِنِّيْ ذَاهِبٌ اِلٰى رَبِّيْ سَيَهْدِيْنِ﴾(الصافات: ٩٩)، فالذهاب إلى الله تعالى هو الخلوة، وذلك بترك الإخوان ومفارقة الأوطان، وقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام[٨]: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾(مريم: ٤٩) هو الخلوة، وفي قصة مريم عليهاالسلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (آل عمران: ٣٧)، فالمحراب هو الخلوة، وقوله تعالى: ﴿وَ وٰعَدْنَا مُوْسٰى ثَلٰثِيْنَ لَيْلَةً وَّ اَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ﴾(الأعراف: ١٤٢)، هي الخلوة،

= قال عبد الله: خالطوا الناس وزايلوهم بما يشتهون، ودينك لا تكلمنه. وأخرج البخاري أيضًا في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس (٣٠/٨) قال ابن مسعود: خالط الناس ودينك لا تكلمنه والدعابة مع الأهل. والدارمي في سننه (١/ ٣٤٦، رقم: ٣٢٠) قول علي وهو أقرب من لفظ المتن: "خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب".

(١) في خد، وك بزيادة "ويصبر على أذاهم" وهذا كله جزء من حديث طويل سبق تخريجه في "فصل في بيان معنى الحديث المؤمن إلخ".

(٢) في خد، و ك بدون "مَن".

(٣) في د "لا يصل" وفي ك "فمن كان لم يصل".

(٤) في طو بدون "الذنوب".

(٥) "من" زيدت من ك، ومج.

(٦) في طو "فأما من كتب" بدل "فأيما امرء" وكذا امرء.

(٧) في د "من لا يسعى" وفي ك "ما يسعى" وهو خطأ من الناسخ.

(٨) "في قصة إبراهيم عليه السلام" زيد من د.

وكذا داود وسليمان عليهما السلام كان لهما خلوة واعتزال[١] عن الناس، وهوقوله تعالى:[٢] ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(ص: ٢٤)، وفي حق سليمان عليه السلام قال:﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ الآية (سبأ: ١٤)، وذلك لأنه متى حان موته[٣] إلى أن خر[٤] كان ميتا، فلولا أنه كانت[٥] عادته الخلوة و العزلة لطلبوه[٦]، فلما تركوه على حاله دلَّ ذلك على أنه كانت الخلوة والعزلة عادة له ـ عليه السلام ـ.

فصل في أن اختيار الأربعينات بالاستراحة فيما بين الخلوتين أولى بالاعتبار:

طائفة من المشايخ اختاروا الخلوة والأربعينات على الدوام، إلى أن يتم الأمر ويأمر الله تعالى بدعوة الخلق إلى الصراط المستقيم وإلى متابعة النبي ﷺ، وبعضهم اختاروا الأربعينات والاستراحة فيما بين الخلوتين أسبوعًا وأسبوعين، وهذا أولى، لأنه موافق لمجاهدة النبي ﷺ فهو[٧] أولى بالاعتبار، فإنه عليه السلام كان يتحنث في جبل[٨] حراء أسبوعًا وأسبوعين و جاور بحراء شهرًا، رواه جابر. فكان يتخلى ويتحنث مدة، ويخالط أخرى؛ ولأن النبي ﷺ قال في حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ:«إن لنفسك عليك حقا، فقُم ونَم»[٩]، وذلك لأن جميع العبادات إنما يتيسر بواسطة النفس، فإنها كالمركب.

فَمَن داوم الخلوة وداوم التضييق عليها، عِيْلَ صبرها[١٠]، وكملت ملالتها، وسآمتها، فتظهر الشماسة والجموح، ويعينها الشيطان على ذلك بوساوسه، فربما يؤدي الأمر إلى إزعاج السالك عن الخلوة وقلعه، ولو ابتلي بذلك لنفر النفس عن الخلوة، ولا يمكنه المراجعة[١١] إلى الخلوة، اللهم إلا أن يدركه العناية الأزلية، فإن جلس أيامًا وارتاض مدة، ثم استراح أسبوعًا وأسبوعين، اشتدت رغبته وتجددت إرادته، وازدادت دواعي طلبه، فإذا عاد إلى الخلوة والرياضة تدارك آفة الفترة بسرعة وتكون خلوته وجلسته بعد ذلك على شوق وطمأنينة، ورغبة صادقة، ولا تنازعه النفس، فيقل الخواطر

---

(١) في خد، وك "عزلة".

(٢) في خد "لقوله تعالى".

(٣) في طو "من حين موته" و في د "متى جاء موته" بدل " متى حان موته".

(٤) في خد، وك بزيادة "ظهر أنه".

(٥) في غير طو "كان".

(٦) في خد "ليطلبوا" وفي مج، وطو "وإلا لطلبوه" وفي ك "وإلا ليطلبوه" وهذه العبارات كلها لا تتفق مع النص، نرى أنها من أخطاء الكتابة والنسخ.

(٧) في خد، وك "و هو".

(٨) في غير طو "إلى جبل"

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٧، رقم:٦٩٠٠).

(١٠) في د "أدام" في موضعين بدل "دوام". **عِيلَ** صبرُه : نَفِدَ.

(١١) في ر "اتنفر" بدل "لنفر" وفي ك وخد "لايمكن" بدون الضمير وفي طو "الرجوع" بدل "المراجعة".

المذمومة. وإذا قَلّت الخواطر ومنازعة النفس، وزال[1] نزاع القلب تيسر له من السلوك وفتوح السالك، بأسرع الأحوال ما لا يتيسر[2] لغيره بمدة مديدة.

فصل في دوام ذكر الله تعالى:

الشرط الخامس: دوام ذكر الله تعالى باللسان مع حضور القلب، بالقوة الشديدة من غير رفع الصوت به، بحيث يدخل أثر الذكر في العروق والشرايين.

وأفضل الذكر "لا إلٰه إلا الله" كما في الخبر. وأمر الله تعالى النبيَّ ﷺ بعلم هذه الكلمات، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(محمد: ١٩) فإذا واظب الذاكر على ذكر اللسان مدة، مع حضور تام، و تعظيم وافر، يؤدي ذكر اللسان إلى ذكر القلب، ويطمئن القلب بالذكر، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) واستأنس[3] بالله تعالى، ويذكره عز وجل ويستوحش عن الخلق ومخالطتهم المانعة عن الخلوة، حتى إذا استغرق الذاكر في الذكر القلبي أمره شيخه بترك ذكر اللسان[4]، وشغله بالتوجه إلى الله تعالى، كيلا يقف موقف المنقطعين، فإنه وقوف في الصفات وانقطاع عن الذات.

قال البيهقي: سئل أبو يزيد البسطامي ـ رحمه الله ـ عن حقيقة المعرفة فقال: الحيرة بذكر الله تعالى، وعن حقيقة الجهل فقال: الغفلة عن ذكر الله تعالى.[5]

قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى: فقد ينتهي السيار بعد مدة مديدة من الذكر باللسان على حد يسأم القلب عن ذكر اللسان، ويكون ذكر اللسان تشويشا له، فيمتنع[6] اللسان عن الذكر، بدوام حضوره بالقلب، فلا يجري الذكر على لسانه ولو بسنين[7]، وهو مؤمن موقن متقن[8]، إلا في الصلاة المفروضة[9]، عملا بفتوى القلب، فإن القلب لا يفتي بترك المفروضات قط، ولا يفتي بما فيه شك قط، كما في الخبر: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك»[10]، وحينئذ يتبدل الذكر الإنسي بالذكر القدسي، ويشغله

---

(١) في طو "زاد"، خطأ وفي د "زوال" وهو أيضًا لا يصح.

(٢) في خد "ما يتيسر" بدون لا.

(٣) في د "ويستأنس".

(٤) في ر "بترك ذكر الله اللساني".

(٥) في ك، وخد "الخيرة" بدل "الحيرة" وفي شعب الإيمان للبيهقي "الحياة" (٢/ ١٨٧، رقم: ٧١٣).

(٦) في ر، وخد، وطو "فيمنع".

(٧) في د "ولو بسنين" وفي الباقية "ولو سنين".

(٨) في د "متيقن".

(٩) في طو، ومج "الصلوات المفروضات".

(١٠) في ر، وخد "وإن أفتاك المفتون". هذا الحديث تلخيص ما أخرجه أحمد في مسنده عن وابصة بن معبد (٢٩/ ٥٢٨، رقم:١٨٠٠١)=

الذكر الحقيقي بالمذكور، ويلهيه عن صورة الذكر، فيعرف حينئذ حقيقة قول السادة: إن ذكر اللسان لَقْلَقة[1]، وذكر القلب وَسْوَسة.

فصل في الذكر و في أن صلاح القلب بواسطة الذكر:

جعل الله تعالى صلاح القلب بواسطة الذكر؛ لأن القلب مطلوبه ومحبوبه هو الله تعالى، والذكر صفات الرب تعالى، فلا جرم بذكره يتغذى ويتقوى، وبذكره يتطهر ويتنور، وبذكره يصفو ويدنو، وكل قلب أحبه الله وارتضاه، وقرَّبه وأدناه، وأراد أن يوصله إلى مقام النبوة إن كان في زمانها، أو مقام الولاية، فهو تعالى يُسَلِّطُ الذكر على ذلك القلب، لينوِّره ويطهره بشدة ضيائه وقوة تصرفه، فكلمة «لا إلٰه إلا الله» التوحيدُ[2]، وقد ذكر الله تعالى هذه الكلمة في القرآن صريحا في موضعين، الأول: قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(الصافات: ٣٥)، والثاني: قوله تعالى[3]: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(محمد: ١٩)، معناه اعلم أن الله هو الذي يستحق الألوهية[4] دون غيره. وإذا علمت أن التوحيد إنما يصح بكلمة[5] لا إلٰه إلا الله، علمت أن هذا الاسم من أعظم الأسماء.

فائدة: أفضل الأذكار :

وإن هذا الذكر أفضل الأذكار، وقال عليه السلام: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[6]، وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: ليس لقول لا إلٰه إلاالله ثواب إلا النظر إلى وجه الله تعالى عزَّ وجلَّ، و الجنة ثواب الأعمال.

اعلم أن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر[7] ينتفي عنه ظلمة الكفر، ويثبت في قلبه نور التوحيد، وإذا قالها المؤمن وإن قالها في كل يوم ألف مرة، فبكل مرة ينفي عنه شيئا لم ينفه المرة الأولى. فمقام العلم بالله

=بلفظ: "يا وابصة استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" والبخاري في التاريخ (١٤٤/١)، والبيهقي في الدلائل (٢٩٢/٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤/٢) و(٢٥٥/٦) والدارمي في سننه (١٦٤٩/٣، رقم: ٢٥٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٠/٣، رقم: ١٥٨٦، ١٥٨٧) ، والطحاوي في شرح المشكل (٣٨٧/٥، رقم: ٢١٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٤٨، رقم: ٤٠٣).

(١) اللَّقْلَقَة : حُبْسَةٌ في اللسان، وإعجاله في النطق فلا ينطق ولا يتثبَّت.

(٢) في طو "للتوحيد".

(٣) في طو "في قوله تعالى".

(٤) في طو، ومج "الإلهية".

(٥) في طو "لا يصح إلا بهذه الكلمة".

(٦)عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين (١٢٤٩/٢، رقم: ٣٨٠٠) ، والترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٤٦٢/٥، رقم: ٣٣٨٣) ، وابن حبان في صحيحه (١٢٦/٣، رقم: ٨٤٦) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٠/١، رقم: ٨٣١) بلفظ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله" وإسناده حسن.

(٧) في طو بزيادة "صادقا".

تعالى لا ينتهي إلى الأبد، لهذا لما قال الله تعالى للنبي ﷺ:﴿فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ﴾(محمد: ١٩)، لم يقل: علمت؛ لأن العلم بالله تعالى لا نهاية له إلى الأبد، ولما قال للخليل عليه السلام:﴿اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾ (البقرة: ١٣١)؛ لأن الإسلام مبناه على الظاهر.

وقال بعضهم: قائل لاإلٰه إلاالله يحتاج إلى أربعة أشياء: تصديق، وتعظيم، وحلاوة، وحرمة. فمن لم يكن له تصديق فهومنافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مرائي، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق.

وخرج سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ يومَ الجمعة من المسجد ونظر إلى الناس فقال: أهل «لا إلٰه إلا الله» كثير والمخلصون منهم قليل، ولم تكمل هذه الخصال[١] إلا للمصطفى ﷺ، ولذلك قيل له:[٢] «فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله»، لعظم محله، ودعا الآخرين[٣] إلى قوله دون علمه.

فصل في فرضية ذِكْرالله تعالى على الطالبين:

ذِكر الله تعالى فرض على الطالبين المحبين، قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيٰمًا وَّ قُعُوْدًا وَّ عَلٰى جُنُوْبِكُمْ﴾ (النساء: ١٠٣) ولا ينام ما لم يغلبهم النوم؛ ولذلك وصفوا بأنهم ﴿كَانُوْا قَلِيْلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ﴾(الذاريات: ١٧)، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول، كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يكره النوم قاعدا[٤]، وفي الخبر: «لا تكابدوا الليل»[٥]، وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلي بالليل وإذا غلبها النوم تعلق بحبل، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ[٦].

(١) في ك بزيادة "الأربعة".

(٢) في طو "قيل قوله".

(٣) في د "للآخرين".

(٤) في مج "ولاينام ما لم يغلبهم .... يكره النوم قاعدا" ساقطة ، وفي د "ولاينام ما لم يغلبهم .... فنهى عن ذلك" ساقطة

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس (٥/ ٦٠، رقم: ٧٤٦٠) موقوفا على أنس بن مَالك بلفظ: لا تكابدوا هَذَا اللَّيْل فَإِنَّكُم لا تطيقونه وَإِذا نعس أحدكُم فلينم على فرَاشه فَإِنَّهُ أسلم. وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٩/ ١٠٦، رقم: ٨٥٥٤) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، كلام ابن مسعود رضي الله عنه (٧/ ١٠٨، رقم: ٣٤٥٦٦) وعبد الرزاق في المصنف، كتاب الصلاة، باب الرجل يلتبس عليه القرآن في الصلاة (٢/ ٥٠٠، رقم: ٤٢٢٣) موقوفا على عبد الله بن مسعود قال: لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لن تطيقوه وإذا نعس أحدكم فلينصرف إلى فراشه فإنه أسلم له.

(٦) هذا معنى حديث ما أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه (١٧/١، رقم: ٤٣) ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن (٥٤٢/١، رقم: ٧٨٥) وأحمد في مسنده (٤٣/ ٣٣٥، رقم: ٢٦٣٠٩) واللفظ له عن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: مرت برسول الله ﷺ الحولاء بنت تويت فقيل له: يا رسول الله، إنها تصلي بالليل صلاة كثيرة، فإذا غلبها النوم ارتبطت بحبل، فتعلقت به. قال: فقال رسول الله ﷺ: " فلتصل ما قويت على الصلاة فإذا نعست فلتنم".

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أي[1] بالليل والنهار وفي البر والبحر، والسفر، والحضر، والغنى، والفقر، والمرض، والصحة، والسر، والعلانية.

قال بعضهم: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ينتهي إليه، و عذر أهلها في سائر الأحوال إلا الذكر، فإنه تعالى لم يجعل له حدا معلوما ينتهي إليه، و لم يعذر أحدا في تركه إلا من كان[2] مغلوبا في عقله.[3] ولو عذر أحدا في ترك الذكر لعذر[4] زكريا عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾(آل عمران: ٤١). ثم قال الله تعالى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾(آل عمران: ٤١)، وكذلك لو عذر أحدا في ترك الذكر لعذر الغزاة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥).

فصل في أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة سوى ذكر الله:

جميع الطاعات تزول[5] يوم القيامة، كالصلاة والصيام وغيرهما، لارتفاع التكاليف في الآخرة، أما طاعة التهليل والتحميد[6] والتمجيد، فلا تزول عنهم، وكيف تزول والقرآن دلَّ على أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد هي المواظبة على الذكر والتوحيد، أما أنهم مواظبون على الحمد، فلقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾(فاطر: ٣٤)،﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾(الزمر: ٧٤)، وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾(يونس: ١٠)، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْأٓخِرَةِ﴾(القصص: ٧٠)، فثبت أنهم مواظبون على الحمد، والمواظب على الحمد[7] مواظب على الذكر، فعلمنا أن جميع العبادات[8] زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر المتضمن للتوحيد.

اعلم أن الطاعات كالصلاة والصوم[9] والزكاة والحج وغير ذلك قد يشوبها الرياء، والصدقة

---

(١) في غير طو "بالذكر".

(٢) في د "ما كان".

(٣) هذا مختصر ما أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٦٤، رقم: ١٠٣٨٠) عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "واذكروا الله كثيرًا"، يقول: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذرٍ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: "فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم"، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال. والحديث ضعيف. **قلت:** عزا المصنف ــ عليه الرحمة والرضوان ــ القول الثاني إلى البعض والبعض هو ابن عباس رضي الله عنه أيضًا كما أخرجناه عن الطبري.

(٤) في ر "ليعذر".

(٥) في ك، وخد "يزول".

(٦)في غير د "التمحيد" ساقطة.

(٧) في د، وك بدون "المواظب على الحمد"، وفي خد" المواظبة على الحمد.

(٨) في ك، وخد "الطاعات".

(٩) "الصوم" زيد من ك، وخد.

تشوبها[1] الشبهات، وأما كلمة لا إلٰه إلا الله فليس فيها شائبة[2]، فإن المؤمن لا يذكرها إلا عن صميم فؤاده، فالإخلاص فيها موجود، فلهذا وجب[3] له الإخلاص، فلو قالها بغير إخلاص لم يكن مؤمنا، ولا خالصا من[4] عذاب الآخرة.

فصل في فضيلة الذكر:

روي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: يفتح الله تعالى أبواب الجنة، وينادي مناد من تحت العرش، أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت؟ فتنادي الجنة وكل مافيها[5]: نحن لأهل لا إلٰه إلا الله، ونشتاق إلى أهل لا إلٰه إلا الله، ولا نطلب إلا أهل لا إلٰه إلا الله، ولا يدخل علينا إلا أهل لا إلٰه إلا الله[6]، ونحن محرّمون على من لم يقل لا إلٰه إلا الله، و لن نؤمن[7] إلا بلا إلٰه إلا الله، وعند هذا تقول النار[8] وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إلٰه إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب بلا إلٰه إلا الله، وأنا حرام على من قال لا إلٰه إلاالله، ولا أمتلئ إلا بمن[9] جحد لا إلٰه إلاالله، وليس غيظي وزفيري إلا على[10] من أنكر لا إلٰه إلا الله، ثم قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته[11] فتقول[12]: أنا لأهل لا إله إلا الله، وناصر لمن قال لا إله إلا الله، ومتفضل على من قال لاإله إلا الله، ومحب لمن قال لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله[13]، والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله، والمغفرة والرحمة غيرمحجوبة عن أهل لا إله إلا الله[14].

وعن ابن عمر [15]ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال:«ليس على أهل لا إلٰه إلا الله وحشة

---

(١) في جميع النسخ "يشوبها".
(٢) "فليس فيه شائبة" زيدت من ك، وخد.
(٣) في طو "أوجبت" وفي"أوجب".
(٤) في خد "لا خلاصا" وفي ر "عن" بدل "من".
(٥) في خد، وك بزيادة "من النعم".
(٦) في خد "لا نُدخِل علينا إلا أهل لا إله إلا الله" وفي د "لا يدخل عليها إلا أهل لا إله إلا الله".
(٧) في خد، وك "لا يؤمن" وفي مج "لن يؤمن" وفي طو "لم يؤمن".
(٨) في خد، وطو "يقول النار".
(٩) في د، ومج "ممن" وفي خد "من" بدون أي الحرف الجار.
(١٠) في خد، وك بدون "على".
(١١) في ك "المغفرة".
(١٢) في خد، وطو، وك "فيقول".
(١٣) في خد زيادة "وناصر لمن قال لا إله إلا الله، ومتفضل على من قال لاإله إلا الله".
(١٤) لم أطلع على هذا الأثر في كتب الأحاديث ولكنه في كتب الصوفية متداول مثل نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢٢/١).
(١٥) في ر "ابن عباس" وهو من الخطأ.

في الموت، ولا عند النشور، وكأني أنظر إلى أهل لا إلٰه إلا الله عند الصيحة فينفضون شعورهم من التراب و يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزن»[1].

فصل في بيان الحكمة في قوله تعالى:﴿إِذَاالشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾:

قال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى:﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾(التكوير: ٢)، أن يوم القيامة يتجلّٰى نور كلمة لا إلٰه إلا الله فيضمحل في ذلك النور نور الشمس والقمر؛ لأن ذلك أنوار مجازية ونور لا إله إلا الله نور حقيقي، ذاتي، واجب الوجود لذاته تعالى، والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة، فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور العظيم بل يبطل كل وجود بمقابلة[2] هذا الوجود، كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(القصص: ٨٨).

وروي في الآثار أن العبد إذا قال: لا إلٰه إلا الله، أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة[3]، والسبب أنه لما قال هذه الكلمة[4]، فكأنَّه قد ردَّ على كل كافر وكافرة، فلا جرم يستحق[5] الثواب بعددهم، وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: معنى[6] لا إلٰه إلا الله، لا نافع، ولاضارَّ، و لا مُعِزَّ، و لا مُذِلَّ، و لا مُعْطِي، و لا مَانِعَ إلا الله[7].

وسئل بعض العلماء عن معنى[8] قوله تعالى:﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَّقَصْرٍ مَّشِيْدٍ﴾(الحج: ٤٥)، فقال: البئر المعطلة قلب الكافر، معطل من قول لا إلٰه إلا الله، والقصر المشيد قلب المؤمن، معمور بشهادة لا إلٰه إلا الله.

فصل في شواهد الذكر:

قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُوْنِيْٓ اَذْكُرْكُمْ﴾(البقرة: ١٥٢)، قال ثابت البناني: إني أعلم متى يذكرني ربي، ففزعوا

---

(١) باختلاف في اللفظ أخرجه ابن حبان في المجروحين (٢٠٢/١) والخطيب في تاريخ بغداد (٨٢/٢، ترجمة: محمد بن أبي علي الموصلي) وخيثمة في حديثه (١٩٧- ١٩٨) والطبراني في المعجم الأوسط (١٨١/٩، رقم: ٩٤٧٨). وابن عدي في الكامل (٢٧١/٤)، والبيهقي في الشعب (٢٠٢/١، رقم: ٩٩)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٩٧/١)، والسخاوي في المقاصد (ص:٥٦١): سنده ضعيف.

(٢) في طو بدون "هذا النورالعظيم بل يبطل كل وجود بمقابلة".

(٣) لم أجده في كتب الأحاديث التي بحثتها فيها حتى الآن.

(٤) في د زيادة "أي كلمة لا إله إلا الله".

(٥) في ك، وخد بزيادة "به".

(٦) في د بدون "معنى".

(٧) في د بدون "لا نافع" وفي مج بدون "لا معز"، ولم أعثر على هذا الأثر في كتب الأحاديث ولكنه في كتب الصوفية متداول مثل نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢٢/١).

(٨) في طو بدون "معنى".

منه[1] وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرتُه ذكرني، وقال الله تعالى:﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(الأحزاب: ٤١)، وقال الله تعالى:﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾(المزمل: ٨).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ اللهَ؟ قَالَ: «لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا[2] أَفْضَلَ دَرَجَةً مِنْهُ».[3]

وقال رسول الله ﷺ: « لَذِكْرُ الله بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ الله وَمِنْ إِعْطَاءِ المَالِ سَحًّا»[4]، قال عليه السلام: «سِيرُوا، سَبَقَ المُفْرِدُونَ ، قيل: ومَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ﷺ؟ قال: المُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ الله ، وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا»[5].

اعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال، ولهذا أعظم أمر الذكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: له وجهان: أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إيَّاه.

والآخر: أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه، وقال عليه السلام:«يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي ما ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»[1] وسُئِل رَسُولُ الله: ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله»[1]، والذكر عمدة السائرين إلى الله تعالى، وعمدة طالبيه، فلا يصل[2] أحد إلى الله إلا

---

(١) في د "فدعوا منه".

(٢) في طو "كثيرا" وكذا في الترمذي ولكن في النسخ الأخرى بدون "كثيرا".

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات (٥/٤٥٩، رقم: ٣٣٧٦)، وابن حنبل في مسنده (٣/٧٥ رقم: ١١٧٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٠ رقم: ١٤٠١) والبغوي في شرح السنة (١٢٤٦) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث دراج.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ٧٦) والديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٤٥٤، رقم: ٥٤٠٢)

(٥) في خد، و ر، و ك "حتى وضع" بزيادة "حتى"، وفي د، ومج "القيامة" بدون "يوم".

أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات (٥/٥٧٧، رقم: ٣٥٩٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسولَ الله؟ قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول الأصل/٢٦٧ في فضل العلم بالله (٤/ ١٠٦): "هم المستهترون بذكر الله حط الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا" وقد رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٢٦، رقم: ٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة مقتصرا على الجزء الأول من الحديث وقال فيه: "وما المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات" والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥١، رقم: ٥٠٤) المستهترون بذكر الله عز وجل يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافا.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك (٩/١٥٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٢/١٢٤٦، رقم: ٣٧٩٢).

بذكر الله، لأنه منه بدأ وإليه يعود لقوله تعالى:﴿اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهٗ﴾(فاطر: ١٠)[١] والذكر يوصل الذاكر إلى المذكور بل يجعل الذاكر مذكورا، لقوله تعالى:﴿فَاذْكُرُوْنِيْٓ اَذْكُرْكُمْ﴾(البقرة: ١٥٢).

اعلم أن جميع العبادات المراد منها الذكر، قال الله تعالى:﴿اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِيْ﴾(طه: ١٤) والمراد من الذكر، معرفة المذكور ومحبته، والفناء فيه، والبقاء به، والتوحيد.

فصل في كيفية الذكر:

قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ اٰبَآءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا﴾(البقرة: ٢٠٠)، وقال تعالى: ﴿وَ اذْكُرْ رَّبَّكَ فِيْ نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَّ خِيْفَةً وَّ دُوْنَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْاٰصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِّنَ الْغٰفِلِيْنَ﴾(الأعراف: ٢٠٥)، وقال عليه السلام:«أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله، تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة»[٣].

اعلم أن من شرائط الذكر أن يكون الذاكر على طهارة كاملة، من الوضوء والغسل، وطهارة البدن، وطهارة الثياب، وطهارة الموضع، وأن يقعد متربعا متوجها إلى القبلة[٤]، واضعا يديه على فخذيه، أو يأخذ براحة كفه اليسرى ظهر كفه اليمنى، وباطن إبهامه اليسرى ظاهر إبهامه اليمنى، كما فعل رسول الله ﷺ، أورده الحليمي رحمه الله تعالى في كتابه، ويكرر لا إلٰه إلا الله بقلب حاضر مع الله تعالى، خافضا صوته، غامضا عينيه، ويخرج لا إله من صميم فؤاده بقوة شديدة، مع كل تعلق[٥] في قلبه، نافيا جميع خواطره، ضرًا كان أو نفعًا، و يدخل «إلا الله» بالقوة الشديدة في قلبه، مثبتا توجه[٦] قلبه إلى الله تعالى، ليكون جوامع معنى ذكره أن ليس في الوجود سوى الله، مداوما على الذكر، مواظبا عليه، مراقبا بقلبه.

ومن آداب الذكر[٧] أن يكون جميع أوقاته مستغرقا للذكر، بحيث لا يخلو لسانه وقلبه من الذكر ومعناه، حتي يتجوهر القلب بجوهر الذكر ويرتفع الحجب المانعة من مشاهدة المذكور وبفناء الذاكر في المذكور.

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٧٢/١، رقم: ٢٠٨)، والبزار في كشف الأستار (٣/٤، رقم: ٣٠٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠٠/٣، رقم: ٨١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٧/٢٠ رقم: ٢١٢).

(٢) في خد "وعمدة الطالبين" وكذا في خد، وطو "ولا يصل".

(٣) قال العراقي في المغني، كتاب الأذكار والدعوات: الباب الأول في فضيلة الذكر(٢٩٦/١، رقم: ٩٢٤): (أخرجه) أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس (من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة) وفيه من لا يعرف، ونقول: معناه صحيح من حديث عبد الله بن بسر قال: أعرابيان، فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من طال عمره، وحسن عمله"، وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل. (مسند أحمد، ٢٢٦/٢٩، رقم: ١٧٦٨٠).

(٤) في طو، ود، ومج "للقبلة" موضع "إلى القبلة".

(٥) في خد بدون "مع" وفي طو "مع قطع كل تعلق".

(٦) في د "يوجه" مكان "توجه".

(٧) في ر "ومن أركان الذكر".

فصل في فرضية ذكر الله تعالى على المسلمين:

ذكر الله تعالى فرض دائم على المسلمين، قال الله تعالى:﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾(الزمر: ٢٢)، وفيه إشارة إلى أن يذكر العبد بقوة شديدة، لأنه ذكر القلوب بصفة القسوة، والقسوة صفة الحجر، قال الله تعالى:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(البقرة: ٧٤)، والحجر إذا كان قاسيا لا ينكسر إلا بضرب شديد بمعول قوي[١]، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف: ٣٦)، وقال رسول الله ﷺ:«الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس و تولى و إذا غفل التقم قلبه فحدّثه ومنّاه»[٢].

فصل في احتياج المريد إلى تلقين الذكر عن الشيخ:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(الأحزاب: ٧٠)، يعني قولوا: لا إلٰه إلا الله، وقال رسول الله ﷺ:«قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا»[٣].

اعلم أن للذكر شرائط وآدابا لا بد من رعايتها، ليكون مفيدًا مثمرًا. فمن شرطه أن يواظب على أفضل الأذكار وهو قول[٤] لا إلٰه إلا الله.

ومن شرطه أيضًا[٥] أن يأخذ هذا الذكر بالتلقين من أهل الذكر، كما أخذ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من رسول الله ﷺ، فيما روى شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت حاضر يصدِّقه، إنا لعند رسول الله ﷺ إذ قال[٦]:«هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب[٧]، قلنا: يا رسولَ الله ﷺ! لا ، فأمر بغلق الباب، فقال: ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إلٰه إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) في طو "بقوة قوي" وفي ر "بعمودي قوي".

(٢) أخرجه الأئمة الأعلام بألفاظ مختلفة كابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، كلام ابن عباس رضي الله عنه (١٣٥/٧، رقم: ٣٤٧٧٤) «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس» وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٨، رقم: ٤٣٠١) «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس» ورواه البخاري في صحيحه موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما بدون سند (٦/ ١٨١) «إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه». وفي تفسير القرطبي (سورة الناس، ٢٠/ ٢٦٢) إذا ذكر الله العبد خنس من قلبه فذهب، وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه.

(٣) في ر "تفلحون" وهو خطأ. وأخرج الحديث أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٠٤، رقم: ١٦٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٨، رقم: ٤٢١٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥١٧، رقم: ٦٥٦٢)، وابن خزيمة (١/ ٨٢، رقم: ١٥٩) وغيرهم.

(٤) في خد، وك "قوله" موضع "قول".

(٥) في د بدون "أيضًا".

(٦) في طو "قال إنا لعند رسول الله" بزيادة "قال" وفي مج "إذ قال" وفي غيرها "إذا قال".

(٧) في خد، وك "أهل الكفار" موضع "أهل الكتاب".

يده[1] ثم قال: الحمد لله، اللَّهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، و وعدتني عليها الجنة، إنَّك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أَبْشِروا فإن الله قد غفر لكم».[2]

وقد لقَّن الصحابة التابعين من المشايخ شيخًا بعد شيخ إلى زماننا هذا، كل من كان أهل الذكر منهم[3]، كما كانت الصحابة رضي الله عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾(الفتح: ٢٦) وهي كلمة لا إلٰه إلا الله وكانوا أحق بها، لأنهم أخذوها من رسول الله ﷺ بالتلقين، وأهلها لنفوذ الكلمة في باطنهم بتأثير الأنوار.

فالمريد إذا استعد بخدمة شيخ عارف بحقيقة الأمر، سالك بطريق الحق[4]، واقف على دقائق التربية، يلقنه الذكر،[5] ويعوّده التخلي، و المواظبة على الذكر، ليزيد[6] بذلك طلبه و شوقه، فيستأنس في الخلوة ويستوحش عن الخلق فيجلسه في الخلوة.

فصل في أن عليا ـ رضي الله عنه ـ تلقى الذكر من النبي صلى الله عليه وسلم:

ثبت عند أئمة الطريق من الصوفية وسادات السلوك أن علي بن أبي طالب ـ كرَّمَ اللهُ تعالى وَجْهَهُ ـ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَى الله تَعَالَى وَأَسْهَلِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ الله، فَقَالَ[7] رَسُولُ الله ﷺ: يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ الله تَعَالَى فِي الْخَلْوَةِ ، فقال علي: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى يبقى من يقول: الله الله، فَقَالَ عَلِيٌّ: كَيْفَ أَذْكُرُ يَا رَسُولَ الله ﷺ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي[8]، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَعَلِيٌّ يَسْمَعُ ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ»[9].

---

(١) "يده" زيدت من خد، وك.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن ربيعة بن عباد الديلي (٢٨/ ٣٤٨ رقم:١٧١٢١) و البزار في مسنده (٧/ ١٥٦رقم: ٢٧١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٩، رقم: ١٨٤٤).

(٣) في د "وكل من كان أهلا لتلقين الذكر منهم لقن الناس".

(٤) في مج، ود "و سالك" بزيادة حرف العطف و في طو، ود "لطريق" مكان "بطريق".

(٥) في خد "بالذكر" بالباء.

(٦) في طو بدون "ليزيد".

(٧) في د، ومج بدون الفاء.

(٨) في طو بزيادة "ثلاث مرات ثم قالها أنت ثلاث مرات وأنا أسمع" وهو خطأ، ولو كان "قلها" صح معناه.

(٩) في د بدون " فقال علي: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى يبقى من يقول: الله الله"، وكذا أخرجه ابن عقيلة في الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة، التاسع: الحديث المسلسل بتلقين كلمة لا إله إلا الله (ص: ٨٦) بسنده وأيده بأحاديث صحيحة ورواه الصوفية بأسانيدهم.

ثم لقَّن علي رضي الله عنه الحسن البصري، وهو لقن حبيب العجمي، وهو لقن داود الطائي، وهو لقن معروف الكرخي، وهو لقن سري السقطي، وهو لقن الجنيد، ومن الجنيد إلى أبي على الرُّوْذباري، ومنه إلى أبي علي الكاتب، ومنه إلى أبي عثمان المغربي، ومنه إلى أبي القاسم الكركاني، ومنه إلى أبي بكر النسَّاج، ومنه إلى أحمد الغزالي، ومنه إلى أبي النجيب السُّهروردي، ومنه إلى عمار بن ياسر، ومنه إلى نجم الدين الكبرى، ومنه إلى مجد الدين البغدادي، ومنه إلى علي لالا[1]، ومنه إلى أحمد الكورباني، ومنه إلى عبد الرحمن الكسرقي[2]، ومنه إلى برهان الدين السمرقندي، ومنه إلى الفقير مؤلِّف هذا التأليف.[3]

فصل في تنبيه المريد على دوام الذكر بعد توبة النصوح:

ليتنبّه هذا المريد في هذا الطريق على دوام الذكر بعد توبة النصوح، وليلازم الصدق والإخلاص والورع والصمت إلا عن ذكر الله تعالى، فيكون في حركاته وسكناته، وقيامه وقعوده ذاكرًا لله تعالى، مع سكون الجوارح، ممتثلا لأوامر شيخه العارف[4] بهذا الطريق كالميِّت بين يدي الغسال[5]، كما كان الصحابة مع النبي ﷺ.

قال عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ أَن يَّنظر إلى ميِّت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر »[6] وقال عليه السلام: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَد قَضَى نَحْبَهُ »[7]

وقال عليه السلام: «مُوْتُوْا قَبْلَ أَنْ تَمُوْتُوْا»[8]، فإذا كان بوصف الميت كان ذاكرًا لله بالله لا بنفسه وإنَّما يصل الذاكر إلى الله تعالى بذكر الله تعالى القديم، لا بذكر نفسه الحادث.[9]

---

(١) في خد "أبي علي لالا" وهو خطأ.

(٢) في طو، وك "عبد الرحمن الكسرقي"، وهذا صحيح، وفي خد "عبد الرحمن الكيرقي" وفي الأخرى "الكرخي".

(٣) في خد، وك "المؤلف هذا الكتاب".

(٤) في خد "الشيخ العارف".

(٥) في طو "الغاسل".

(٦) نقله العلماء الصوفية في مؤلفاتهم ولم نجده في متون الحديث، وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤، رقم: ٤٤٠٤): "من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر" وقال "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٤٩ رقم: ٩٣٨٤) وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٣٠٢).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (٥/ ٦٤٤ رقم: ٣٧٤٠) وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ٤٦ رقم: ١٢٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٤، رقم: ٥٦١١) وقال "صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه".

(٨) قال الحافظ بن حجر: غير ثابت (الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، ص: ٩٨)، وقال القاري: هو من كلام الصوفية والمعنى: موتوا اختيارا بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطرارا بالموت الحقيقي. (كشف الخفاء ٢/٣٥٠، رقم: ٢٦٦٩).

(٩) في خد من "لا بنفسه"..... إلى آخر الفصل غير موجودة.

فصل في قصد المريد إلى الشيخ العارف:

أول ما يلزم المريد بعد الانتباه من غفلته أن يقصد إلى شيخ من أهل زمانه، عارف مؤتمن على دينه، معروف بالنصح والأمانة، واقف على دقائق الطريق، فيسلم نفسه لخدمته، ويجتنب مخالفته، ويكون الصدق حاله. ثم الشيخ يعرّفه كيفية الرجوع إلى الله تعالى، ويدله على الطريق، ويُسَهِّل عليه سلوكها، ويعلمه شرائع الإسلام مما له وعليه. فإن الشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين.[1]

وأولى الأشياء به تصفية المطعم[2]، والمشرب، والملبس؛ لأن بذلك يجد الزيادة في حاله، قال النبي ﷺ:«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»[3]. وقال بعضهم: طلب الحلال فريضة على الكل وترك الحلال فريضة على هذه الطائفة إلا على حد الضرورة[4]، ثم قضاء ما ضيع من الفرائض، ثم رد المظالم على أهلها، لقول النبي ﷺ: «رَدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ يَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ سَبْعِينَ حَجَّةً»[5] وما كان من ضرب، وجرح، وقطع فالقصاص، وما كان من غيبة، أو نميمة، أو شتيمة[6] فالاستحلال والاستغفار لصاحبها، ثم معرفة النفس وتأديبها بالرياضة[7].

و للنفس صفتان: (١) انهماك في الشهوات، (٢) وامتناع عن الطاعات، فيروضها بالمجاهدة وهو فطم النفس عن مألوفاتها، وحملها على خلاف أهويتها ومنعها من الشهوات، ويأخذها بالمكابدات وتجرع المرارات بكثرة الأوراد، واستدامة الصوم، والنوافل من الصلاة، مع الندم على المخالفات، ونقلها عن قبيح العادات.

ويجتهد أن يتعوض عن النوم سهرًا، وعن الشبع جوعًا، وعن الرفاهية بؤسًا، فيكون حينئذ من جملة التوابين،[8]

---

(١) في طو "المريد".

(٢) في خد بدون "به".

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٧٤ رقم: ٩٩٩٣) والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٥/١ رقم: ١٢٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ١٧٦، ٨٣٦٧) وقال السخاوي في المقاصد (ص: ٥٠٥): قال البيهقي تفرد به عباد وهو ضعيف قال أبو أحمد الفرا سمعت يحيى بن يحيى يسأل عن حديث عباد في الكسب فإذا انتهى إلى رسول الله قال إن كان قاله. ثم ذكر السخاوي المتابعات والشواهد وقال: وبعضها يؤكد بعضا لا سيما وشواهدها كثيرة.

(٤) في طو بدون "حد".

(٥) قال القاوقجي في اللؤلؤ المرصوع (ص: ٨٨ رقم: ٢٢٣): حديث رد دانق - ويروى آبق- على أهله خير من عبادة سبعين سنة لم يثبت أصل مبناه لكن صحيح معناه. وذكر شواهده العجلوني في كشف الخفاء (٤٩٠/١، رقم: ١٣٧٨).

(٦) في خد "و" بدل "أو".

(٧) في خد بدون "ثم معرفة النفس وتأديبها بالرياضة".

(٨) في طو بزيادة "المختصين بمحبة الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وقال عليه السلام:«اَلشَّابُّ التَّائِبُ حَبِيْبُ الله تَعَالى»[1]، ويكون من الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات.

فصل في تلقين الذكر :

اعلم أن الذكر بالتقليد شيء، وبالتحقيق شيء آخر؛ فما دخل في مسامع المستمعين من طريق أفواه العامة، مثل ترديد الوالدين وغيرهما من المعلمين فهو الذكر التقليدي، وهذا الذكر[2] في دفع الأعداء، ولكن ليس له قوة الحماية للذاكر وتبليغه إلى مقام الولاية، والقرب من الله تعالى، مثل النشاب[3] الذي يشترى من السوق، فإنه يصلح لدفع العدو، ولكن لا يحمي الحماية كما يحمي النشاب الذي أخذه من يد السلطان، ليكون في حمايته.

كذلك الذكر إذا تلقنه من تلقين صاحب الولاية في التصرف الذي أخذ الذكر من صاحب تصرف آخر مسلسلا إلى رسول الله ﷺ، فهذا الذكر يتصرف في باطن المريد المستعد إذا غرس في أرض قلبه بالتلقين، وربي بماء الأعمال الصالحة بدهقنة المتابعة، ونظر شمس الولاية فإنها تؤتي أكلها من المكاشفات والمشاهدات كل حين بإذن ربها، ويمكن بأن يثمر له ثمرة معرفة الولاية والوصول إلى ذروة المحبة إذا ربّاه بماء الإرادة و الصدق والإخلاص إن شاء الله تعالى وحده.

ولتلقين أهل الذكر في هذا المعني شأن عجيب[4]؛ ولهذا شبَّه النبي ﷺ النخل بالرجل المسلم في حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال:«إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي، فوقع الناس في شجرة البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله ﷺ قال: هي النخلة»[5]، وذلك أن النخلة لا تثمر البتة ما لم توبر، كذلك المريد الصادق ما لم يتلقن الذكر من شيخ كامل لا تثمر شجرة وجوده من الثمار المودعة فيها بجود موجدها[6].

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ، وقال العراقي: روى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف: إن الله يحب الشاب التائب. وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلي بسند ضعيف من حديث علي: إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب. نقول: ويؤيده ما رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٢/ ١٤١٩ رقم:٤٢٥٠) عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التائب من الذنب، كمن لا ذنب له».

(٢) في طو "هذا ينفع الذاكر".

(٣) النِّشَّابُ: النَّبْلُ. واحدتُه : نُشَّابَة . والجمع : نَشاشيبُ .

(٤) في طو "سر عجيب"، وفي خد بزيادة "من عرف كتم، فهم من فهم وجهل من جهل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا (١/ ٢٢، رقم: ٦١) ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢١٦٥/٤ رقم: ٢٨١١).

(٦) في د "بوجود موجودها"، وفي طو "لوجود موجودها".

فصل في شرائط تلقين الذكر:

شرط التلقين أن يصوم المريد ثلاثة أيام بأمر الشيخ، إذا أراد أن يتلقن الذكر، ويكون فيها دائم الوضوء، ودائم الذكر، وقليل الطعام، وقليل الكلام، وقليل المنام، وقليل الاختلاط مع الأنام، ثم يغتسل بإذن الشيخ وينوي نية غسل الخروج من الغفلة إلى الحضور والمراقبة مع الله تعالى كما أن من[1] جاء إلى النبي ﷺ يسلم، أمره النبي ﷺ أولا أن يغتسل بنية غسل الإسلام، ثم لقنه رسول الله ﷺ كلمة التوحيد.

كذلك المريد يغتسل عند تلقين الذكر من الشيخ بنية الخروج من الغفلة والدخول في السلامة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء: ٨٩)، آخذا من هذه السنة. ويقول في غسله هذا: اللهم إني طهَّرت البدن الذي تصل يدي إليه بتوفيقك، فطهِّر أنت قلبي الذي حكمه بيد قدرتك وأنت مقلبه بماء نور معرفتك.

فإذا فرغ من الغسل يختلف[2] إلى الشيخ ويجلس[3] بين يديه ويوصيه الشيخ بما يقتضيه حاله ويجثو على ركبته ويسكت ويحضر قلبه مع قلب الشيخ ويراقب سره حتى يقول الشيخ مرة: لا إلٰه إلا الله، مادًا صوته وهو يأخذ بقلبه متفهمًا معانيها، بحيث ينفي بـ"لا إله" الخواطر كلها، ويثبت بـ"إلا الله" الحضرة الإلهية، أي لا مطلوب لي، ولا مقصود[4]، ولا معبود، ولا محبوب إلا الله تعالى، ثم يقول المريد رافعا صوته، مادًّا نفسه، حاضرًا قلبه عند النفي والإثبات، ثم يقول الشيخ مرة ثانية، ثم يقول المريد، ثم يقول الشيخ مرة ثالثة، ثم يقول المريد، ثم يرفع الشيخ يديه، ويدعو له، ويقول[5]: اللهم خذ منه وتقبل منه، وافتح عليه أبواب كل خير[6] فتحته على أنبيائك وأوليائك.

فصل في أن للذكر سلطانًا عظيمًا وإن كان بمجرد اللسان:

قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى: إن للذكر وإن كان بمجرد اللسان سلطانًا عظيمًا، ولكنه لا يظهر عند الوجود، لقوة احتجابه عن سلطان الذكر فإذا عرى السيار عن الوجود بالنوم، أو بالغَيبة[7] عند ضعف الوجود، ظهر سلطان الذكر، وهو نور يقع عليه من فوق أو من وراء أو من قدام،

---

(١) في د "امرء".

(٢) في خد "ينطلق".

(٣) في طو "يقعد"، وفي د بدون "ويجلس بين يديه ويوصيه الشيخ".

(٤) في خد، وك بزيادة "لي".

(٥) في خد بدون "يقول"

(٦) في طو، ومج بزيادة "كما".

(٧) في طو "بالغفلة".

فيتزلزل وينتقض ويقول عند ذلك ضرورة المخافة لا إله إلا الله، ويجد شدة شديدة وقوة عظيمة[1] حتى إنه يسجد وينيب حينئذ إلى الله تعالى عز وجل ويسلم ويؤمن، وهذا يظهر بقدر خدمته للذكر[2] ومواظبته على.

فذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان، وذكر الحضور في القلب[3] ذكر القلب، وذكر الغَيبة عن الحضور في المذكور ذكر السر، فإذا رجعت من[4] الحضور إلى فهم الذكر نزلت درجة، فإذا ذهلت عن المذكور[5] واختصرت بمجرد لقلقة اللسان نزلت درجة أخرى.

فصل في أن خلاصة الذكر الاستغراق بالمذكور:

خلاصة الذكر: الاستغراق بالمذكور، وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق بالمذكور[6] جملة، وإذا التفت في أثناء الذكر إلى الذكر، فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة يعبرعنها العارفون بالفناء، وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا من الأشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك، ذاهبا إلى ربه أولًا ثم آخرًا، ثم ذاهبًا فيه أخرى، فإن خطر له في أثناء ذلك أنه هل فنى عن نفسه بالكلية، فذلك شوب وكدورة، بل الكمال في أن يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء أيضًا، والفناء عن الفناء غاية الفناء.

فصل في أن قائل لا إله إلا الله يحتاج إلى أوصاف لا يفيد بدونها:

قائل لا إلٰه إلا الله يحتاج إلى أوصاف لا يفيد بدونها:

الأول: أن يعلم أنه أي شي يقول؟ وما الذي ينفي ويثبت؟ أما النفي فإنه ينفي الآلهة التي تدعي الربوبية من النفس والهوى والشهوة والشيطان، قال الله تعالى:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(الجاثية: ٢٣).

وأما الإثبات فإنه يثبت الله تعالى فيقوم نافيًا مثبتًا.

الثاني: أن يكون هذا الذكر مع تعظيم الله تعالى في قلبه، وقلبه مملوء من عظمته احترامًا، وهو أن الله تعالى مطلوبه ومحبوبه.

الثالث: أن يكون صدق الإرادة والمحبة في قلبه للوصال إلى ربه تعالى بمشاهدة القلب، لأنه لو كانت

---

(١) في خد بدون "وقوة".

(٢) في ر "الذكر" بدون اللام الجار.

(٣) في طو "والقلب" بدل "في القلب".

(٤) في خد، وك، ومج، "إلى"، وفي طو "عن".

(٥) في خد، وك، ومج، "عن المذكور والحضور"، وفي طو "عن الحضور والمذكور".

(٦) في د بدون "وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق بالمذكور".

إرادته ضعيفة كان متمنيًا لم تبلغ إرادته[1] إلى صدق المحبة، كالمجرِّب يريد امتحان هذا الذكر أنه هل يفيد شيئًا مما يقوله مشايخ الصوفية من المكاشفات والمشاهدات والوصال وغيرها أم لا؟ فلا يفيد له شيئًا قط.

الرابع: أن يذكر[2] هذه الكلمة بحسن الأدب والحرمة لأنه لو لم يكن له أدب وحرمة كان[3] فظًا غليظًا، جلفًا، غاويًا، غير صالح لصحبة السادات والكبراء، فلا يفتح له المَلِك تعالى بابَ القُرب والمشاهدة، والجلوس إليه، ومن ارتقى إلى أعلى عليين بحسن خلقه، و لم يكن معه حسن الأدب، ينزله سوء أدبه إلى أسفل السافلين.

الخامس: المُرَاقَبَةُ مَعَ الله تَعَالَى بِجَمِيعَ الهمِّ[4]، قال النبي ﷺ:«إن لله تعالى في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»[5]، والنبي ﷺ أَمر[6] بالتعرض لنفحات رحمة الله تعالى عليه، وهي المراقبة، و نفحات رحمة الله هي التي يسميها الصوفية لمحةً، ولمعةً، و وجدًا، ووجودًا ؛ و علامة حصول هذه الأوصاف الخمسة المذكورة وجدان الحلاوة في سره موهبة من الله تعالى.

[7]ومن شرائط الذكر أن يكون الذاكر على طهارة كاملة ولا يصبر[8]على الحدث سويعة ما، وكلما أحدث يجدد الوضوء للحال، وإن اغتسل بدلًا عن الوضوء كان أفضل، وقد ثبت بإجماع الأمة أن الغسل أفضل من الوضوء.

ومن شرائطه أن يواظب على أداء الفرائض والسنن الراتبة ولا يخل بشيء منها ولاينقص، وبعد ذلك يشتغل بذكر لا إلٰه إلا الله فيقوم مقام كل الأذكار[9] والتسبيحات والنوافل؛ لأن[10] كل الصيد في جوف الفرى. ويجتنب المعاصي كلها، ويجانب مجالس الناس ومكالماتهم[11] لا سيما في حالة الخلوة و الذكر و بداية الطريقة والحقيقة.

---

(١) في خد، ومج، وك "لوكان إرادته" وكذا "لم يبلغ إرادته" بصيغة المذكر.

(٢) في طو "أن يكون" .

(٣) في د "لكان".

(٤) في خد، وك "الهمم".

(٥) سبق تخريجه في " في " فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة".

(٦) في طو "يأمر".

(٧) في خد، ك بزيادة العنوان "باب" .

(٨) في طو "لا يصبر".

(٩) في طو "وذكر الله فيقوم مقام كل الأذكار".

(١٠) في د "لأن"، وفي الباقية بدونها.

(١١) في طو "مكالمتهم".

فإذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرائط المذكورة أربعين يومًا مستمرًا، يفتح له باب المكاشفات والمشاهدات من عوالم الروحانيات لا محالة؛ قال رسول الله ﷺ:«من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١).

فصل في مراتب الذكر :

قد هدى الله تعالى الذاكرين بقوله تعالى:﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾(البقرة: ١٩٨) إلى مراتب ذكره، فأولًا يهديهم إلى ذكر اللسان، ثم إلى ذكر النفس، ثم إلى ذكر القلب، ثم إلى ذكر السر، ثم إلى ذكر الروح، ثم إلى ذكر الخفي.

أما ذكر اللسان، فكأنه بذلك يُذَكِّرُ الْقَلْبَ ما نسي من ذكر الله تعالى. وأما ذكر النفس، فهو ذكر مسموع أيضًا بالحروف والصوت تسمعه النفس كذكر اللسان(٢). وأما ذكر القلب، فذكره(٣) ضد النسيان وهو ملاحظة القلب. وأما ذكر السر، فهو المراقبة لمكاشفة(٤) الأسرار الإلهية. وأما ذكر الروح، فهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات الصمدية.(٥) وأما ذكر الخفي، فهو معاينة أنوار جمال الذات في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِند مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ.

فصل في أطوار الإنسان و ذكرها في القرآن المجيد:

هذه الأطوار أعني(٦) عوالم الإنسان، كلها مذكورة في كتاب الله تعالى، وهي سبعة؛

(١) بدن (٢) نفس (٣) قلب (٤) سر (٥) روح (٦) أخفى(٧) عقل؛

كما قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(نوح:١٣،١٤) (٧).

أما البدن: فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ الآية. (المؤمنون: ١٢)، والبدن هو هذا الجسم الكثيف.

و أما النفس: فقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾(الفجر: ٢٨) ، والنفس جسم لطيف كلطافة الهواء في أجزاء البدن كالزبد في اللبن والدهن في الجوز واللوز.

---

(١)سبق تخريجه في " فصل في عدة الخلوة و دلائلها".

(٢) في د "يسمعه النفس كذاكر الللسان" وفي ك، وخد، ومج "يسمعه النفس كذكر اللسان"، وفي طو "تسمعه النفس كذلك اللسان".

(٣) في طو بدون "فذكره".

(٤) في ر "بمكاشفة".

(٥) في طو زيادة "مشاهدة تجليات أنوار صفات الصمدية".

(٦) في مج بزيادة "بها"، وفي خد بزيادة "أطوار".

(٧) من "وهذه سبعة" إلى هذه الآية زيدت من د و في النسخ الباقية غير موجودة.

وأما القلب: فقال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾(المجادلة: ٢٢)، والقلب داخل النفس وهو ألطف وأضوء منها.[١]

وأما السر: فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(طه: ٧)، والسر نور روحاني آلة للنفس، فإن النفس تعجز عن العمل، ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر الذي هو همة مع النفس.

وأما الروح: فقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(الإسراء: ٨٥)، والروح[٢] نور روحاني آلة للنفس أيضًا، فإن الحياة في البدن إنما تبقى بشرط وجود الروح في النفس، أجرى الله تعالى العادة بذلك.

وأما الروح الخفي: فإنهم يسمونه خفيًا[٣]، والصواب أخفى؛ لموافقة القرآن في قوله تعالى:﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(طه: ٧)، وإنما سمي أخفى لأنه أبلغ من الروح، و السر، والقلب، في الاستتار[٤] والاختفاء عن الخواطر والفهوم. وهو نور ألطف من السر والروح، وهو أقرب إلى عالم الحقيقة، وهو كالحاجب للنفس في الحضرة الصمدية إذا ذهل النفس والقلب والعقل والسر والروح عن الحضرة، يلتفت إليهم الأخفى[٥] شزرًا، بلمحة لطيفة، فيتنبه الكل لله تعالى عقيب ذلك، وذلك التنبيه من الله تعالى بوسيلة الروح الأخفى، وهذا الذهول عن الحضرة الصمدية لعامة الأولياء، أو لعامة المؤمنين[٦]، وأما الأنبياء وكبار الأولياء فإن أسرارهم قلَّ ما يلتفت عن الأعلى إلى الأسفل، و هم الذين قال الله تعالى فيهم:﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾(الأحزاب: ٣٩).

مسألة:

اعلم أن ثمة روحًا آخر ألطف من هذه الأرواح كلها، وهي لطيفة داعية لهذه الأطوار إلى الله تعالى، وقالوا: هذا الروح[٧] لا يكون لكل واحد بل هو للخواص، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(غافر: ١٥)، وهذا[٨] الروح ملازم عالم القدرة، مشاهد عالم الحقيقة، لا يلتفت إلى خلقه قط[٩].

---

(١) في طو بدون "منها".

(٢) في طو بدون " فقال الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ والروح".

(٣) في مج "الخفي" وفي خد، وك، وطو "أخفى".

(٤) في طو "الإستتار".

(٥) في د، ومج "الأخفي".

(٦) في خد "العامة الأولياء والعامة المؤمنين"

(٧) في طو "لهذه الروح".

(٨) في طو "هذه".

(٩) في د "الخلق" فحسب.

مسألة:

ومن قال هذه الأطوار من النفس إلى آخرها كلها شيء واحد، لا يُلتفت إلى قوله[١]، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل كل واحد عن[٢] خاصيته، فإن الله تعالى خص كل واحد منها بالذكر، فلا بد في التخصيص من فائدة.

واعلم أنهم يذكرون اسم القلب ويريدون به النفس، ويذكرون ويريدون به الروح[٣]، ويذكرون ويريدون به العقل، لكن الأصل في القلب هو الذي ذكرنا، وما عداه مجاز. وقد يطلق القلب ويراد به النفس باعتبار أن النفس داخل البدن، فيقال: إنها قلب البدن.

وأما العقل فذاته[٤] نور روحاني و مقامه في القلب[٥] في جانب السر، غير أن السر ميال إلى الأعلى، والعقل ميال إلى الدنيا والآخرة[٦]، و قد ورد[٧] في أخبار داود ـ عليه السلام ـ أنه سأل ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ أين موضع العقل منك؟ قال: القلب، لأنه قالب الروح، والروح قالب الحياة.

ويروى في الخبر أن الله تعالى فيما ناجى به أيّوب ـ عليه السلام ـ قال: يا أيوب من جعل العقول في أجواف الرجال؟

مسألة: في أن الحيلة في صرف الشيطان عن المريد ودفع مكايده هو ذكر الله تعالى:

اعلم أنه لا حيلة في صرف الشيطان عن المريد، ودفع مكايده معه أفضل من ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، أي أكبر في نفي الكبر والخيلاء، ومحو الأوصاف الذميمة كلها، لا سيما ذكر الله بكلمة «لا إلٰه إلا الله»، فإن لها تأثيرًا عظيمًا في إزالة الأوصاف الذميمة، وقال كثير[٨] من مشايخ الصوفية: «ولذكر الله أكبر» أي ذكر الله خير لكم وأكبر لكم من ذكركم الله تعالى. وهذا قريب أيضًا فإن ذكر الله تعالى لنا بالقبول ونظر الرحمة والجود والفضل ينفي عنا الأوصاف الذميمة، فكان أكبر من الصلاة في تطهيرنا.

---

(١) في مج بزيادة "لما يستفيد من فوائد كل واحد منها"، وفي طو "لما مر من فوائد كل واحد منها".

(٢) في طو "من".

(٣) في د بدون "يذكرون ويريدون به الروح"، وفي خد، وك بزيادة "القلب" بعد يذكرون.

(٤) في د "فإنه".

(٥) في د "في جانب الأيسر".

(٦) في خد، وك "غير ميال إلى الأعلى، والعقل ميال من الدنيا والآخرة" وهو خطأ.

(٧) في طو "روي".

(٨) في د "أكثر".

مسألة:

اعلم أن ارتكاب العبودية والانقياد لها والفرح والسرور بها، شرطٌ أعلى[1] في تنوير القلب والنفس؛ ولذلك قال عليه السلام: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ الله»[2].

فصل في الوصال:

يعني بالوصال الرؤية والمشاهدة، وطريق الوصال إلى الله تعالى متابعة الصراط المستقيم بدوام ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَ اَنَّ هٰذَا صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا فَاتَّبِعُوْهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِه﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِيْٓ اُوْحِيَ اِلَيْكَ اِنَّكَ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣).

فطلب الحق سبحانه وتعالى بالمراقبة والخلوة، ودوام الذكر فرض دائم على الطالبين الله[3] تعالى المحبين إياه تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ (الأنعام: ٩١) يعني قل: الله أطلبه، وأريده و أحبه لا غير، فقال تعالى: ﴿وَ جَاهِدُوْا فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهٖ هُوَ اجْتَبٰىكُمْ﴾ (الحج: ٧٨) وهو أمر بالمجاهدة في عوالم الحقيقة[4]؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ اجْتَبٰىكُمْ﴾ (الحج: ٧٨) أي جذبكم إليه واصطفاكم لديه، و هذا يدل على أنه لابد من المجاهدة في الله للمبتدي والمنتهي؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ (الحجر: ٩٩)، معنى ذلك أن قدر العارف بقدر معرفته، وقدر معرفته بقدر سيره في الله تعالى، فلا ينتهي وإن سار سرمدًا فلا يحل لمن فتح له باب السير في العالم الأعلى[5] أن يقف حتى يموت[6]، وقال الله تعالى: ﴿وَ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩) يعني الذين جاهدوا في طلبنا.

---

(١) في طو بزيادة "وأهم".

(٢) لم نجده، ويؤيده ما قال رسول الله ﷺ : إن لله عز و جل مائة و سبعة وعشر خُلقا لا يوافي عبد بخلق منها إلا أدخله الجنة. رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٠، رقم: ١٠٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٦٥، رقم: ٨١٩١)، والبزار في مسنده (٢/ ٩١، رقم: ٤٤٦)، والطيالسي في مسنده (١/ ٨٢) بألفاظ مختلفة، واللفظ للبيهقي. ومما يؤيده ما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاق النبى ﷺ: كان خلقه القرآن. (مسند أحمد ٤٢/ ١٨٣رقم: ٢٥٣٠٢)، وجاء بزيادة: يغضب لغضبه ويرضى لرضاه. (المعجم الأوسط للطبراني ١/ ٣٠رقم:٧٢)، علق عليه العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردى فى عوارف المعارف: فيه رمز غامض وإيماء إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول : كان متخلقا بأخلاق الله تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: كان خلقه القرآن ، استحياء من سُبُحات الجلال ، وسترًا للحال بلطيف المقال ، وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها. (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية: ٦ /١٠) نقول: قد وجدنا الأكابر من المحدثين والمفسرين ذكروا الحث على التخلق بأخلاق الله تعالى وهذا يدل على أنه كان معروفا عند السلف.

(٣) في د "لله".

(٤) في طو "عالم الحقيقة".

(٥) في غير طو "العوالم".

(٦) في خد "أن يموت".

مسألة:

المنتهي الواصل في شرف الوصال مسرور بمحبوبه، والمبتدي الطالب للوصال في شرف طلب[1] الوصال، ومن سواهما لا قدر له.

وهذا لمن حمل القالبَ على المجاهدة، والنَّفْسَ على الرياضة، والقلبَ على المراقبة، والسرَّ على السير، والروحَ على طلب المحبوب، إلى أن يصل إلى سر الروح وهو الخفي، ويصل[2] إلى عالم الحقيقة، فإن الخفي في عالمها، فإذا اطلع السر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر، كان السر سراج النفس والقلب والعقل، به يبصرون الحقيقة، و هذا في مبادي الحال.

فإذا تمكن المريد من الحقيقة، وترفع[3] في المراقي تقدم[4] النفس على السر، والروح، والخفي، وصار[5] أقوى وألطف من السر والروح والخفي، فيكون[6] النفس والقلب والعقل في باطن البدن، ويكون شعاعه[7] في أعلى عليين في عالم الجبروت، لا يصل إليه الملائكة المقربون.

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ لله كَانَ اللهُ لَهُ»[8]، يعني من كان في طلب الحق مع إخلاص الأعمال كلها كان الله تعالى كافيه في أموره.

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(الزمر: ٣٦).

وقال موسى: يا رب متى تكون لي؟ قال: إذا لم تكن لنفسك، قال: متى لا أكون لنفسي؟ قال: إذا نسيتها كلها.

قال أبو يعقوب السُّوسي: لا يصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن له هم بالمحبة، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة[9] كان محبا من غير محبة.

---

(١) في د بدون "طلب".

(٢) في خد، ومج، وك "وصل"، وفي طو "فإذا وصل".

(٣) في طو، وخد، وك "ترافع".

(٤) في طو "تقدمت".

(٥) في طو "صارت".

(٦) في طو "فتكون".

(٧) في طو "شعاعها".

(٨) في خد، ود "معه" مكان "له"، والحديث لم نجده في كتب الحديث، ومعناه صحيح كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(محمد: ٧).

(٩) في د بزيادة "النسبية".

فصل في أن طالب الحق ينبغي له أن يكون محبًا للوصال في جميع الأحوال:

ينبغي لطالب الحق تعالى أن يكون طالبًا له تعالى، محبًا للوصال، مشتاقًا إلى لقائه في جميع الأحوال، في السراء والضراء، كما في الخبر: «أَوَّلُ من يُدْعَى إلى الجنَّةِ يومَ القيامة، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»[1] فإن طلبه في كل حال يدل على صدق محبته له تعالى، قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله عبدًا ابتلاه فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه»[2]، وقال ﷺ: «اعْبُدُوا اللهَ بِالرِّضاءِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَفِي الصَّبْرِ عَلى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ»[3]، وقال ﷺ لطائفة: «ما[4] أنتم؟ قالوا: مؤمنون. فقال عليه السلام: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء ونشكر على الرخاء[5] ونرضى بمواقع القضاء. فقال: أنتم[6] مؤمنون ورب الكعبة»[7]، وفي رواية: «إنهم[8] حكماء، علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»[9]. وقال بعض الكبار: ذكر الله تعالى على الصفاء ينسي العبد مرارة البلاء.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٨١/١ ، رقم ١٨٥١) وقال : صحيح على شرط مسلم .والطبرانى فى المعجم الكبير (١٩/١٢ ، رقم: ١٢٣٤٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢١٦، رقم :٤٠٦٣). قال الهيثمى (٩٥/١٠): رواه الطبرانى فى الثلاثة بأسانيد، وفى أحدها قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس(١/ ٢٥١ رقم:٩٧١) عن علي رضي الله عنه.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج الحاكم في المستدرك (٦٢٣/٣، رقم: ٦٣٠٣) بلفظ: فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر. وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٦) والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٣٥٦، رقم: ٩٥٢٨).

(٤) في د "من".

(٥) في د "الرضا".

(٦) في طو بدون "أنتم".

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٦٣) عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر ومعه أناس من أصحابه، فقال: «أمؤمنون أنتم؟» فسكتوا - ثلاث مرات - فقال عمر في آخرهم: نعم، نؤمن على ما أتيتنا به، ونحمد الله في الرخاء، ونصبر على البلاء، ونؤمن بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مؤمنون ورب الكعبة» ورواه ابن بشران في الأمالي (١/ ٢١٣) والحديث حسن.

(٨) في طو "إنه قال" مكان "إنهم".

(٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٩٢) دخل قوم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من القوم؟» فقالوا: مؤمنون، فقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟» قالوا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ففقهاء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء» ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا كان الأمر كما تقولون فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه تصيرون» وروى ابن عساكر في التاريخ (٢٠١/٤١) وأبو سعد النيسابوري في الأربعين (ص:٤٢) عن سويد بن الحارث، قال: وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة من قوم أبايعه فلما دخلنا عليه، وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنتم ؟" فقلنا: مؤمنون ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم"؟ قال سويد: فقلت: خمس عشرة خصلة، خمسة منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمسة منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمسة منها تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها إلا أن تكره منها=

اعلم أن الله تعالى يرى عباده البينات والآيات، حتى يتبين لهم أنه الحق بذاته، الغني بصفاته، وما سواه قائم بقدرته، فيغلب عليهم مشاهدته، ويفنى[1] عنهم ما سوى الله تعالى فلا يشاهدون إلا الحق جل ذكره، وذلك قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: ٥٣)، وهذه هي معرفة العارفين الصديقين الذين هم[2] أصحاب المشاهدة و المكاشفة.

قال بعضهم: رأيتُ اللهَ قَبْلَ كلِّ شيء، وهوعرفان الإيقان، ورؤية الإحسان ببصيرة السر.[3]

وقال الحسين ـ رضي الله تعالى عنه ـ: البلاء من عند الله، العافية من الله تعالى.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: لولا البلاء من الله تعالى لم يكن للعبد طريق إلى الله تعالى.

وقال أبوسعيد الخراز: البلاء من الله تعالى إلى المحبين تحفة وهدية وتحريك ما في ضمائرهم من المواصلة.

وقال ذو النون رحمه الله: أصبر الناس أكتمهم البلاء.

وقال رويم رحمه الله تعالى :حُرِّكُوْا بِالْبَلاءِ فَتَحَرَّكُوْا لَوسَكَنُوْا اتَّصَلُوا.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: العَالِم يستغيث من البلاء، ويسأل صرفه، والعارف يستعذب بالبلاء ولا يسأل كشفه.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: البلاء سراج العارفين، ويقظة المريدين وهلاك الغافلين.

وقال ابن عطاء رحمه الله تعالى: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء، فمن سكن في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال علي بن بندار: دارٌ أسِّست على البلوى بلا بلوى محال.

=شيئا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فما الخمسة الخصال التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟ " قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه والبعث بعد الموت، قال: "فالخمسة الخصال التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها؟ " قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول جميعا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا ونصوم شهر رمضان فنحن على ذلك، قال: "فما الخمسة الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ " قال: قلت: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصائب إذا حلت بالأعداء، قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرين خصلة" قلنا: أوصنا يا رسول الله. قال: "إن كنتم كما تقولون فلا تجمعون ما لا تأكلون، ولا تبنون ما لا تسكنون، ولا تنافسون في شيء عنه غدًا تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي أنتم إليه ترجعون وعليه تعرضون". والحديث صحيح.

(١) في ك "يفني"، وفي الأخرى "فنا".

(٢) "الذين هم" زيد من د.

(٣) من "اعلم أن الله".....إلى "ببصيرة السر" غير موجودة في طو.

فصل في مواظبة الذكر وكيفيته وعلامته:

يجب على طالب الحق سبحانه وتعالى أن يواظب على ذكر الله تعالى، فالشيخ يُلَقِّنه الذِّكر، فيذكر بقوة شديدة بحيث يدخل أثر الذكر في باطنه، فيسري في العروق والشرايين وتحترق ظلمة الوجود وكثافته وكدورته بنار الذكر، فإن الذكر له نار ونور، فنوره يُسَكِّن القلب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ﴾[1] وبناره تحترق كثافة الوجود فيزول منه الخشونة الأصلية، واليبوسة الجبلية، فيخرج من آثار الصفات البشرية، فيخفف عن الأثقال الترابية، فيعلو قلبه عن أرض الملكوت إلى سماء الربوبية.

واعلم أن أعظم تأثير الذكر في الخلوة الخالية عن الناس، وعن كل ما يشغله عن الله تعالى، في بيت خال ضيق، يصلي فيه،[2] ويتربع في الذكر. ويكون البيت خاليًا، كيلا يشغله عن الذكر ما يرى ويسمع من الناس. ويكون ضيقًا ليكون همه أجمع ويبالغ في الذكر. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال[3]: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ لا إلٰه إلا الله حَتَّى يَقُولُوا: إنه[4] مَجْنُونٌ»[5].

ومن علامة الذكر لله تعالى بالصدق والإخلاص، الرقةُ والوجلُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ﴾(الأنفال: ٢)؛ وذلك لأن ذكرهم ذكر العبودية والعبادة لا ذكر العادة[6]، وذكر اليقظة لا ذكر الغفلة، وذكر الجمعية لا ذكر التفرقة، وذكر الأنس لا ذكر الوحشة. وهذه الأوصاف إنما تحصل[7] للذاكر من ذكر الله تعالى له[8] بوصف العطف و اللطف؛ لأنه تعالى ذكرهم بين الملائكة في الملأ الأعلى بوصف المباهاة لهم، كما في الخبر الإلهي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُم»[9]. فمن ذكره الله تعالى حصل له من ذلك ذكر القلب وذكر السر. وذكر السر يؤدي إلى الاستغراق في المذكور وإلى الغيبة والذهاب في الله تعالى، فيحصل له من ذلك التَّولية على الخلق والتَّصَرُّف فيهم، وحرمة ومنزلة ووقار وخلع على قالبه بالأعمال الصالحة وعلى قلبه بالأحوال السنية.

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) في طو "بقدر ما يصلي فيه" وفي ك، وخد، ومج "ما يصلي فيه".

(٣) في خد، وك بدون "أنه قال".

(٤) في طو بدون "إنه".

(٥) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١٩٥/١٨، رقم: ١١٦٥٣) و ابن حبان في صحيحه (٩٩/٣، رقم:٨١٧) ، والحاكم في مستدركه (٤٩٩/١، رقم: ١٨٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤/٢، رقم:٥٢٣) بلفظ: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون.

(٦) في خد بدون "لا ذكر العادة".

(٧) في خد، وك "يحصل".

(٨) في ك، وخد "له" ساقطة.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت (٩/ ١٤٥، رقم:٧٥٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦١رقم: ٢٦٧٥).

فسبحانه ما أرحمه بعباده وما ألطف دعوته لهم إليه. فأمر الله تعالى بالذكر، ليعلم فوائد الذكر بواسطة الخلوة[1]، فبواسطة الذكر التربية[2] والتصفية والتنوير والتطهير، وبواسطة الذكر معرفةُ المحمودات والمذمومات، وبواسطة الذكر حصولُ الاتصال بالمحمودات والتعري عن المذمومات، وبواسطة الذكرمعرفةُ العدو الشيطان[3]، وبواسطة الـذكر حياةُ القلب وصفاؤه ونوره، وبواسطة الذكر قربُه واستيلاؤه على النفس، وبواسطة الذكر معرفةُ النفس وقهرها و كسرها، وإدخالها في حكم الشرع، وبواسطة الذكر حصول[4] العلم والحكمة والمعرفة والأحوال الصافية إلى القلب.

قال الجنيد رحمه الله تعالى: إن إبليس لم ينل مشاهدته من طاعته، وآدم عليه السلام لم يفقد مشاهدته في معصيته.[5]

مسألة:

إن الله تعالى كما نوَّر السماوات والأرض بأنوار الملائكة، ونوَّر الشمس والقمر، كذلك نوَّر القلوب والأرواح بأنوار أسمائه وصفاته، وإنما ذلك بذكر أسمائه، فنور اسم «الله» و«لا إله إلا الله» أضوأ وأنور وأصفى من أنوار جميع الأسامي، فيتصف[6] نور القلب بأنوار الذكر، فيستقر نور الذكر مع نور القلب في القلب، فيحصل للقلب صفة ذاتية لا تنفك عنه، فذلك عبارة عن سر قولهم: وقع الكلمة في الغيب ووقع في السر[7].

فبداية الذكر تفيد العلم، قال عليه الصلاة السلام:«من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم»[8].

ونهاية الذكر تفيد الحكمة، قال النبي ﷺ:«من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من

---

(١) في د بدون "بواسطة الخلوة".

(٢) في د "التزكية".

(٣) في د "العدو والشيطان".

(٤) في د "الوصول".

(٥) قول الجنيد قدس الله سره ليس بموجود في طو، وخد، وك.

(٦) في د "فيصف"، وفي ك، وخد، ومج "يتضمن".

(٧) في طو "وقعت" بموضعين.

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٥/١٠) وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه و سلم فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل. وروى ابن المقرئ في معجمه (١٢١/١ رقم: ٣١٥) و أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٦٣)عن عبد الواحد ابن زيد قال: كان يقال: من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم. قلت: الحديث ضعيف ومعناه صحيح بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

قلبه على لسانه»[1]، وقيل: المذكور واحد والذكرمختلف، وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم، وقال الشبلي رحمه الله تعالى: أ لستم ذاكرين الله تعالى؟ أ ليس الله يقول: أنا جليس من ذكرني؟ ما الذي استفدتم من مجالسة الحق؟

سئل بعضهم هل في الجنة ذكر؟ فقال: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذكر [2]

فصل في دوام نفي الخواطر:

الشرط السادس: دوام نفي الخواطر؛ وهو أشد شيء على أرباب المجاهدات، قال الله تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوْا فَاِذَاهُمْ مُّبْصِرُوْنَ، وَ اِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)، و قال الله تعالى: ﴿اَلشَّيْطٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَاْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَآءِ وَ اللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَ فَضْلًا﴾ (البقرة: ٢٦٨)، وقال الله تعالى:﴿الشَّيْطٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ اَمْلٰى لَهُمْ ﴾(محمد: ٢٥) [3]، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ ﴾(يوسف: ١٨)، وقال الله تعالى عن يوسف عليه السلام:﴿وَ مَآ اُبَرِّئُ نَفْسِيْ اِنَّ النَّفْسَ لَاَمَّارَةٌ بِالسُّوْٓءِ﴾ (يوسف: ٥٣)، قال الله تعالى:﴿وَ لَآ اُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾(القيامة: ٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَ قَالَ الشَّيْطٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْاَمْرُ اِنَّ اللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُّكُمْ فَاَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ اِلَّآ اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ فَلَا تَلُوْمُوْنِيْ وَ لُوْمُوْٓا اَنْفُسَكُمْ﴾(إبراهيم: ٢٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَ اِنَّ الشَّيٰطِيْنَ لَيُوْحُوْنَ اِلٰٓى اَوْلِيٰٓـِٕهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢١)، وقال الله تعالى:﴿وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰطِيْنَ الْاِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوْحِيْ بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوْرًا ﴾(الأنعام: ١١٢) ، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾. (الزخرف: ٣٦)

وقال ﷺ:«إن للشيطان لَمَّةً بابن آدم وللمَلَك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشرِّ وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير و تصديق بالحق»[4]

وفي الخبر أيضًا: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس و تولى[5] و إذا غفل التقم قلبه فحدثه ومنّاه»[6].

---

(١) في طو "جرت"مكان "ظهرت" و تخريج الحديث قد سبق.

(٢) في د "فما معنى الذكر" وفي د، ومج، وطو بزيادة "والله المستعان".

(٣) وهذه الآية و وثلاث آيات متتالية ليست في خد.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة (٥/ ٢١٩، رقم: ٢٩٨٨) والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة البقرة. (٦/ ٣٠٥، رقم: ١١٠٥١).

(٥) في د بدون "وتولى" وفي خد، وك "تولى وخنس" عكسا.

(٦) أخرجه أبو نعيم مرفوعا عن أنس في الحلية (٦/ ٢٦٨) والبيهقي في شعب الإيمان، (١٦٩/٢، رقم:٦٦٦). وروى البخاري في صحيحه تعليقًا وموقوفًا على ابن عباس: «إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه»، (١٨١/٦) والحكيم الترمذى في نوادر الأصول، الأصل/٢٥٩، في دفع الوسوسة (٤/ ٣١).

فصل في الخواطر وأنواعها ومعرفتها:

من علوم الصوفية معرفة الخواطر حتى يوافق ما كان منها للحق ويخالف خلافه. والخاطر وارد يرد على القلب في صورة الخطاب، والوارد أعم من الخاطر كالحزن و السرور[١] والقبض والبسط. وأكثر الصوفية[٢] على أن الخواطر أربعة:

(١) خاطر من الحق تعالى، (٢) وخاطر من الملَك، (٣) وخاطر من النفس، (٤) وخاطر من الشيطان

فالخاطر الحقاني: علم يقذفه الله تعالى من الغيب في قلوب أهل القرب والحضور بغير واسطة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(سبأ: ٤٨).

والخاطر الملكي: هو الذي يحث على الطاعات ويرغب في الخيرات ويحذر من المعاصي والمكاره، ويلوم على ارتكاب المخالفات والتكاسل والتقاعد عن الموافقات.

والخاطر النفساني هو الذي يتقاضى الحظوظ العاجلة ويظهر الدعاوى الباطلة.

والخاطر الشيطاني: هو الذي يدعو إلى المعاصي والمناهي والمكاره.

والفرق بين خاطر الحق تعالى والملك، أن خاطر الحق سبحانه إذا خطر لا يعارضه شيء، فإذا ظهر سلطانه فكل جزء من أجزاء الوجود ينقاد ويستسلم له، وسائر الخواطر تضمحل وتتلاشى.

سئل بعض الكبار: ما برهان الحق؟ فقال: وارد يرد على القلب يضجر النفوسَ عن تكذيبها، ومع وجود الخاطر الملكي معارضة خاطر النفس وخاطر الشيطان.

والفرق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان[٣]، أن خاطر النفس لا ينقطع بنور الذكر ويتقاضى على مطلوبه ليصل إلى مراده إلا إذا أدركه[٤] التوفيق الأزلي فيقطع[٥] عنها عرق المطالبة.

وأما خاطر الشيطان فإنه ينقطع بنور الذكر، ولكن يمكن أن يعود وينسيه الذكر ويغويه، كما في الخبر: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس وتولى و إذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه».[٦]

وقال بعضهم: الخواطر خطاب يرد على الضمائر، وقيل: كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه، فأما خاطر للحق تعالى فلا يحصُلُ خلاف من العبد له.

---

(١) في د بدون "السرور".

(٢) في طو "المتصوفة".

(٣) "والفرق بين خاطر النفس و خاطر الشيطان" زيادة من طو.

(٤) في خد، وك "لتصل إلى مراده إلا إذا أدركها".

(٥) في د، ومج "ويقلع".

(٦) سبق تخريجه آنفا.

وقال بعضهم: الخواطر أربعة، خاطر من الله تعالى، وخاطرمن الملك، وخاطر من النفس، وخاطر من العدو. فالذي من الله تعالى تنبيهٌ، والذي من الملك حثٌّ على الطاعة، والذي من النفس مطالبةٌ للشهوة، والذي من العدو تزيين المعصية. فبنور التوحيد يقبل من الله تعالى، وبنور المعرفة يقبل من الملك، وبنور الايمان ينهي النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو.[1]

وسئل الجنيد رحمه الله عن الخطرات فقال: الخطرات أربعة، خطرة من الله تعالى، وخطرة من الملك، وخطرة من النفس، وخطرة من الشيطان، فالخطرة التي من الله تعالى ترشد إلى الإشارة، و الخطرة التي من الملك ترشد إلى الطاعة، والخطرة التي من النفس تجر إلى الدنيا وطلب عزها، والخطرة التي من الشيطان تجر إلى المعاصي والشهوة.

والمشهور عند مشايخ الصوفية أن الخواطر أربعة وكلها من الله تعالى، غير أن بعضها يجوز أن يكون بغير واسطة، وبعضها بواسطة فما كان بغير الواسطة وهو خير فهو الخاطر الربَّاني ــ ولا يضاف إلى الله تعالى إلا الخير أدبًا ــ، وما كان بواسطة وهو خير أيضًا فهو الخاطر الملكي، وإن كان شرا فإن كان بإلحاح وتصميم على شيءٍ معيّنٍ فيه حظُ النفس فهو الخاطر النفساني، وإلا فهو الشيطاني.

وقال بعضهم: أصل الخواطر الأربعة[2] من الله تعالى؛ وذلك أن الحق سبحانه وتعالى إذا أراد أن يخلع على عبده خلعة قرب حضرته، أوَّلًا ينزل عليه وفود الأملاك الذين هم جنود الأرواح والقلوب تأييدًا، ونصرةً للروح والقلب حتى يتقوي ويطير بجناح الهمة في فضاء القرب، ويستعد لنزول الخاطر الحقاني، وإذا أراد تبعيد[3] عبد بشرط الابتلاء يرسل جنود الشيطان إليه، إمدادًا للنفس حتى يتقوى بهمته الدنية ويرجع[4] إلى مركزه السفلي و مَحتِدِه[5] الطَّبيعي، ويتولد منه الخواطرالنفسانية.

وتميز الخواطر كما ينبغي، لا يتيسر إلا عند تجلية مرآة القلب من صداء الطبع بمصقلة[6] الزهد والتقوى والذكر، حتى ينكشف فيها صور حقائق الخواطر كما هي.[7]

ومن يبلغ بالزهد والتقوى هذا المبلغ ويريد أن يُميِّز بين الخواطر فله طريق، وذلك بأن يزن أولًا خاطره بميزان الشرع، فإن كان من قبيل الفرائض والفضائل يمضيه، وإن كان محرمًا أو مكروهًا ينفيه،

---

(١) "قال عليه السلام: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" .زيادة في خد.

(٢) في د، ومج "أربعة".

(٣) في خد، وك "بتبعيد".

(٤) في خد، وك "ترجع".

(٥) في خد، وك "همه". المحتد: الأصل.

(٦) في خد، وك "ضد الطبع بمقصد" مكان "صداء الطبع بمصقلة".

(٧) في خد بزيادة قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الانفطار: ١٤).

وإن كان من قبيل المباحات فكل جانب يكون أقرب إلى مخالفة النفس يمضيه، والغالب من سجية النفس ميلها إلى شيء دني.

ثم اعلم[1] أن مطالبات النفس على نوعين: بعضها حقوق لابد منها، وبعضها حظوظ. فالحقوق ضرورة، إذ قوام النفس وبقاء حياتها مربوط ومشروط بها، والحظوظ ما زاد عليها. فيلزمه تمييز الحقوق من الحظوظ كي يُمضي[2] الحقوق ويَنفي الحظوظَ. وأرباب البدايات يلزمهم الوقوف على الحقوق وحد الضرورة، وتجاوزهم عن ذلك ذنب في حقهم[3].

وأما المنتهي فله فتح طريق السعة والخروج عن[4] مضيق الضرورة إلى فضاء المشاهدة والمسامحة[5] وإمضاء خواطر الحظوظ بإذن الحق سبحانه وتعالى.

وجعل بعض المشايخ الواجب والمحظور للحق والشيطان[6]، والمندوب والمكروه للملك والنفس، وأما المباح لما لم يكن فيه ترجيح لم ينسب إلى خاطر لاستلزامه الترجيح.

والشيخ مجد الدين البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ زاد على الخواطرالأربعة: خاطرَ الروح، وخاطرَ القلب، وخاطرَ الشيخ. وبعضهم زاد: خاطر العقل، وخاطرَ اليقين. وعلى الحقيقة هذه الخواطر مندرجة تحت الخواطر الأربعة. فإن خاطر الروح وخاطر القلب تحت خاطر الملك، وأما خاطر العقل فإن كان في إمداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك، وإن كان في إمداد النفس والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو، وأما خاطرالشيخ فهو إمداد همة الشيخ[7] يصل إلى قلب المريد الطالب، مشتملًا على كشف معضل وحل مشكل في وقت استكشاف المريد ذلك باستمداده من ضمير الشيخ، وفي الحال ينكشف ويتبين، وذلك داخل تحت الخاطر الحقاني؛ لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب، وكل[8] لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ.

وأما خاطر اليقين، فهو وارد مجرد من[9] معارضات الشكوك والريب، داخل تحت الخاطر الحقاني.

---

(١) في د "اعلم" وفي غيرها "يعلم".

(٢) في طو "لكي"، وفي د "كي ما".

(٣) في طو بدون "في حقهم" والعبارة في د "تجاوز بهم عن ذلك ذنبه في حقهم" زائدة.

(٤) في خد، وك "عن"، وفي غيرها "من".

(٥) في د "المساهلة والمسامحة".

(٦) في ر "الواجب للحق والمحظور للشيطان".

(٧) في د "همة خاطر الشيخ".

(٨) في د "فكل" بدل "و كل".

(٩) في طو "عن" بدل "من".

وأما خاطر العقل، فقد قال صاحب العوارف: «هو[1] متوسط بين الخواطر الأربعة، يكون تارة مع النفس والعدو لوجود التميز وإثبات الحجة على العبد، ليدخل في الشيء بوجود[2] العقل، إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب، وقد يكون تارة مع الملك والروح ليوقع[3] الفعل مختارًا ويستوجب به الثواب»[4]. وأما خاطر اليقين فهو روح الإيمان و مزيد العلم.

فصل في الخواطر ونفيها في بداية الأمر وتميزها في آخره:

الخواطرُ تأتي[5] المُجاهِدَ كسَيْل العَرِم، فالواجب عليه في بداية أمره النفيُ، وفي آخره التمييزُ بين الخواطر؛ لأنه ليس له أهلية أن يميز بين الخواطر، فالطريق أن ينفي الخواطر جميعًا فما كان محمودًا كخاطر الحق[6] والملك والقلب يثبت ولا ينتفي بنفيه، وما كان من الشيطان والنفس فينتفي بنفي الخواطر[7] بأسرها مع رعاية صورة الذكر ومعناه. ولا يلتفت إلى تمييز الخواطر بعضها عن بعض، فإنه وإن كان بعض الخواطر من قبيل النفس وبعضها من إلقاء الشيطان وبعضها من إلقاء الملك وبعضها من قبيل الإلهامات إلا أنه يضره الاشتغال بتمييز الخواطر مضرة ظاهرة، بل الواجب اجتناب الخواطر كلها.

ولا يتيسَّر ذلك إلا برعاية ظاهر الذكر ومعناه، والمبالغة في تعظيم الحق وتعظيم جلسته[8] مع الله تعالى، قال الله تعالى[9]: «أنا جليس من ذكرني» فإن التجريد يتيسَّر لمن أيد بصدق الإرادة[10] والطلب في طرفة عين، ولن يتيسر[11] التفريد إلا بمدة مديدة بواسطة نفي الخواطر، فإن جميع الأشياء المحسوسة التي شاهدها في ابتداء أمره استأنس بها أو لم يستأنس ترسم في خياله. فإذا جلس في الخلوة واشتغل بالذكر شوشت عليه الأمر والوقت تارة بنسج[12] الخواطر و إنشائها، وتارة بمخالطتها بالمشاهدات الغيبية

---

(١) في ك ، ود "فهو"، وفي ر "وهو".

(٢) في د "الوجود".

(٣) في د "لتوقع".

(٤) الباب ٥٧ في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها (ص: ٣٢٥).

(٥) في خد "يأتي على المجاهد" وفي ط "يأتي المجاهد".

(٦) في د بزيادة "تعالى".

(٧) هذه في د، وفي خد ،وك "فينتفي فالطريق أن ينفي الخواطر" و في طو "فينتفي فينفي الخواطر" وفي مج "فينتفي الخواطر".

(٨) في طو " في تعظم الحق وتعظم جلسته".

(٩) "قال الله تعالى" زيادة من د وفي الباقية بدونها.

(١٠) "لله" زيادة في د.

(١١) في د "وإن لم يتيسر".

(١٢) في خد ، ك "بنسج" وفي غيرهما "بتنسج".

ومزاحمتها إياها، وكذلك هواجس النفس ودواعي الهوى على كثرتها، ووساوس العدو على اختلافها وكثرتها بوسيلة الهوى، فإنه يكدر ينبوع القلب، ويفرق جمعِيَّة الباطن، و يسلب حلاوة الذكر ويبطل لذة المناجاة مع الله تعالى، فإذا واظب على نفي الخواطر وهو الشرط الأعظم بل هو خلاصة أمرالخلوة، وصل إلى حقيقة التفريد والأنس و يتبدل إلقاء الشيطان بإلهام الرحمن، وحديث النفس بمكالمة الروح والقلب وبمناجاة الحق سبحانه (١).

فصل في ربط القلب بالشيخ:

الشرط السابع: ربط القلب بالشيخ(٢) من جهة الإرادة التامة لأنه رفيق في الطريق، قال الله تعالى: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ كُوْنُوْا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ﴾(التوبة: ١١٩)، وقال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوْٓا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾(النحل: ٤٣)، وقال الله تعالى:﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ابْتَغُوْٓا اِلَيْهِ الْوَسِيْلَةَ﴾(المائدة: ٣٥)، وقال النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»(٣).

فالشيخ هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد ويشير إليه بما ينفعه وما يضره. فلا يكون الشيخ وصحبته أقل من الجليس الصالح، قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الجليس الصالح كمثل العطار إن لم يجدك من عطره عبق بك رائحته، ومثل الجليس السوء كمثل القين، إن لم يحرقك ناره عبق بك دخانه»، كما مر ذكره في صدر الكتاب.(٤)

فصل في اعتقاد المريد أن شيخه هو الذي يوصله إلى الله تعالى لا غير:

على المريد أن يعلم أنه ليس أحد من مشايخ وقته يوصله(٥) إلى الله تعالى غير شيخه، وإن كان كل واحد من المشايخ موصوفًا بهذه الخاصة، فإنه لو خطر ببال المريد أن في العالم أحدًا يوصله إلى الله تعالى غير شيخه، تصرف فيه الشيطان وأزعجه من خلوته.

وربما يبلغ هذا التصرف إلى أن يتمثل بصورة شيخه(٦) ويريه أشياء يفسد بها اعتقاده، فأما إذ استحكمت إرادته في حق شيخه فإنه يستحيل أن يتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وقال النبي ﷺ:

---

(١) في د، ومج "بمناجاة" مع الباء وفي طو "بمكاملة" خطأ من الناسخ. وفي خد "وحديث النفس بمكالمة الروح والقلب ومناجاة الحق سبحانه" ساقطة.

(٢) في د بدون "الشيخ".

(٣) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٤) "صدر" هذه زيادة من طو و فيه "إن لم تحرقك ناره" بالمؤنث. وقد سبق تخريج الحديث في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٥) في طو "يوصله" وفي الباقية "أن يوصله".

(٦) في طو "في صورة شيخه".

«الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[1]، و «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[2]، وكما أن الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبي ﷺ على ما قال رسول الله ﷺ:«من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي»[3]، فكذلك لا يمكنه التمثل[4] بصورة الشيخ المتابع للنبي ﷺ، فيبقى المريد محفوظًا.

وقالوا: مِن أركان الوصول أربع خصال: أحدها: الغيرة يعني يكون غيورًا في دين الحق سبحانه والثاني: علو الهمة يعني عند المشاهدات والمكاشفات والتجليات يكون عالي الهمة، والثالث: حفظ الحرمة والعزة مع الشيخ، والرابع: الشفقة على الأصحاب حتى يوقّر كبارهم ويرحم صغارهم. وهذا لا يكون إلا عند كامل الإيمان[5]، وعند ناقص الإيمان بخلاف ذلك.

فصل في إيقان المريد أن روحانية الشيخ غير محيط بمكان دون مكان:

على المريد أن يتيقَّن أن روحانية الشيخ[6] غير متحيزة بموضع دون موضع، وكلما لا يكون متحيزا استوى إليه الأمكنة كلها، ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيته[7]، والبعد إنما يتعلق بالمريد.

فإذا تذكَّر المريدُ بقلبه الشَّيخَ قَرُب إليه فيتعلق[8] به قلبُه، فاستفاد منه. وإذا احتاج المريد إلى الشيخ ليحل واقعته يستحضر الشيخ بقلبه، ويسأله[9] عمَّا شاهَدَه، لا باللسان الظاهر بل بلسان القلب، فيُلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقيب السؤال، وإنما يتيسر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ. ومن هذا الوجه

---

(١) سبق تخريجه في " باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٢) لم نقف عليه. ولما سئل ابن حجر الهيتمي عن حديث "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" وعن وجه التمثيل فيه فأجاب في الفتاوى الحديثية (ص:١٩٩) بقوله: قال الدميري هذا الحديث لا يعرف له مخرج لكن في صحيح البخاري" «العلماء هم ورثة الأنبياء»، وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك على صحيحيهما، وفي الفردوس للديلمي: "إن لله عز وجل ثلاث مائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبع قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب إسرافيل" ومعنى التنظير أنهم مثلهم في ميراث العلم أو تشريع الأحكام لكن قطع الأنبياء بالوحي والعلماء بالاجتهاد.

(٣) في طو "المنام" وفي الباقية "النوم" والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ (٣٣/١، رقم: ١١٠) ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام "من رآني في المنام فقد رآني" (١٧٧٥/٤رقم: ٢٢٦٦).

(٤) في د "لا يتمثل".

(٥) في خد "عند كمال الإيمان".

(٦) في طو "الروحانية الشيخ" وهو خطأ.

(٧) في غير طو "لا يفارقه روحانية اليشخ وإن كان يفارقه شخصيته".

(٨) في د "فتعلق".

(٩) في مج، ود "يسأل" وفي ك "يسأل له" بدون حرف العطف.

يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القلب إلى الحق سبحانه فيجعله محدَّثا، قال النبيﷺ:«قد كان في الأمم محدَّثون، وإن كان في هذه الأمة فعمر بن الخطاب»[١] رضي الله تعالى عنه .

فصل في المشيخة:

والشيخ هو الذي يقرر الدين والشرع في قلوب المريدين.

اعلم أنه لايصلح للتربية والمشيخة إلا من[٢] سلك الطريق وأبصر المذموم والمحمود في الغيبة، وقاسى بلاء[٣] هواجم العظمة من الهيبة والموت والفناء، ولا يصلح المجذوب، فإن المجذوب وإن كان قد ذاق المقصود ولكن لم يذق مرارة[٤] الطريق إلى الله تعالى فلا يصلح[٥] للتربية.

والمشيخة[٦] وهي الدلالة والخفارة[٧] في الطريق، وشرطه: أن يكون عالما بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وليس كل عالم بأهل للمشيخة، بل ينبغي أن يكون موصوفا بصفات الكمال، ومُعْرِضًا عن حب الدنيا وحب الجاه والمال وما يشبه ذلك.

ويكون قد أخذ هذا الطريق النقي عن شيخ محقق تسلسلت[٨] متابعته إلى رسول الله ﷺ، وارتاض بأمره رياضةً بالغةً من: قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقلة الاختلاط مع الأنام[٩]، وكثرة الصوم والصلاة والصدقة وطول الصمت[١٠] وظهرت في شمائله مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، مثل: الصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاوة والقناعة والأمانة وبذل المال والجاه والحلم والتواضع وكفاية أمور الآخرة والصدق والإخلاص والحياء والوقار والاحتمال والسكون[١١] والتأني وأمثال ذلك.

وقد اقتبس نورًا من أنوار النبي ﷺ. واضمحلت[١٢] منه الأخلاق الذميمة مثل: الكِبْر[١٣] والعُجْب

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٦٢٢/٥، رقم: ٣٦٩٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه الشيخان بألفاظ مختلفة.

(٢) في طو، ومج "لا يصلح التربية والمشيخة إلا لمن".

(٣) في طو "بلاء" بدون الباء وفي غيرها بالباء الجارة.

(٤) "مرارة" زيد من د.

(٥) في د، ومج "فلم يصلح ".

(٦) في طو بزيادة "لأن التربية والمشيخة".

(٧) الخفارة: الحراسة.

(٨) في طو "بسلسلة"

(٩) في طو "بالأنام".

(١٠) في طو بدون "طول الصمت".

(١١) من "التواضع......إلى السكون" غير موجودة في طو.

(١٢) في غير طو "واضمحل".

(١٣) في خد بزيادة "قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(القصص: ٨٣).

والبُخل والحَسَد والحِقْد والحِرص والأَمَل والخِفَّة. وجرى على ظاهره[١] صورةُ المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء، بل بلذاذة وحلاوة. واستنار بأنوار المشاهدة وانشرح صدره بالنور المقذوف في قلبه، وتجافى عن دار الغرور، وأناب إلى دار الخلود، وارتوى من بحر الحال[٢]، وتخلّص من الأغلال والأعلال، وقال مُعلِنًا بلسان الحال: لا أعبدُ ربًّا لم أره، كما في مقام الإحسان.

وكما قال علي ـ كرم الله وجهه الكريم ـ حيث سأله ذِعْلِب اَلْيَمَانِيُّ[٣]، فقال: يا أميرالمؤمنين هل رأيتَ رَبَّك؟ فقال: لا أعبدُ ربًّا لم أره، فقال: ذعلب كيف رأيته؟ فقال: «ويحك يا ذعلب، لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان».

ثم أخرج العبد[٤] من وَهْج المكابدة إلى روح الحال، فوجد العَسل بعد العَلْقَم[٥]، وتروّح بنسيمات الفضل، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة، وأونس بنفحات القرب، وفُتِح له بابٌ من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاءه، وصدرت منه كلماتُ الحكمة، ومالت إليه القلوبُ، وتوالى عليه فتوح الغيب، وصار ظاهره مسددًا وباطنه مشاهدًا، وصلح للجلوة وصار له في جلوته[٦] خلوة فيَغلب[٧] ولا يُغلب، ويَفرس ولا يُفرس.[٨]

تأهّل[٩] مثل هذا للمشيخة لأنه أخذ في طريق المحبين ومُنِح حالا من أحوال المقربين، بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين. [١٠]

وقد يكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة[١١] و يلين جلده كما لان قلبه. وعلامة لين جلده إجابة قالبه العمل، فيزيده الله تعالى إرادة ومحبة خاصة من محبة المحبوبين[١٢] المرادين، ينقطع

---

(١) في خد "على جر ظاهره" وهو خطأ.

(٢) في مج "بحر الوصال" وفي د "بحر الجلال".

(٣) في طو، وخد "دعبل"، وفي ك "دُعيل"، وفي د "وعيد" وأثبتنا في النص "ذِعْلِب" وكذا هذه الرواية عنه في نهج البلاغة وغير ذلك.

(٤) زيادة "العبد" من د، وفي الأخرى بدونه.

(٥) في خد، وك "علقة" وهو خطأ.

(٦) في د "في صلاته".

(٧) في ك، ود "فيغلبه" بالضمير.

(٨) في ط، وخد، وك "يفرس ولا يفترس".

(٩) في د "فتأهل" بصيغة المضارع وفي طو "يأهل".

(١٠) في ك، وخد بزيادة "تأهل مثل هذا للمشيخة".

(١١) في طو "تنتقل" و "تظهر" بالمؤنث .

(١٢) في د "المحبين".

فيواصل، ويعرض فيراسل. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣)، أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين. ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد[١].

فصل في مواصفات الشيخ الكامل:

ينبغي أن يكون الشيخ في الشريعة عالمًا بالفرائض والسنن ونوافل الطاعات، وأنواع المحرَّمات والمحظورات، ليميِّز بين الحلال والحرام والفرض والسنة والنافلة.

وأما في الطريقة فيجب أن يكون عالمًا بأنواع المعالجات في طريق الله تعالى ومجاهدات المريدين اللائقة[٢] بكل واحد منهم. ويكون كيِّسًا درَّاكًا لأمزجة المريدين وأوصافهم الذميمة، كالحِقْد والكِبْر والعُجْب والبخل وحب الرئاسة والجاه والمال وحب الشهوات، ويكون عنده من العلوم والمعارف التي يحتاج إليها المريدون في طريق الله عز وجل.

وأما في الحقيقة فأن يكون عارفًا بمقامات عوالم الحقيقة ومنازلها،[٣] وتلويناتها وتمكيناتها، وآفاتها وفوائدها. وأن يكون بليغًا في المكاشفات، ومرتفعًا من المكاشفات إلى المشاهدات ومن المشاهدات[٤] إلى المعاينات، ومرتقيًا من الفنا إلى البقا وإلى بقاء البقاء، وجامعًا لمعرفة العظمة والكبرياء مع الوحدانية والفردانية، حتى يصلح[٥] شيخًا مُربِّيًا للسالكين في طريق الله تعالى، مُرْشِدًا للطالبين لقاء الله تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) من الدَّاعين[٦] للخلق إلى الله تعالى ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾أي على مشاهدة ورؤية بالقلب والإيمان.

فصل في شرائط الشيخ وآدابه:

ومن شرط الشيخ أن يكون كريمًا، رحيمًا، صبورًا، حليمًا، غير فظّ ولا كظّ[٧]، ولا قاسٍ، ولا طواف في الأسواق، ولا جامعًا للدنيا ولا مُحبًّا لزينتها، ولا طالب جاه وصيت وأتباع، ولا مغلوب الحال، ولا

---

(١) في طو "ولا يكون هذه الحال إلا للمراد المحبوب".

(٢) في طو "أوصافهم" زيادة بعد "اللائقة".

(٣) في ك بزيادة "نباتها" وهو خطأ.

(٤) في ط "من المشاهدات" ساقطة.

(٥) في طو بزيادة "ان يكون".

(٦) في طو بزيادة "يعني من اتبعني" قبل "من الداعين".

(٧)الفَظُّ : الجافي المسُيءُ . والجمع : أَفْظاظ .
الكَظّ: كظ الغَيْظُ صَدْرَهُ : مَلأَهُ. رَجُلٌ كَظٌّ : تُبْهِظُهُ الأُمُورُ وَتَغْلِبُهُ فَيَضِيقُ بِهَا.

شطَّاحًا. ويكون للمريدين في الشفقة كما كان النبي ﷺ لأصحابه حيث وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(التوبة: ١٢٨).

فإذا كان الشيخ متخلقًا بخُلق النبي[1] بهذه المثابة، كان مفترض الطاعة على المريدين، ويكون خليفة رسول الله ﷺ في تربية المريدين. فالشيخ هو الذي سلك الطريق وعرف مضاره ومنافعه[2]، فيرشد المريد ويدله على الله تعالى؛ قال الله تعالى حكاية عن نبيِّه موسى ووليِّه الخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾(الكهف: ٦٧).

فصل في دوام ترك الاعتراض على الله:

الشرط الثامن: دوام ترك الاعتراض على الله تعالى[3]، قال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(النساء: ١٢٥) ـ الآية ـ[4] و قال تعالى في مدح الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(الأحزاب: ٢٢).

اعلم أن من لوازم حال المريد إذا جلس في الخلوة أن يغتسل وينوي في غسله أنه غسل الميت فيكون بين يدي الله تعالى كالميّت بين يدي الغسال.

ومن لوازمه: الرضاء والتسليم والتفويض ومبادي[5] التوكل. فلا يعترض على الله تعالى البتة في جميع الأحوال سواء أن يبسط عليه أو يقدر عليه[6] فإن بَسَطَ رِزْقَه بسطًا[7] شكره، ويتيقن أن الباسط هو الله تعالى. وإن ابتلاه بقبض شكره عليه وصبر فيه[8] و يتيقن أن القابض هو الله تعالى؛ قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾(البقرة: ٢٤٥)[9].

فإن مَثَل المريد مع الله تعالى كمَثَل المريض مع الطبيب، فإذا تيقَّن المريض أن الطبيب عالمٌ بدقائق الطب، مُشفِقٌ على حاله فوض أمره إليه وترك الاعتراض عليه، فإذا سقاه الحلو أو المر قَبِله وشَرِبه وعلم

---

(١) في د بزيادة "في تربية المريدين".

(٢) في خد "مرافقه" بدل "منافعه".

(٣) في خد، وك "على الله تعالى" ساقطة.

(٤) في طو"ومن احسن دينا، الاية"ساقطة.

(٥) في خد "مبادي" ساقطة وانتهت نسخة طو إلى "فلا يعترض".

(٦) "في جميع الأحوال سواء أن يبسط عليه أو يقدرعليه" زيدت من د.

(٧) في د، ومج "فإن رَزَقَه بسطا".

(٨) في خد، ود "ويتيقن أن الباسط هو الله تعالى، وإن ابتلاه بقبض شكره عليه وصبر فيه" ساقطة.

(٩) " قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾"زيدت من خد.

أن شفاءه فيه، فكذلك المريد إذا تحقّق أن الله تعالى لطيف بعباده[1]، رحيم عليهم، رءوف بهم، وأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وتيقّن[2] أنه ظالم لنفسه، ساع في هلاك قلبه وروحه، جاهلٌ بما فيه فوزُه، ونجاتُه، وهلاكُه، فوض أمره إلى الله تعالى واستسلم لقضائه، فإذا طيَّب وقته ورزقه البسط شَكَره، وتيقّن أن شفاء قلبه فيه ومعالجة مرضه منوط به، وإذا ضيَّق عليه الأمر وابتلاه بالقبض شَكَرَه، وتيقن أن صحة قلبه متعلق به ومعالجة مرضه في ذلك الوقت مستور فيه.شعر

وكلتُ إلى المحبوب أمري كله　　　　فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا[3]

قال الله تعالى:﴿عَسَى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ عَسَى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾(البقرة: ٢١٦)، وقال الله تعالى:﴿فَعَسَى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ يَجْعَلَ اللهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًا﴾(النساء: ١٩).

فإذا استعد المريد بالتسليم في ابتدائه، أبلغه[4] ذلك إلى كمال العبودية في الانتهاء. ولن يبلغ أحد هذه المرتبة الرفيعة إلا على سبيل التدرج، ومبدأ التدرج هو ترك الاعتراض، فكأنه يقرأ يومَ الميعاد: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(غافر: ١٦)، فحينئذٍ تهرب[5] عساكر الشكوك والريب، وتنزل الملائكة حول القلب، ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور، فيمتلي من الحُبور والسُّرور، ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وحينئذٍ يكلّ اللسان عن وصف عظمته وجلاله وكبريائه، ويقرأ بلسان[6] قلبه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهٖ﴾(الحج: ٧٤) يعني وما عرفوا عظمةَ الله تعالى.

فصل في موجبات ترك الاعتراض:

ومن موجبات ترك الاعتراض: الرضاء بقدر الله المقدور[7] وقضائه المُبْرَم، من الفقر والغنى، والحزن والخوف، والقبض والبسط،[8] والأنس والهيبة، والمعرفة والمحبة، والمحو والإثبات، والحضور والشهود، والبعد والقرب، والصحو والسكر، والمجاهدة والمشاهدة، والمكاشفات، والمجالسة، والمناجاة، والمحاورة،[9]

(١) في خد، وك "على عباده".
(٢) في د بزيادة "في حق نفسه".
(٣) في ك "أتلفاني" وفي خد "تلفني".
(٤) في د "بلَّغه".
(٥) في د، ومج "يهرب".
(٦) في د " باللسان".
(٧) في خد، وك "المقدر".
(٨) في خد "والقبض والبسط" ساقطة.
(٩) في خد، ومج "المجاورة".

والمحادثة، والخوف من العاقبة والسابقة والعناية الأزلية، والكفاية الأبدية، والقهر، والغلبة على الأحوال[1]، و الفترة، والقسوة، والعزة، والكمال.

ويلوذ[2] بأذيال الرحمة والفضل، واللطف والعطف من السواطع الربانية كلمع البرق إذا ضاء،[3] واللوامع الوحدانية. فإنه تعالى كريم رحيم أفاض على نبيه ﷺ مكارمَ الأخلاق، ثم مدحه تعالى على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:٤).

سُئِل الواسطي ـ رحمه الله تعالى ـ لأي شيء كان النبي ﷺ أحكم الخلق؟ قال: إنه خُلِق روحه أولًا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار، ألا تراه يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كنتُ نبيا وآدم بين الروح والجسد»[4]، قال بعض الكبار: أي لم يكن روحًا ولا جسدًا.

وقال بعض المشايخ: لما اطلع الحق سبحانه وتعالى على القلوب، فلم ير قلبًا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ، فلذلك استعجله بالمعراج تعجيلًا لرؤيته ومكالمته.

وقال النبي ﷺ: «بعثتُ لأُتمِّم مكارمَ الأخلاق»[5]

وقيل[6]: ما الدين؟ قال عليه السلام:«حُسن الخُلْق»[7]، وقال ــ عليه السلام ــ :«حُسن الخُلق خُلق الله»[8]، وقال النبي ﷺ: «أفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»[9]، وقال عليه السلام:«حُفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب»[10].

---

(١) "على الأحوال" زيدت من د.

(٢) في مج "العزة" ساقطة وفي خد، وك مقدمة على "الفترة" وفي مج، وك "اللوذ" بدل "يلوذ".

(٣) في خد، وك، ومج "أضاء".

(٤) أخرجه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر (٣٤/ ٢٠٢، رقم:٢٠٥٩٦) و الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٣/٢٠، رقم: ٨٣٣، ٨٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٥، رقم:٤٢٠٩) والترمذي بألفاظ مختلفة، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم (٥٨٥/٥، رقم: ٣٦٠٩) والحديث صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠، رقم:٤٢٢١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقى في السنن الكبرى (١٩١/١٠، رقم ٢٠٥٧١) و القضاعي في مسند الشهاب (١٩٢/٢، رقم:١١٦٥).

(٦) في خد، وك "سئل".

(٧) قال العراقي في المغني، كتاب رياضة النفس (٢/ ٧٣٣، رقم:٢٦٨٢) (أخرجه) محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلاً.

(٨) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بسند ضعيف (١٨٤/٨، رقم:٨٣٤٤).

(٩) أخرجه ابن ماجه في سننه، (٤٨/٣، رقم ٤٢٥٩). وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٣٣/٨) ، والحاكم في المستدرك (٥٨٣/٤ ، رقم ٨٦٢٣) وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(١٠) رواه الغزالي في الإحياء وقال العراقي في المغني، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً بالقرآن (٣٥٣/٢، رقم: ٢٢٩٧): لم أقف له على أصل. نقول: والمعنى ثابت بقوله عليه السلام: :«بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق» وبغيره كما في النص. وفي الإحياء "ومحاسن الأعمال"، وفي د، ومج "ومحاسن الأدب".

خاتمة: في فائدة الشروط الثمانية المذكورة سابقًا وما يتعلق بها:

اعلم أن فائدة الشروط الثمانية هي تصفية الجوهر الإنساني ليستعد للوصول إلى الحضرة الصمدية، وذلك برفع الأغيار، والأغيار ثلاثة: الوجود، والنفس، والشيطان، ودفعها بما ذكرنا من الشرائط.

أما الوجود، فهوظلمة شديدة مركبة من أربعة أركان: الماء، والتراب، والنار، والهواء، كلها ظلمات بعضها فوق بعض، لا بد من تصفيته بالمجاهدة.

وأما النفس، فهي في الوجود لطيفة كلطافة الهواء، ظلمانية غير زاكية منتشرة في جميع البدن، لا بد من تزكيتها بالرياضة.

وأما الشيطان فهو نار غير صافية، ممتزجة بظلمات الكفر يجري من ابن آدم مجرى الدم، لا بد من الانفصال منه. وطريقها طريق الكيمياء. فلا بد من استخراج لطيفة نورانية من بين هؤلاء؛ فإن القلب تنقَّشت فيه الأشكال منذ عقل وعاش في الدنيا وما فيها. وهذه الأشكال ظلمات تركب بعضها فوق بعض، وحصل منها صداء[1] القلب وهو الغفلة، فبواسطة الخلوة والذكر والصوم والطهارة والسكوت ونفي الخواطر والربط وتوحيد المطلب تنجلي مرآة القلب عن الصداء[2].

فالذكر نار ومبرد ومطرقة، والخلوة كُورة، والصوم والطهارة آلة التصقيل، والسكوت ونفي الخواطر ونفي الوارد من الظلمات عليها، والربط تلميذ، وتوحيد المطلب أستاذ.

وإذا واظب العبد على هذه الشرائط ينكشف للقلب شهود نور المعية قال الله تعالى:﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾(الحديد: ٤). و ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**﴾(البقرة: ١١٥).

فصل في مقامات السالك :

على السالك ملازمة أنواع العبادات في جميع أحواله، ويعلم أن الله تعالى محاسبه[3] على الاستقصاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وذلك في المقامات، وهي قيام العبد بين يدي الله في عباداته، أولها: التوبة؛ وهي الرجوع إلى الله تعالى مع دوام الندم وكثرة الاستغفار ثم الإنابة، وهي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر، وقيل: التوبة في الظاهر، والإنابة في الباطن، ثم العفة، وهي ترك الشهوات؛ ثم الورع، وهوترك المحظورات؛ ثم التقوى، وهو ترك الشبهات؛ ثم الزهد، وهو ترك ما يشغله عن الله تعالى.

(١) في د "صداء" وفي غيرها "صلاء".

(٢) في خد، ومج، وك "ينجلي" وفي د "الصداء"، وفي غيرها "صلاء".

(٣) في د "يحاسبه".

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: الزهد فرض وفضل ومكرمة[1]، فالفرض في الحرام، والفضل في الحلال، والمكرمة في الشبهات.

ثم الإرادة، وهي استدامة الكد وترك الراحة؛ ثم الفقر، وهو عدم الإملاك وتخلية القلب مما خلت عنه اليد؛ ثم الصدق، وهو استواء السر والعلانية، وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرًا وباطنًا وسرًا وعلانية؛ ثم التصبر، وهو حمل النفس على المكاره وتجرع المرارات؛ ثم الصبر، وهو ترك الشكوى إلى غير الله تعالى؛ ثم الرضاء، وهو التلذذ بالبلاء؛ ثم الإخلاص؛ وهو إخراج الخلق من معاملة الله تعالى؛ ثم التوكل[2]، وهو الاعتماد على الله تعالى في الوعد والوعيد بإزالة الطمع عما سواه.

فصل في ذكر آدابهم في محاوراتهم :

وهو أن يقصد بالكلام النصح والإرشاد، وطلب النجاة وما يعود[3] نفعه على الكلِّ. ولا يكلم الناس إلا على قدر عقولهم، قال النبى ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأنبياء، أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ الناسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم»[4] ولا يتكلم في مسألة لا يسأل عنها[5]، و إذا سُئِل أجاب على قدر السائل. وحكي[6] عن الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قيل له: يسألك السائل عن مسألة فتجيبه بجوابٍ، ثم يسألك الآخر عن تلك المسألة، فتجيبه بجوابٍ آخر؟ فقال: على قدر سائل يكون الجواب[7].

وإذا سأل لا يسأل إلاعن مقامه ولا يتكلم فيما لا يبلغه استعماله[8] وقد قيل: يجوز ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[9]، ولا يبذل العلم إلا لأهله، وقيل: ابذل العلم لأهله

(١) في د "كومة".

(٢) في خد، ومج، وك بزيادة "على الله".

(٣) في د، ومج "طلب ما يعود".

(٤) في مج "أُمِرْنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناسَ على قَدْر عُقُولِهم" والحديث ساقط في د.أخرجه الديلمى في مسند الفردوس (١/ ٣٩٨، رقم ١٦١١)، قال العجلونى في كشف الخفاء (١/ ٢٢٢، رقم:٥٩٢): رواه الديلمى بسند ضعيف، وقال السخاوي في المقاصد (ص: ١٦٤): وقد عزاه شيخنا (ابن حجر) لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» قال وسنده ضعيف جدا، ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في العقل له بسنده عن ابن عباس أيضًا بلفظ «بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم» وأكد السخاوي أيضًا هذا المعنى بالشواهد والأحاديث الموقوفة، ومنها قول سيدنا علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم...، ١/ ٣٧، رقم: ١٢٧).

(٥) في خد، وك "ولا يتكلم في مسئلة إلا أن يسأل عنها".

(٦) في خد، وك "سئل".

(٧) في خد، وك "يكون الجواب على قدر حاله" وبعده في خد "الزهد ترك الجاه" زيادة خطأ وكذا في د "قال" زيادة خطأ.

(٨) في خد، وك "ولا يتكلم مالم يبلغه ولا يتكلم فيما لم يبلغه استعماله".

(٩) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٤، رقم:٢٦٥٦)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (٣/ ٣٢٢، رقم: ٣٦٦٠).

ولغير أهله[1] ، فالعلم أمنع جانبا من أن يصل إلى غير أهله.

ولا يتكلم بين يدي من هو أعلم منه. سُئِل ابنُ المبارك مسألة بحضرة سفيان الثوري، فقال: أنا لا أتكلم عند الأستاذين، وقال بعضهم: لا يحسن هذا العلم إلا لمن يعبر به[2] عن وجده و ينطق عن فعله.

ومن الآداب أن لا يتكلم في العلم[3] قبل أوانه، فيتولد عنه آفات تقطعه عن الفوائد. ويحذر كل الحذر[4] أن يطلب الجاه والمنزلة عند الناس وحُطَام الدنيا، فيكون ممن لا ينفعه الله تعالى بعلمه، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، وقال عليه السلام: « مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[5]

ويجتهد في استعمال ما سمعه وتعلم، فقد قيل: كل من سمع شيئًا من علوم القوم فعمل به صار ذلك حكمة في قلبه وينتفع به السامعون له[6]، وكل من سمع ولم يعمل به كان ذلك حكاية يحفظها أيامًا ثم ينساها. [7]

وقيل: الكلام إذا خرج من القلب وقع على القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز عن الأذنين[8].

فصل في مراعاة ما يجب رعايته:

اعلم أن من وقع في أرض قلبه بذر إرادة سلوك الطريق إلى الله تعالى، فعليه أن يكرم هذا الضيف الغريب الغَيْبِيَّ، وأن يستغنم هذا البذر العزيز النادر، ويقدّم بين يديه غذاء يناسبه قوة احتمال حوصلته. وهذا الغذاء لا يوجد بالحقيقة إلا في ولاية مشايخ الطريقة قدَّسَ اللهُ تَعَالى أَرْوَاحَهُم.

وذلك لأن بذر الإرادة في قلب المريد على مثال طفل ولد من الغيب إلى شهادة، فلا يكون غذاؤه إلا اللبن الذي من عالم الغيب،[9] كذلك نور الإرادة إذا ورد على قلب المريد من عالم الغيب بتوفيق الله تعالى سبحانه، إنما يتربى بتربية ماء المعرفة من أنهار الغيب الفائض من جود الفيَّاض[10] على قلوب أهل

---

(١) في خد، وك "يجوز أن يبذل العلم لأهله ولغير أهله".

(٢) في خد، وك "به" ساقطة.

(٣) في د، ومج "في العلم" ساقطة.

(٤)في د، ومج "كل الحذر" ساقطة.

(٥) أخرجه الترمذي، في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا (٣٢٩/٤، رقم: ٢٦٥٤).

(٦) في خد، وك "له" ساقطة.

(٧) من هنا إلى الفصل ساقطة في خد.

(٨) في مج، ود "الأذنان".

(٩) في د " لا اللبن الذي يباع في الأسواق" زيادة.

(١٠) في خد، وك "من جوده الفياض".

الغيب، وهم مشايخ الصوفية الذين تشرفوا بمتابعة رسول الله ﷺ، فأفاض الحق سبحانه على قلوبهم واردات ربانية في صورة المتابعة، فصاروا ربانيين، قال النبي ﷺ: «ما صبَّ الله شيئًا في صدري إلاوصببتُه في صدر أبي بكر» رواه صاحب العوارف[1].

فمن وقعت له هذه الإرادة الشريفة فلا يغتر بعلمه[2] ورأيه وحذاقته، بل يقوم في طلب شيخ عارفٍ كاملٍ مأمون موصوف بتربية المريدين، وإن كان في الشرق أو الغرب لا بد من ذلك ويتمسك بخدمته ويسلم نفسه إليه، ويخرج من تصرفاته النفسانية.

وإذا كان الشيخ موصوفًا بما ذكرنا، فلا يدع الشيطان بعد ذلك، يوسوسه بمكايده، ونفسه توافقه في ذلك وتقول[3]: هذا الشيخ هل هو شيخ كامل أم لا؟ فليخرج هذا الخاطر الرديَّ الفاسد من نفسه بقوة رجوليته الثابتة وهمته العالية ويحفظ إشارة «عليكم بالسمع والطاعة و إن كان عبدًا حبشيًا».[4] ولا يتصرف في نفسه بنظر العقل العاجز.

وقد قال بعض مشايخ الصوفية[5] رحمهم الله تعالى: أن يكون المريد في تصرف هرة خير له[6] من أن يكون في تصرف نفسه. شعر

وَكَلْتُ إلَى المَحْبُوبِ أمْرِي كُلُّه　　　　فإنْ شَاءَ أحْياني وإن شاء أتلفا[7]

وهذا على طريق المبالغة منهم في حفظ الإرادة وعدم المخالفة، وقد ذكرنا شرائط الشيخ فلا مَحِيْص من رعايتها.

فصل في احترام الشيخ ظاهرًا وباطنًا:

إن الله تعالى بعث النبي ﷺ ليكون داعيًا للأمة إلى الله تعالى بإذنه، وهاديًا لهم إلى صراط مستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(الأحزاب: ٤٦) وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

---

(١) سبق تخريجه في " فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة".

(٢) في د "بعمله".

(٣) في خد، وك "يوافق" و "يقول" بصيغة المذكر.

(٤) في د "وإن كان الوالي عبدا حبشيا".

أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠، رقم:٤٦٠٧) وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٥، رقم: ٤٢) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (٣/ ١٤٦٧، رقم: ١٨٣٧)بألفاظ مختلفة ولفظ مسلم: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف. وفي رواية «عبدا حبشيا مجدع الأطراف».

(٥) في غير د بدون "بعض".

(٦) في خد، وك "له" ساقطة.

(٧) في ك، وخد "أتلفاني".

(الشورى: ٥٢) ولما تم مدة بقائه في الدنيا خلف خلفاؤه من أصحابه ليدعوا العباد إلى الله تعالى، وهكذا قرنًا بعد قرن إلى قيام الساعة، قال النبي ﷺ:«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».[١] وهذا الاهتداء إنما يوجد عند من ورث العلم من النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا بالوسائط.[٢]

فمن وجد شيخًا موصوفًا بهذه الصفة، ثم إن كان الشيخ قَبِله فعليه أن يحترمه ظاهرًا وباطنًا.

أما احترام الظاهر فألّا يجادل معه ولا يحاجه فيما يسمع منه من المسائل وإن كان يرى أنه أخطأ. فإن نظره أتم من نظره، وعلمه أكثر من علمه وكذا في حضوره لا يجلس على السجادة إلا وقت الصلاة، فإذا فرغ من الصلاة يرفع سجادته ولا يصلي النوافل بحضوره. وكلّ ما يقول ويأمر يتمثل بأمره ما استطاع، ولا يضع رجله على سجادته، ولا يتحرك عنده وعند غيره بحركات خارجة من شيم العارفين، ولا يكثر النظر في وجوه المشايخ، ولا ينبسط معه إلا إذا أذن له، ولا يفعل فعلا يثقل عليه، بل يطرق رأسه وينظر بين يديه، ولا يطالع وجوه الناس فيغفل عن ذكر الله.

وأما احترام الباطن فألّا ينكر عليه شيئًا فيما يراعي ظاهره وباطنه قولًا وفعلًا، وحركة وسكونًا وإلا فهو نفاق، فعليه أن يفارقه حتى يوافق، فيستوي ظاهره وباطنه بتوفيق الحق سبحانه.

فصل في محافظة الأوقات التي يرجى فضلها وعمارتها بالصلوات والأذكار:

وذلك مثلُ وقت الإشراق، يصلي فيه أربع ركعات، ووقته يدخل بطلوع الشمس، ويبقى إلى ارتفاع الشمس قدر رُمحين. ومثلُ وقت الضحى ويصلي فيه اثنتى عشرة ركعة وأقله ركعتان، ووقته بطلوع الشمس إلى زوالها. ومثل ما بين العشاءين، ويصلي فيه ست ركعات صلاة الأوَّابين، وإن صلى فيه عشرين ركعة فهو أفضل، بكل ذلك ورد الخبر. ويشتغل بعد ذلك بالذكر الخفي القوي بحضور القلب. ومثل ذلك[٣] الثُّلث الأخير من الليل ويصلي فيه ثلاث عشرة ركعة، عشرة صلاة التهجد، وثلاثًا للوتر،[٤] وأقلها ثلاث ركعات.[٥] ثم يشتغل بالـذكر إلى طلوع الفجر، ويصلي[٦] الصبح، ثم يشتغل بالذكر أيضًا إلى وقت الإشراق.

---

(١) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٢) في خد ساقطة "قال النبيﷺ .... بالوسائط".

(٣) "ذلك" زيد من د.

(٤) في خد "ثلث عشرة ركعة، وعشر ركعات صلاة التهجد وثلاث الوتر" وكذا في ك بدون "ركعات" وفي د "ثلاث عشرة صلاة التهجد وثلاثا للوتر".

(٥) في خد من هنا إلى الفصل ساقطة إلا "ويواظب على ركعتي تحية الوضوء وعلى ركعتي تحية المسجد".

(٦) في مج زيادة "صلاة".

ويواظب على ركعتي تحية الوضوء وعلى ركعتي تحية المسجد. وقال صاحب العوارف: وكره جماعة من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر، وأجازه المشايخ والصالحون ـ رحمهم الله ـ.[1]

فصل في بيان الفضل على من يواظب على هذه الشرائط الثمانية:

ومن يواظب على الشرائط الثمانية المذكورة، ويراعي هذه الأوقات يصير مخلصًا ممن لا يكون للشيطان عليه سلطان، ويصير من أهل الجنة ومن أهل الله الخاص.

والجنة والنار موجودتان اليوم عند أصحاب السلوك، قال النبي ﷺ:«دخلت الجنة وسمعت خشخشة نعل بلال قدامي»[2] و «دخلت الجنة ورأيت قصرًا وسألت لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته وما دخلت فيه»[3] و«رأيت أبا طالب في ضحضاح من النار، ولو لا مكاني لكان في طمطامها»[4]؛ كذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(البقرة: ٢٤)، وقوله تعالى ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران: ١٣٣)[5].

فصل في أن من كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي إيمانًا شهوديًا:

ومن كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي بالآخرة ومانطق به الكتاب والسنة من الوعد والوعيد والحشر والنشر إيمانا شهوديا، بحيث لا يمكن للنفس إنكارها ولا للشيطان التشكيك في أمر من الأمور الأخروية[6]، بحيث لو يكشف الغطاء لا يزداد يقينه، و يتيقن أن الله على كل شيء قدير، وأن القدرة لا تنبعث إلا بالحكمة.

---

(١) الباب٥٠ في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات. (ص: ٢٧٩).

(٢) خشخشة: صوت الأشياء اليابسة إذا حك بعضها بعضًا.

لعل صاحب الرسالة قد جمع بين الأحاديث المختلفة و نقلها كحديث واحد، فإني أخرجها منفردا. أما حديث سيدنا بلال رضي الله عنه فأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سليم، أم أنس بن مالك، وبلال (٤/ ١٩٠٨، رقم: ٢٤٥٧) بلفظ: أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة، ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال. وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٦١، رقم: ٧٠٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥/١٠، رقم: ٣٦٨٠) بلفظ: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرا فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (١٨٦٢/٤ ، رقم ٢٣٩٤).

(٤) ضحضاح: شيء قليل لا عمق فيه، كماء ضحضاح. طمطام: وسط البحر ونار عظيمة.

أخرجه البخاري في صحيح، كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب (٥/ ٥٢، ٣٨٨٣) بلفظ: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١٩٤/١ ، رقم ٢٠٩).

(٥) هذه الآية والمذكورة قبلها ساقطتان في د، ومج.

(٦) في خد "في أمور الآخرة".

اعلم أنه لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان إلا بعد وصوله إلى هذا المقام، كما كان حال حارثة حين سأله النبي ﷺ، فقال: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: «انْظُرْ إِلى مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ دَعْوَى حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» . قَالَ: قَدْ صَرَفْتُ[1] نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَأَظْمَأْتُ نَهَارَهَا وَأَسْهَرَتْ لَيْلَهَا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَإِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَرُونَ فِيْهَا، قَالَ: أَصَبْتَ فَالْزَمْ، فَلَمَّا تَوَلَّى، قال عليه السلام: عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ[2].

فصل في علامة قذف النور في قلب الذاكر :

وعلامة قذف النور في قلب الذاكر انشراح صدره وطمأنينة قلبه بالذكر، وعلامة انشراح صدره ترك الدنيا، والإعراض عن أغراضها الفانية، وعلامة اطمئنان القلب بالذكر قرارة عينيه بنور الإيمان المقذوف[3] في صدره عند غلبة الذكر عليه.

واعلم أن لكلِّ صورةٍ معنًى، ولكلِّ محسوسٍ معقولًا، ولكلّ شهادةٍ غيبًا، فمن لم يُثْبِت للمعنى صورةً فهو باطنيٌّ مُلحِدٌ عنيد، ومن لم يُثبت للصورة معنًى فهو ظاهريٌّ جامد بليد، ومن يَجْمَع بين الظاهر والباطن، ويُثبت لكل محسوسٍ معقولًا، ويُطَالِع في كل شهادةٍ غيبًا، فهو سُنِّيٌّ رشيد سعيد صُوفيٌّ، فكن صوفيًّا صفيًّا غير مُتَعَصِّب مع أحد من أئمة المسلمين، ولا تَطْعن فيمن يقولُ: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ﷺ، ما دام تجد لقوله مَحْمَلًا صالحًا.

فصل في تأديب النفس بالمجاهدة والرياضة:

من أدب نفسه بالمجاهدة[4] وراضها بالمكابدة وتحمَّل المشاق وتجرَّع المرارات، ويكون قد جاوز المقامات، وتأدَّب بالمشايخ الذين يصلحون للاقتداء، وصَحِب رجالَ الصِّدق، و عَرَف أحكامَ الدين وحدودَه، وأصولَ المذهب وفروعَه، يصلح للاقتداءِ ـ بإذن الله تعالى ـ. ومن لم يكن بهذه الصفات فحرام عليه التصدِّي للمشيخة و الإرادة.

وقيل: من لم يتأدَّب برؤية عيوب أفعاله ورعونات نفسه، والعلم في إزالتها بجهده، لم يجز الاقتداء به. ثم يأخذ نفسه بالمجاهدات ويتفقد زيادتها من نقصانها، وما لها وما عليها، و يعرض حاله على شيخه

(١) في خد، وك "منعت".

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦٦، رقم: ٣٣٦٧) والبزار في مسنده (٣٣٣/١٣، رقم: ٦٩٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٨/١٣ رقم: ١٠١٠٦).

(٣) في د "القذف".

(٤) في خد، وك "بالرياضة".

فيما يعرض له وعليه في كل وقت، فقد قيل: ليس بلبيب من لم يصف ما به إلى الطبيب. ثم يطالب نفسه بمنازل المقامات على ترتيبها، ولا ينتقل من مقام إلا بعد تصحيح آدابه، ولايشتغل بالزهد إلا بعد الفراغ من الورع وما أشبه ذلك إلى أن تصير المعاملات إلى القلوب.

وقال بعضهم: العمل بحركات القلوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.

وقال النبي ﷺ:«لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح»[1].

وقال النبي ﷺ:«مَا فَاقَ أبو بكر بكثرة الصلاة والصيام ولكن بشيء وُقِر في قلبه»[2]؛ ولهذا ظهر من حاله بعد وفاة رسول الله ﷺ ما لم يظهر من حال غيره، حين صَعِد المنبر، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ[3]، وقاتل أهل الرّدة حتى حفظ الله به الإسلام.

ويجب على المريد أن لا يخلو ظاهره من الأوراد وباطنه من الإرادات إلى أن ترد عليه الواردات، فحينئذ يكون مع الواردات، لا مع الأوراد و لا مع الإرادات[4].

وقال أبوسُلَيمان الداراني رحمه الله تعالى: إذا صارت المعاملات إلى القلوب استراحت الجوارح، فحينئذ يشتغل بعمارة الباطن، ومباشرة الأحوال، ومراعاة الأسرار، وعد الأنفاس، كما قيل: عبادة الفقير نفي الخواطر.

وقال بعض المشايخ: إذا رأيت المريد قائمًا مع الشهوات، طالبًا لحظوظ النفس فاعلم أنه كذَّاب، وإذا رأيت المتوسط غافلًا عن حفظ قلبه، ومراعاة أحواله فاعلم أنه كذَّاب،[5] وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة ويميّز بين المدح والذم والقبول والرد فاعلم أنه كذَّاب.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لولا العلامات لادعى كل إنسان سلوك الطريقة. قال الله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(محمد: ٣٠).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفا بسند صحيح (١٤٣/١، رقم:٣٥) وابن عدي في الكامل في الضعفاء عن ابن عمر مرفوعا بسند ضعيف (٤/ ٢٠١، رقم: ١٠١٢).

(٢) رواه الترمذي الحكيم في نوادرالأصول من قول بكر بن عبد الله المزني، أصل/٢١ في خصوصية هذه الأمة (١/ ١٤٨) وأحمد ابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ١٤١، رقم: ١١٨) و قال الحافظ العراقي في المغني، كتاب العلم، الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم (٢٤/١، رقم: ٧٣) ولم أجده مرفوعا وأقره الحافظ السخاوي في المقاصد(ص: ٥٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته (١٤/٦رقم:٤٤٥٤).

(٤) في خد "يكون مع الواردات إلا مع الإراوات" وفي د"يكون مع الارادات لا مع الإرادات" وكلتا العبارتين خطأ من الناسخين.

(٥) في د "وإذا رأيت............. أنه كذاب" ساقطة.

ويجب أن يعلم أنه لا يصلح[1] له حال ولا مقام ولا عبادة إلا بالإخلاص وتصفية الأعمال عن رؤية الخلق[2].

فصل في مراعاة النفس ومعرفة أخلا قها:

ومن الواجبات مراعاة النفس ومعرفة أخلاقها فإنها لأمَّارة بالسوء، ولا يغفل عنها وإن تناهى في المعرفة، فإن النبي ﷺ كان مراعيًا لها، ومستعيذًا بالله تعالى من شرها. ويقول عليٌّ كرم الله وجهه الكريم: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضممتها من جانب نفرت من جانب آخر.

وقال أبوبكر الوراق رحمه الله تعالى: النفس مرائية على جميع الأحوال، منافقة في أكثرالأحوال، مشركة في بعض الأحوال.

ويعلم أنها طلبت أن تكون لله ضدًّا في دعواها، ندًّا في مطالبتها، وذلك أن الله تعالى طالب عباده بالثناء عليه والمدح له، وطلبت النفس ذلك، وطالب الله العباد[3] أن لا يخالفوا أمره ونهيه، وطلبت النفس ذلك، وطالبهم أن يصفوه بالجود والكرم، وتحببت النفس ذلك، وطالبهم أن يكون هو المرغوب إليه والمرهوب منه، وطلبت النفس ذلك.

وقيل: النفس لطيفة مودعة في هذا القالب، وهي محل الأخلاق المذمومة. والروح لطيفة مودعة في هذا القالب، وهي محل الأخلاق المحمودة، كما أن البصر محل الرؤية، والأذن محل السمع، والأنف محل الشم.

وقيل: الروح معدن الخير، والنفس معدن الشر، والعقل جيش الروح، والهوى جيش النفس، والتوفيق من الله تعالى مدد الروح، والخذلان مدد النفس، والقلب في أغلب الجيشين.

باب في لبس الخرقة:

إذا صحَّ للمريد مقام التوبة والورع والتقوى، وشرع في مقام الزهد، وقد أدب نفسه بالمجاهدة والرياضة، فله أن يلبس المُرَقَّعة إن رغب فيها، فليراع ما يلزمه في لبسها.

اعلم أن الإنسان عبارة من جملة ظاهره وباطنه، ولكل واحد منهما لباس يختص به، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(الأعراف: ٢٦) أما ظاهره فالبدن، ولباسه ما أجازه الشريعة، وهو الخرقة التي كساها الله إياه، وما دنستها تصرفات الطبع والعادة قال بعضهم: الفقير الصادق أي شيء لبسه يحسن عليه

(١) في خد، وك، ومج "يصح" وهو خطأ.

(٢) في خد "وتصفية الأعمال عن رؤية الخلق" ساقطة.

(٣) في د "طالبهم".

ويكون له فيه الملاحة والمهابة[1] كما كان حال النبي ﷺ، كان يلبس القباء، والجبة الواسعة الكم والضيقة الكم، والقميص، والأردية، والفاخرة، والخشن.

وأما باطنه فأمور؛ وهي نفسه وقلبه وسره وروحه وخفيُّه الذي هو سرُّ سرِّه، فلباس نفسه الشريعة، ولباس قلبه الطريقة، ولباس سره الحقيقة، ولباس روحه العُبُودية، ولباس خفيِّه المَحْبُوبِيّة.

ثم اعلم أن حجاب الإنسان الذي به يحتجب، إما نورانيٌّ وهو نور الروح، و إما ظلماني و هو ظلمة الجسم، قال رسول الله ﷺ: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»[2]، فمن وفقه الله تعالى للمتابعة حتى بلغ كمال العبودية، فبالعبودية يستخلصه الله سبحانه و تعالى من نور الروح حتى وصل إلى كمال المحبوبية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾(الأعراف: ٣١) وبالمتابعة يستخلصه الحق سبحانه من ظلمة الجسم، فيرفع الحجابات بإذن الله تعالى، فيكون ربانيًا مُخَلَّصًا من أرضية الجسم وسماوية الروح، إذ هو القائم بالله تعالى في مَقْعَدِ صدق عند مليك مقتدر، وهذا قول الحضرمي: الصوفي لا تقلّه الأرض ولا تظلّه السماء، قال الله تعالى: ﴿وَلٰكِنْ كُوْنُوْا رَبّٰنِيّٖنَ﴾(الأعراف: ٦٠).

فالمتابعة صورة وحقيقتها العبودية، ولا يتصور انقطاع العبودية التي هي اللُّب، ولا المتابعة التي هي الصورة لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا يؤمر أحدٌ بمخالفة الشريعة إلا من ردَّه الله تعالى، فأورده المهالك، بئس الورد المورود، كما كان حال المستدرجين بَلْعَام وبَرْصِيصا ـ نعوذ بالله من الحَور بعد الكور ـ، فيكون ظاهره وباطنه محفوظًا من تصرُّفات الطبع والعادة، اللهم ارزُقْنا مُتَابَعَةَ النَّبِيِّ ﷺ ظاهرا وباطنًا، قولًا وفعلًا، طاعة وعبادة وعادة.

فصل في المدركات الباطنة:

المدركات الباطنة من النفس والقلب والعقل والسر والروح والخفي، كل واحد له حجاب، فحجاب النفس الشهوات واللذات والأهوية، وحجاب القلب الملاحظة في غير الحق، وحجاب العقل وقوفه[3] مع المعاني المعقولة، وحجاب السر الوقوف مع الأسرار، وحجاب الروح المكاشفة، وحجاب الخفي العظمة والكبرياء. والواصل من ليس له التفات إلى هذه الأشياء، اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث عرض عليه الخزائن والدفائن في مقام السدرة فلم يلتفت إليها فمدحه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى ،مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى﴾(النجم: ١٧) والعاقل الموفَّق لا يأمن من الشيطان ما دام

(١) في د، ومج، ور "قال بعضهم..........والمهابة" ساقط.

(٢) سبق تخريجه في " فصل فيما يعمل الطالب إذا اشتدت إرادته وشوقه إلى سلوك الطريق".

(٣) في د "وقوف".

معه شيء من دنياه، فقد جاء عن عيسى عليه السلام، أنه كان نائمًا متوسِّدًا بلبنة، فسهر من منامه، فإذا اللعين عند رأسه، فقال له: ماجاء بك إليّ؟ فقال: طمعت فيك، فقال: يا ملعون، أنا روح الله، كيف تطمع فيّ؟ فقال: إنك أخذت قماشي، فطمعتُ فيك، فقال: وما ذاك القماش؟ فقال: هذه اللبنة تحت رأسك، فرماها عيسى عليه السلام حتى فارقه الشيطان.[1]

باب في التصوف ومذاهبهم:[2]

التصوف مأخوذ من الصفا محمود في كل لسان، وضده الكدورة ومذموم في كل لسان[3].

فصل في أركان التصوف:

قيل: أركان التصوف في الظاهر خمسة: الخدمة، والخرقة، والخلوة، والصحبة، والفُتُوَّة[4] وأركان باطنه أيضًا خمسة: العلم، والعمل، والحال، والقلب، والمعرفة.

وقال بعضهم: أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم للكشف عن المراد، والعمل للعون على الطلب، والموهبة للتبليغ إلى غاية العمل.[5] وهم على ثلاث طبقات: مريد طالب، ومتوسط سائر، ومنتهي واصل.

فمقام المريد: المجاهدات، والمكابدات، وتجرع المرارات، ومجانبة حظوظ النفس، والاقتصار على حقوقها. ومقام المتوسط: ركوب الأهوال في طلب المراد، ومراعاة الصدق في كل الأحوال، واستعمال الأدب[6] في جميع المقامات. ومقام المنتهي: الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه قد استوى حاله في الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والوفاء والجفاء، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه، ظاهره مع الخَلق، وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم. أوله كان متخلّيًا في غار حراء ثم صار مع الخلق، ولا فرق عنده ﷺ بين الخلوة والجلوة، كذلك أصحاب الصُّفَّة صاروا في حالة التمكين أمراء، وزراء، فإن المخالطة كانت لا تؤثِّر فيهم.

---

(١) في د "الشيطان" ساقطة.

(٢) في د، ومج "مذهبهم".

(٣) هذه العبارة بأسرها ساقطة في د، ومج ، و ر وأضيف الفصل مع الترجمة من الأستاذ ضياء الرحمن العليمي.

(٤) الترتيب مختلف في ك، وخد.

(٥) في د "الكشف" و "العون" و "التبليغ" بدون اللام الجارة.

(٦) في د "الآداب".

وقال أبو عبد الله بن خفيف: قال لي رويم: يا بني اجعل علمك[1] ملحًا، وأدبك دقيقًا.[2]

وقيل: التصوف كله أدب ولكل وقت أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزِمَ الأدبَ بلغ مبلغ الرجال، ومن حُرِم الأدبَ فهو بعيدٌ من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول. وقيل: من حُرِم الأدب فقد حرم جميع الخيرات.

وهؤلاء أهل التصوف طريقهم على المخاطرة، فلا يميلون إلى الخَلْق ولا إلى الدنيا ولا إلى أنفسهم ولا إلى أهلهم وإن[3] نظروا ومالوا، فمُنِعُوا وعجزوا.

وسُئِل الجنيد رحمه الله تعالى عن الصوفية من هم؟ فقال: آثرهم الله تعالى من خَلْقه يُخْفيها إذا أحبَّ، ويُظْهِرها إذا أحب.

وسُئِل ابن عطاء عن التصوف، فقال: نزاهة طبع كامنة في باطن الإنسان، وحُسن خلق يشتمل على ظاهره.

وسأل رويم الجنيدَ عن التصوف في ذاته، فقال: إياك إياك يا أبا محمد، خذ الظاهر ولا تسأل عن ذاته فألح عليه، فقال مجيبًا له: هم القائمون مع الله تعالى من حيث لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: التصوف، القيام مع الله تعالى من حيث لا يعلمه غير الله عز وجل.

ومن أخلاقهم: الحِلْم، والتَّواضع، والنَّصِيحة، والشَّفقة، والاحتمال، والموافقة، والإحسان، والمدارات، والإيثار، والخدمة، والأُلفة، والبَشَاشة، والكَرَم، وَبَذْل الجَاه، والفُتُّوة، والمروءة، والمودة، والجُود، والعَفْو، والصُّلح، والسَّخاء، والوَفاء، والحَيَاء، والتَّلَطُّف، والبِشر، والطَّلاقة، والسكينة، والوقار، والدعاء، والثناء، وحسن الخُلق، وتصغير النفس، وتوقير الإخوان، وتَبْجِيل المشايخ، والتَّرَحُّم على الصغير والكبير، واستعظام ما إليه واستصغار ما منه.[4].

وسئل سهل التستري رحمه الله تعالى عن حسن الخلق، فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والدعاء له.

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: حسن الخلق: بسط الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى.

فصل في المعرفة وأقسامها:

اعلم أن المعرفة هي هداية من الله تعالى، وهي إما استدلالية، و إما شهودية ضرورية.

---

(١) في د "عملك".

(٢) قول أبي عبد الله ساقط في خد.

(٣) في د، ومج بدون الواو.

(٤) التواضع، والفتوة، والدعاء، والثناء ساقطة في خد.

أما الاستدلالية، فنحو قوله تعالى: ﴿سَنُرِيْهِمْ اٰيٰتِنَا فِي الْاٰفَاقِ وَ فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ﴾(فصلت: ٥٣)ـ الآية ـ. وهي الدرجة للعلماء الراسخين في العلم، وهو الاستدلال بالآيات على خالقها لأن منهم من يرى الأشياء فيراه بالأشياء فهذه المعرفة على التحقيق إنما تحصل لمن انكشف له شيء من أمور الغيب حتى استدلَّ على الله تعالى بالآيات الظاهرة وبالآيات الغيبية؛ لأن الله تعالى خلق ظاهرَ العالم[1] وباطنَه ليكونا دليلين عليه تعالى، فمن اقتصر استدلاله بظاهر العالم دون باطنه، فلم يستدل بالدَّلِيْلَين، كالأنفس مَثَلًا. فإن النفس هي كلية الذات ظاهرًا وباطنًا، فمن استدلَّ بظاهرها دون باطنها، فما استدل بالدليل جملة، فتعطَّل استدلاله بباطن النفس. والدليل إذا كان مخلوطًا بالتعطيل فليس بدليل مطلقًا، مع أن الاستدلال بظاهر النفس يحصل بالاتفاق فاستغن بها عن ظاهر النفس.

فَاجْتَهِد في تهذيبِ الأخلاق، لينكشف لك كل شيء من الملكوت، قال النبي ﷺ:«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات»[2] فإن من لم ينفتح[3] باطنه بنور المعرفة والمشاهدة فهو أعمى، وإن كانت عيناه مفتوحتين، قال الله تعالى:﴿وَمَنْ كَانَ فِيْ هٰذِهٖٓ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَاَضَلُّ سَبِيْلًا﴾(الإسراء: ٧٢) فمن اشتغل بما لا يعينه لم يكن موافقا لربه تعالى فلم يعرف لربه [4] تعالى إذ هو واقفٌ مع[5] حظ نفسه، فبَاعَدَهُ الربُّ تعالى وحَجَبَه عن مشاهدة أوصافه تعالى.

وأما المعرفة الشهودية الضرورية[6] فدليلها قوله تعالى:﴿اَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهٗ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ﴾(فصلت: ٥٣) وهي درجة الصديقين، وهم أصحاب المشاهدات، وهو استدلال بنَاصِب[7] الآيات على الآيات.

قال بعض المشايخ: رأيت الله قبل كل شيء، وهو عرفان الإيقان والإ حسان، فعرفوا كل شيء به، لا أنهم عرفوه بشيء. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام:«يا داود أ تدري ما معرفتي؟ قال: لا، قال: حياة القلب في مشاهدتي».

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: ما أَغْبِطُ أَحَدًا إلا مَن عَرفَ مولاه تعالى، وأَشْتَهي أن لا أَمُوت حتى أَعْرِفَه مَعْرِفةَ العَارفين الَّذين يَسْتَحِيبُونَه، لا معرفةَ التصديق.

---

(١) في د "العلم".

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (١٤/ ٢٨٥، رقم: ٨٦٤٠) بلفظ: هذه الشياطِين يحرفون علَى أعينِ بنِي آدم، أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرضِ، ولولا ذلك لرأوا العجائب.

(٣) في د "يفتح".

(٤) في خد،و مج،وك " لله تعالي".

(٥) في د "في".

(٦)زيادة "التي عقيل بأول النظر من غير فكر" في د، ومج.

(٧) في د "بباطن".

وقال الواسطي: المعرفةُ مَا شاهَدتَه حِسًّا، والعِلْمُ مَا شَاهَدتَه خَبرًا.

وقيل: المعرفة اسم لعلم تقدَّمه غَفْلةٌ و نُكرةٌ، ولهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: إنما سبيل العارف أن يُطهِّرَ نفسه من الأدناس، ثم يُقرِّبها إلى الله بصحة القصد إليه بما أوجبه وألزمه من أوامره واجتناب عن نواهيه بالاقتداء فيهما بالسنة وحسن المراعاة بالأدب.

وقال ابن عطاء: من عامل الله تعالى على رؤية ما سبق منه إليه، لم يكن بعَجَب أن يمشي على الماء أو في الهواء، وكل أمر الله عجب ليس شيء منه عجبًا.

وسئل الشبلي عن المعرفة، فقال: إذا كنتَ بالله متعلقًا لا بأعمالك، غيرَ ناظر إلى سواه، فأنت كامل المعرفة.

وقيل: الرؤية في الآخرة، كالمعرفة في الدنيا، كما أن الله تعالى يُعْرَف في الدنيا من غير إدراك كذلك يُرَى في العُقبى من غير إدراك ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(الأنعام: ١٠٣)

وقالوا: من لم يعرف الله تعالى فالسكوت عليه حتم، ومن عرف الله فالصمت له جزم، ولذلك قيل: من عرف الله كلَّ لسانه.

قيل لبعضهم: ما غاية المعرفة؟ قال: الكينونة معه.

قال أبوبكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ألا من عرف الله عز وجل لم يكن له فاقةٌ ولا وحشة.

وقال بعضهم: لا يوصف بالمعرفة إلا من توالت على قلبه العلوم بمعلوم واحد ـ وهو الله تعالى ـ فقلَّت غفلاتُه وظهرت عليه آثارُه وعلاماتُه.

وعن عُمَر ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال:«لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين»[١]، سمّي هؤلاء العارفين.

فصل في أصول الدين :

يجب على السالك أن يعرف أصولَ الدين ويقف عليها ليصح معرفته، وعبوديته، وعبادته، عن النبي ﷺ حكاية[٢] عن الله تعالى: «تو رَّع تعرفني، وتجوَّع ترني، وتجرَّد تصل إلى معرفتي وعبوديتي وعبادتي»[٣]. وأصول الدين: الإسلام، والاعتقاد، والإيمان، والإيقان، والمعرفة، والتوحيد.

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، عن عمر وابنه (١٢٩/٢، رقم: ١٠٣٣، ١٠٣٤) والطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عمر (١٢/ ٣٠٣، رقم: ١٣١٨٥)، قال الهيثمي (٢٦٨/١٠) : فيه محمد بن رجاء وهو ضعيف.

(٢) في د، ومج "حكاية" ساقطة.

(٣) لم أجده في الكتب المعتبرة.

فصل في الإسلام :

فإن قيل ما الإسلام؟ يقال هو الذي قال رسول الله ﷺ:«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكوة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»[1].

فإن قيل: ما حقيقة الإسلام؟ يقال: نور مقذوف[2] في صدور المؤمنين، قال الله تعالى:﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(الزمر: ٢٢).

فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ:«المسلم من سلم المسلمون بيده ولسانه»[3]، يقال: ـ والله أعلم ـ أراد به ثمرةَ الإسلام.

فصل في الاعتقاد الصحيح :

فإن قيل: ما الاعتقاد الصحيح؟ يقال: هو اتخاذ صورة العلم الراجح في القلب بوجود المغيبات.

فإن قيل: ماحقيقة الاعتقاد؟ يقال: نور في قلبه، يدفع به ما يعرضه من الشكوك والريب.

فإن قيل: ما معنى صحة الاعتقاد؟ يقال: هو الخالي عن التعطيل، والإلحاد، والتشبيه، والتجسيم، والتكييف، والتنقيص، والحلول، والاتحاد، والإباحة. وهو الاعتقاد الذي كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم الذين إجماعهم حجة في أصول الدين بشهادة النبي ﷺ بعدالتهم بقوله عليه السلام:«خير القرون قرني الذي أنا فيه، ثم الذين يلونهم»[4]ـ الحديث ـ. فهذه هي العقيدة الصحيحة السليمة.

فصل في العلم الراجح:

فإن قيل: ما العلم الراجح؟ يقال: الراجح[5] هوالاعتقاد الجازم المطابق. فإن قيل: ما حقيقة هذا العلم؟ يقال: نور إذا نزل في القلب ينفذ شعاعه إلى حيث المعلوم ويتعلق كما يتعلق نورالعين بالمرئي.

فإن قيل: ما مأخذ هذا العلم؟ يقال: مأخذه حضرة الإله، يُفِيض على قلب العبد في مشكاة النبوة،

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» (١/ ١١، رقم: ٨) و مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» (١/ ٤٥، رقم:١٦).

(٢) "مقذوف" زيدت من د.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/ ١١، رقم:١٠) و مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (١/ ٦٥، رقم:٤١).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٥/ ٢، رقم: ٣٦٥٠) ومسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة (٤/ ١٩٦٣، رقم:٢٥٣٣) بلفظ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

(٥) "الراجح" زيدت من د.

فيجذبه إلى الله تعالى أو إلى أمرالله أو إلى حكم الله. وهو على مراتب، علم اليقين: وهو ما حصل عن نظر واستدلال. وعين اليقين: وهو ما حصل عن مشاهدة وعيان. وحق اليقين: وهو ما حصل عن العيان مع المباشرة. الأول: كمن عَلِم بالعادة أن في البحر ماء، والثاني: كمن مشى و وقف على ساحله وعاينه، والثالث: كمن خاض فيه واغتسل وشرب منه.

فإن قيل: ما العلم اللدني الذي قال الله تعالى:﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(الكهف: ٦٥)؟ يقال: العلم اللدني معرفة ذات الله وصفاته علمًا يقينًا عن مشاهدة وذوق ببصائر القلوب.

فإن قيل: بِمَ يُنَال العلمُ الصحيحُ؟ يقال: هو ثمرة الإيمان الصحيح[1] ، فما لم ينزل زائد الإيمان في منازل قلبه لا يتجلى علم اليقين في ساحة صدره.

فصل في الإيمان:

فإن قيل ما الإيمان؟ يقال: هو تصديق الرسول والرسالة والمرسِل في جميع ما جاء به.

فإن قيل: ما حقيقة الإيمان؟ يقال: هو نورٌ مقذوف في قلب المؤمن، قال الله تعالى:﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ: «المؤمن من يأمن جاره بوائقه»[2] ونحو ذلك، يقال: هو ثمرة الإيمان، وهو على نوعين:

عطاء من الله تعالى، قال الله تعالى:﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾(المجادلة: ٢٢)

والنوع الثاني: كسب يكتسبه العبد يتقوى به[3] الإيمان العطائي؛ وهو شهادة أن لا إله إلا الله. والإيمان الكامل؛ هو الذي جمع بين التوحيد والتعظيم، فقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(الشورى: ١١)توحيد، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الشورى: ١١) تعظيم، والجمع بينهما إيمان كامل.

فصل في الكفر والنفاق:

فإن قيل: ما الكفروالنفاق؟ يقال: كل واحد منهما تكذيب الرسول والرسالة والمرسل في شيء مماجاء به، إما ظاهرًا وباطنًا وإما باطنًا، قال الله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(المنافقون: ١).

فإن قيل: بم النجاة من الكفر والنفاق؟ الجواب: بأن يقول ويعتقد: آمنت بالله وملائكته وكتبه

---

(١) في د، ومج "الصريح".

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار (١/ ٦٨، رقم: ٤٦) بلفظ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» والبخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٨/ ١٠، رقم: ٦٠١٦) ولفظه: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه».

(٣) في مج، وك، وخد "بتقوية".

ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، بالحشر والنشر، والجنة والنار، وغيرذلك، وبأركان الإسلام، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، ويعمل بما يجب عليه من أركان الإسلام، وبأن القرآن كله ـ السُّور والآيات ـ كلام الله، والكعبة قبلة الله، ودينه وشرائعه باقية إلى يوم القيامة، حتى لو أن اليهودي والنصراني أراد أن يسلم يجب عليه أن يقر بذلك كله، وأن يقول: وتبرَّأْتُ من اليهودية والنصرانية، بعد الشهادتين، فهكذا كل حكم من أحكام الإسلام نُقل إليه نقلًا متواترًا، لو ردَّه كفر كرد آية من القرآن، قال الله تعالى:﴿فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ ﴾(البقرة: ٢٥٦).

فصل في المعرفة:

قال الله تعالى في قصة خليل عليه السلام:﴿لَىِٕنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَاَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّيْنَ﴾(الأنعام: ٧٧)، وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال:«إِنَّ دِعَامَةَ الْبَيْتِ أَسَاسُهُ، وَ إِنَّ دِعَامَةَ الدِّينِ الْمَعْرِفَةُ بِالله، وَالْيَقِينُ، وَالْعَقْلُ القامِعُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بِأَبِي أنت وَأُمِّي [١]، مَا الْعَقْلُ القامِعُ؟ قَالَ: الْكَفُّ عَنْ مَعَاصِي الله وَالْحِرْصُ عَلَى طَاعَةِ الله»[٢].

اعلم أن لَه أصلًا وفرعًا، فالأصل هو معرفة الله تعالى مع سائر المعارف، وهومقدم على الفرع قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْۢبِكَ ﴾(محمد: ١٩) قدم المعرفة على الاستغفارالذي هو الفرع، وقال تعالى: يا موسى ﴿اِنَّنِيْٓ اَنَا اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاعْبُدْنِيْ ﴾(طه: ١٤) قدم المعرفة على العبادة التي هي الفرع.

فصل في تعريف المعرفة لغةً واصطلاحًا:

فإن قيل: ما المعرفة في اللغة؟ يقال: هو العلم، وفي العرف اسم لعلم تقدمه نكرة، وفي عبارة الصوفية: المعرفة هو العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته.

فإن قيل: هل يجوز إطلاق المعرفة على الله تعالى؟ يقال: لا يجوز ذلك فلا يسمّى الحق سبحانه عارفًا ولا يسمّى علمه معرفة؛ لأن المعرفة في وضع أهل اللغة اسم لعلم كان بعد أن لم يكن وعلم الله تعالى لم يزل كائنًا قديمًا.

فإن قيل: ما معرفة الذات وما معرفة الصفات؟ يقال: معرفة الذات أن يعلم أن الله تعالى موجود، وواحد، وفرد، وذات، وشيء، وقائم بنفسه، ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء. وأما معرفة الصفات فأن يعرف الله تعالى حيًّا، عالمًا، قديرًا، سميعًا، بصيرًا، مريدًا، متكلمًا إلى غير ذلك من الصفات.

---

(١) في خد "بأبي أنت وأمي فداءك".

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٢، رقم: ٣٠٧٧) وفيه «النَّافِعُ» بدل «القَّامِعُ».

فإن قيل: ما سر المعرفة؟ يقال: سرها وروحها: التوحيد، وذلك بأن ينزه حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق.

فإن قيل: ما علامة المعرفة؟ يقال: حياة القلب مع الله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود أ تدري ما معرفتي؟ قال: لا، قال تعالى: حياة القلب في مشاهدتي.

فإن قيل: فأي معرفة أقوى؟ يقال: المعرفة الشهودية.

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أشتهي أن لا أموت حتى أعرفه معرفةَ العارفين الذين يستجيبونه لا معرفةَ التصديق.

فإن قيل: ففي أي مقام تصح المعرفة الحقيقة؟ يقال: في مقام الرؤية والمشاهدة بسر القلب، وإنما يرى ليعرف؛ لأن المعرفة في باطن الإراءة فيرفع الله تعالى بعض الحجب فيريهم نور ذاته تعالى وصفاته عز وجل من وراء الحجاب ليعرفه[1] تعالى، ولا يرفع الحجاب بالكلية كيلا يحترقوا، قال بعضهم بلسان الحال: **شعر**

ولو أني ظهرت بلا حجاب	لقد مات[2] الخلائق أجمعينا
ولكن الحجاب لطيف معنى	به يحيا قلوب العاشقينا

فإن قيل: وما الدليل على أن الله يسمى شيئا عظيما، يقال: قوله تعالى:﴿قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ﴾(الأنعام: ١٩) يعني قل الله شيء أكبر شهادة [3] وقوله تعالى:﴿اَمْ خُلِقُوْا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ اَمْ هُمُ الْخٰلِقُوْنَ﴾(الطور: ٣٥) أي من غيرخالق.

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ: ربما يتوهم أنه لا يخلق شيء إلا من شيء، وليس كذلك بل من غير شيء أي من غير خالق.

والشيء في اللغة هوالموجود، والله تعالى موجود، فالله تعالى شيء أكبر، وإنما كبره تعالى بأن ليس له نهاية، لا في الذات ولا في الصفات.

فصل في التوحيد:

فإن قيل: ما التوحيد؟ يقال: التوحيد في اللغة جعل الأشياء شيئًا واحدًا، وفي عبارة العلماء: اعتقاد وحدانية الله تعالى، وعند الصوفية: معرفة وحدانية الله تعالى.

فإن قيل: ما أصل التوحيد؟ يقال: التوحيد إثبات ما لم يزل وإسقاط ما لم يكن.

---

(١) في خد، وك "لتعرفه".

(٢) في خد، وك "لنميت".

(٣) في د " يعني قل الله شيء أكبرشهادة" ساقطة.

قال رجل للجنيد: صف الباري تعالى فقال: هو بلا هو، ولا هو إلا هو، فزعق الرجل زعقة، فخرَّ ميتًا، فقال الجنيد: كم أجتهد أن لا أتكلم في التوحيد بلسان التجريد. وقال بعضهم: التوحيد تميز الحدوث[1] عن القدم والإعراض عن الحدوث والإقبال على القدم حتى لايشهد نفسه[2] فضلًا عن غيره؛ لأنه لو شهد نفسه في حال توحيد الحق سبحانه وتعالى لكان مُثَنِّيًا لا مُوَحِّدًا.

فإن قيل: ما معنى توحيد العبد للحق سبحانه وتعالى؟ فإن الله تعالى كان واحدًا في أزله وما كان معه غيره، كما في حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[3]، ثم كتب جل ثناؤه في الذكر، كل شيء يحدث، فإذا كان الله تعالى قبل الخلق واحدًا، وتوحيده ثابتا، وما كان ثمة[4] شيء غيره، فكيف وحّده العبد؟

يقال: معنى توحيد العبد للحق تعالى معرفة الوحدانية[5] الثابتة له تعالى، وذلك بأن لم يحضره في شهوده غير الواحد ـ جل جلاله ـ، وتوحيد الموحد لم يفد للحق تعالى صفة الوحدانية، وإنما أفاد صفة الموحدية، والحق سبحانه وتعالى وراء كل توحيد، قائم بذاته، موصوف بصفاته، غني عن غيره، فتوحيد العبد للحق سبحانه وتعالى معرفة تنزيهه وتعظيمه على موافقة الكتاب والسنة، وذلك علمه بأن الله تعالى واحد في ذاته ولا يشبهه شيء، وواحد في صفاته وأفعاله لا يشاركه فيها أحد، وأنه تعالى ليس في مكان الخلق ولا في زمانهم، فلا يشبهه زماني ولا مكاني فإنه تعالى أعظم وأكبر من أن يحيط[6] به العلم والوهم والفهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(طه: ١١٠) و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(الشورى: ١١).

فإن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت وجوده. وإن قلت: كيف؟ فقد احتجب عن الوصف ذاته. وإن قلت: أينما؟ فقد تقدم هو على المكان.

فإن قيل ما حقيقة التوحيد؟ يقال: نور به يشاهد السر وجود من لم يزل كائنًا وعدم ما لم يكن، وهذا التوحيد وراء التوحيد بعبارة العلم، فإن العلم لا يمحو الشرك ولا يمحو الغير إذ ليس الخبر كالمعاينة، ومن لقي ربه تعالى موحدا عادت سيآته حسناته[7]، ومن وحّد الله تعالى صدقًا من قلبه حرمه الله على النار،

---

(١) في ر "الحدث".

(٢) في خد، وك "لنفسه".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب {وكان عرشه على الماء} (٩/ ١٢٤، رقم: ٧٤١٨). في ك "ولم يكن معه شيء غيره" بزيادة "معه".

(٤) في خد، وك "ثم".

(٥) في د "وحدانية" بدون لام التعريف.

(٦) في د "تحيط".

(٧) في د "حسنات" بدون الضمير.

كما تواترت به الأخبار.

فصل في دلائل التوحيد:

قال الله تعالى:﴿شَهِدَ اللّٰهُ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾(آل عمران: ١٨)، وقال الله تعالى:﴿وَ اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ۚ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾(البقرة: ١٦٣)، وقال الله تعالى:﴿اِنَّنِيْٓ اَنَا اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا﴾(طه: ١٤)، وقال الله تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوْٓا اِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ﴾(النحل: ٥١)، وقال الله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ﴾(الإخلاص: ١) ، وقال تعالى:﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ ﴾(النمل: ٦٠)، وقال تعالى:﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ﴾(فاطر: ٣)[1]، وقال تعالى:﴿ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(الرعد: ١٦)، وقال تعالى:﴿فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ﴾(محمد: ١٩)، وقال النبي ﷺ «كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنة ثوابًا»[2].

اعلم أن دلائل وحدانية الله تعالى كثيرة وأظهرها أربعة:

الأول: الخَلق، والثاني: التربية، والثالث: الإماتة، والرابع: الإحياء، قال الله تعالى:﴿اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ﴾(الروم: ٤٠).

اعلم أن الوحدانية من أخص صفات الحق سبحانه وتعالى، ولهذا اتفقت أقاويل أهل الحق من أئمة الهدى وعلماء الصوفية، وصحت عقائدهم في التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل، وذلك بأن يفرد الحق سبحانه وتعالى من كل شيء سواه، حتى لا يشهد نفسه فضلًا عن غيره، وعند الصوفية ترك التوحيد إلى الله تعالى في التوحيد توحيدٌ، والتوجه[3] إلى غير الله تشبيه، فافهم.

فصل في اليقين:

فإن قيل: ما اليقين؟ يقال: هو عبارة عن ظهور نور الحقيقة في الموقن، في حال كشف أستار البشرية، بشاهد الوجد والذوق، لا بدلالة العقل والنقل، قال علي ـ كرَّم اللهُ وجهَه ـ: لو كشِفَ الغطاءُ ما ازددتُّ يقينًا، معناه إنما يزداد وضوحًا ومشاهدة.

فإن قيل: نور الإيمان واليقين نور واحد أو هما نوران؟، يقال: الإيمان نور من وراء الحجاب، قال الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة: ٣)، واليقين نور عند كشف الحجاب، وبالحقيقة هما نور واحد، غير أنه إذا كان من وراء الحجاب يقال له: نور الإيمان، وإذا باشر ذلك النور قلب المؤمن عند رفع الحجاب صار يقينا، مثل الإيمان كنسبة الفجر إلى الشمس فقد ذهب جزء من سواد الليل، ولم تطلع الشمس بعد، ومثال

---

(١) هذه الآية ساقطة في خد.

(٢) لم نجده في حديث الرسول ﷺ، ولكن نقله بعض المفسرين كقول أبي بكر رضي الله عنه نحو أبي العباس الشاذلي الفاسي في البحر المديد تحت الآية {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] (١/ ١٨٩).

(٣) في خد، وك "النظر".

اليقين طلوع الشمس حيث زالت الظلمة بالكلية.

اعلم أن الإيمان أصل اليقين، وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فروعه بعضها أبلغ من بعض وقد جاء في الخبر: الإِيْمَانُ يَقِيْنٌ كُلُّهُ[1].

وعلم اليقين إدراك المعاني وفهم الكلمات[2] من الله تعالى بالتعليم الإلهي والتفهيم الرباني، قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾(الأنبياء: ٧٩) وهو علم الرحمة، قال الله تعالى:﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾(الكهف: ٦٥) أي نورًا وبصيرة، وهو علم الشفقة على الخلق، به خَرَق سفينةَ المساكين، وقَتَل الغلام، وأَقَام الجدار.[3]

فمن صحَّ علمه صحَّت عقيدته، ومن صحت عقيدته صح إيمانه، ومن صح إيمانه صحت معرفته، ومن صحت معرفته صح توحيده، ومن صح توحيده في الدنيا صحت رؤيته في الآخرة. واليقين عافية القلب من مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن.

وقال بعضهم: الفرق بين الإيمان واليقين، كالفرق بين الأعمى والبصير، إذا أخبر[4] بطلوع الشمس، فالبصير ينظرها والأعمى لا يشاهدها لكن ثبت[5] عنده وجودها بتواتر الأخبار.

فصل في العبادة :

فإن قيل: ما العبادة؟ يقال: هي على ثلاث مراتب: منهم من يعبد الله للثواب والعقاب، وهذا هو العبادة المشهورة، ومنهم من يعبده لينال بعبادته شرف الانتساب، كما قال قائلهم: لا تدعني إلا بـ"يا عبدنا"، فإنه أشرف أسماء، وهذا يسميه بعضهم عبودية، ومنهم من يعبده إجلالًا وهيبة، وحياء منه ومحبة له تعالى، وهذه هي الرتبة العالية يسمى هذه في اصطلاح بعضهم عبودة، فالعبودة أعلى من العبودية، والعبودية أعلى من العبادة، فالعبادة محلها البدن، فهي إقامة الأمر، والعبودية محلها الروح، وهي الرضا بالحكم، والعبودة محلها السر، وهي عبادة في الأحوال، فالعبادة أصل، والعبودية فرع، ولا فرع بدون الأصل، والعبادة والعبودية مجاهدة، والعبودة هداية، كما قال تعالى في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ:﴿قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(الصافات: ٩٩)[6].

قيل: كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يعبد الله إجلالًا وتعظيمًا، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام:«لم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس (١٠/١) بلفظ: اليقين الإيمان كله.

(٢) في د "الكتاب".

(٣) في خد "به خرق........الجدار" ساقطة وفي د الأفعال الثلاث بصيغة المجهول.

(٤) في د "أخبرا" بالمثنى.

(٥) في د "لايشهدها"، وفي د "يثبت".

(٦) " كما قال تعالى في قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ" زيدت من المحققين.

يفضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره»[1]، وكان عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يعبده خوفًا وهيبة؛ ولذلك كان مهيبًا ومن خاف الله خافه كل شيء، وقال النبي ﷺ:«إن الشيطان ليفر من ظل عمر»[2]، وكان عثمان رضي الله عنه يعبده حياء، وقال عليه السلام:«ألا أستحيي ممن تستحي منه ملائكة السماء»[3]، وكان علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ يعبده محبة، وفيه نزل قوله تعالى:﴿وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهٖ مِسْكِيْنًا وَّيَتِيْمًا وَّاَسِيْرًا ﴾(الإنسان: ٨). فمن كان في رتبة العبودية كانت رؤية الله تعالى له في المخالفة أشد من العقوبة،[4] لعلمه أنه لم يقع[5] في المخالفة إلاوقد حجب عن المشاهدة.

فصل في الحق والحقيقة:

فإن قيل: ما الحق وما الحقيقة؟ يقال: أما الحق في اللغة فهو الكائن الثابت، فالحق الكائن الثابت الموجود الدائم النافع الضار الذي وسعت رحمته[6]كل شيء وهو الله تعالى، فاستعمال الحق لله تعالى حقيقة ولغيره مجاز، ووجوده تعالى ذاتي ووجود غيره بإيجاد الله تعالى إياه، وكان الوجود الثابت له[7] تعالى خاصة اسمًا خاصًا لذاته تعالى، يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ﴾(يونس: ٣٢)،وقول النبي ﷺ:«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ»[8]

---

(١) في ك "في قلبه"

قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعاً، وإنما يعرف من قول بكر بن عبد الله المزني رواه الحكيم الترمذي في نوادره. قلت: وبكر ثقة سمع من ابن عباس وابن عمر، وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله، ولفظه: (ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه) (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/ ١٠٦ رقم: ٨٥)

(٢) روى أبو بكر الكلاباذي البخاري (المتوفى: ٣٨٠هـ) في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (ص:١٠٣) بلفظ: «إن الشيطان ليفرق من ظل عمر» والترمذي عن أبي بريدة في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥/٦٢٠، ٦٢١ رقم: ٣٦٩٠، ٣٦٩١) بلفظ: « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر» وعن عائشة بلفظ: «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر» والبخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٤/١٢٦ رقم: ٣٢٩٤) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٣ رقم: ٢٣٩٦) عن عمر «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك»

(٣) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١/ ٥٣٨، رقم: ٥١٤) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٦، رقم:٢٤٠١)

(٤) في خد "كان رؤية الله منه المخالفة أشد عليه من العقوبة"

(٥) في د "لعلمه أنه يقع" وهو خطأ.

(٦) في د، ومج "رحمته وسعت".

(٧) في د "لله".

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (٨/ ٣٥، رقم:٦١٤٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الشعر (٤/ ١٧٦٨، رقم: ٢٢٥٦).

فإذا كان ما خلا الله باطلًا لزم أن لا يكون الحق إلا الله تعالى؛ لأن الحق عكس الباطل، قال الله تعالى:﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾(الأنبياء: ١٨).

فأما الحقيقة في اللغة فهي الدراية، أعني العلم، وفي عبارة أهل الأصول: المراد بحقيقة اللفظ ما وُضِع له اللفظ، يعني اصطلحوا على أنهم متى استعملوا هذا اللفظ عنوا به هذا المعنى، ثم هذا الاصطلاح إن صدر من أهل اللغة فهو حقيقة لغوية، وإن صدر عن الشرع فهو حقيقة شرعية[١]، وإن انتقل عن الوضع الأصلي بغلبة الاستعمال لا من جهة الشرع فهي حقيقة عُرفية، مثال الحقيقة اللغوية: لفظ الرجل والمرأة، ومثال الشرعية: لفظ الصلاة والزكاة والإيمان والكفر، ومثال العرفية: لفظ الدابة لكل ما يدب، ثم خصه[٢]ا العرب ببعض البهائم.

فصل في الحق والحقيقة في اصطلاح الصوفية:

وأما الحق والحقيقة في اصطلاح مشايخ الصوفية فالحق هو الذات، والحقيقة هي الصفات. فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات، ثم إنهم إذا أطلقوا[٣] ذلك فإنما أرادوا به ذات الله تعالى و[٤]صفاته عز وجل خاصة. وذلك لأن المريد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى، ودخل في عالم الإحسان، يقولون: دخل في عالم الحقيقة، ووصل إلى مقام الحقائق، وإن كان بعد في عالم الصفات والأسماء، ومهما وصل إلى نور الذات، يقولون: وصل إلى الحق. وقلما يستعملون ذلك في ذوات أخرى وفي صفاتهم؛ لأن مقصودهم الكلي هو التوحيد.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال:«لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ»[٥] معناه لكل ذات صفة خاصة، هي صفة الذات، وقال النبي ﷺ للحارثة حيث قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا، قال عليه السلام:«إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»[٦] ـ الحديث ـ، وإنما طلب النبي ﷺ منه بذلك الوصف الخاص اللازم للإيمان الكامل التام، والحارثة أجاب عن ذلك و أصاب.

---

(١) في د، ومج "فهي" في كلا الموضعين.

(٢) في د "يخصها".

(٣) في د "فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات" ساقطة. وفيه "طلقوا".

(٤) في د "أو".

(٥) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه (٤٥/ ٤٨٢ رقم: ٢٧٤٩٠).

(٦) سبق تخريجه في " فصل في أن من كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي إيمانًا شهوديًا".

وأما حق اليقين فهو الله تعالى وما سواه لا يكون حق اليقين إلا مجازا، وعند الصوفية مشهور أنهم يقولون: كل بالله، وكل من الله، وكل إلى الله، وكل لله.

باب في الوصية:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(المائدة: ٢)، وقال تعالى:﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(العصر: ٣)، وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(البلد: ١٧)، وقال رسول الله ﷺ:«الدين النصيحة»(١)ـ الحديث-.

اعلم أن قرب الوصال من الله تعالى إنما يرجى بالعلم الراجح، والعمل الصالح، وذلك في كتاب الله تعالى، فإن القرآن هو الإمام في الاعتقاد(٢) والإيمان والأعمال والأحوال والإيقان والتوحيد والمعرفة، وقد مر ذكر المعارف.

فأما الأعمال فإنما صحتها بالعلم الراجح، وأما الأحوال فإنما هي مواريث الأعمال، وأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صوابًا خالصًا، فالصواب: ما كان على وفق الشريعة المطهرة، والخالص ما أريد به وجه الله تعالى. قال الله تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(البينة: ٥).

وإنما يتقبل العمل إذا كان مقرونا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة: ٢٧)، وإنما النجاة في التقوى، قال تعالى:﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾(الزمر: ٦١)، والتقوى والإيمان على(٣) درجات بعضها فوق بعض، قال الله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة: ٩٣).

فالله تعالى أثبت الإيمان في هذه الآية على ثلاث(٤) درجات ثم جعل الدرجة الرابعة إحسانًا، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهذه الدرجة الأولى في الإيمان، حيث سمّاهم مؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهذه درجة ثانية في الإيمان، وهي أعلى من الأولى وضم إليه التقوى والأعمال الصالحات، وبعد ذلك قال: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ فهذه درجة ثالثة، ومعها التقوى أيضًا، وبعد ذلك قال:﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾.فالإيمان الأول بلا تقوى وهو مجرد كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله مع قبول الشرائع، والثاني: الإيمان مع العمل بالشرائع فهذا الإيمان يزيد على الأول إذ معه التقوى من المحرمات مع الأخذ بالرخص والتأويلات، والإيمان الثالث في الدرجة الثالثة ومعه التقوى أيضًا، وهو الاحتراز عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٤، رقم: ٥٥) وفي خد سقط الحديث والآيتان المذكورتان أيضًا.

(٢) في د "الاعتقاد" ساقطة.

(٣) في خد، وك "أعلى" بدل "على" وهو خطأ.

(٤) في خد، وك، ومج "ثلاثة".

الشبهات والأخذ بالعزائم والحذر عن الرخص والتأويلات، ثم الدرجة الرابعة عالم الإحسان فوق الإيمان بالغيب، وهذا عالم الإيقان بواسطة المشاهدات، وفي تلك الدرجة أثبت التقوى أيضًا، وهو التقوى عن كل شيء سوى الله.[1]

فصل في الوصال:

فهذا الكتاب طريق به يرجى الوصال إلى الله تعالى ومواصلته بتأثير أنواره في قلب العارف، والوصول نظر الله تعالى إلى قلب عبده بنور من أنواره، وذلك النور الذي ظهر إلى العبد لم يفارق الحق سبحانه، لأنه صفة من صفاته، وقد وجده العبد فينظره بقوة نور الحق، إذ ليس من طوق البشر الاتصافُ بصفات الله تعالى إذ لا يحمل[2] عطاياه إلا مطاياه.

اعلم أن معنى الوصال هو الرؤية والمشاهدة، بسر القلب في الدنيا، وبعين الرأس في الآخرة ـ إن شاءالله تعالى ـ. وليس معنى الوصال اتصال الذات بالذات ـ تعالى الله عن ذلك ـ، قال بعضهم: شعر

وإنّ طرفي موصول برؤيته　　　وإن تباعد عن مثواي مثواه

وإنما يراه في الآخرة بلا كيف، كما يعلمه ويعتقده ويوحده ويعرفه ويؤمن به في الدنيا بلا كيف، وإنما يصح رؤيته في الآخرة إذا صح إيمانه في الدنيا، وإن لم يصح إيمانه فلا يراه قط.

فصل في أركان الوصال:

ومن أركان الوصال بعد معرفة الأصول هو التقوى في جميع المقامات، قال الله تعالى:﴿وَتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى﴾ (البقرة: ١٩٧)، والتقوى لباس القلوب من نزغات الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)، وقال الله تعالى:﴿وَاَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوٰى وَكَانُوْا اَحَقَّ بِهَا وَاَهْلَهَا﴾(الفتح: ٢٦)، وهو قول: لا إلٰه إلا الله.

ومنها الصدق، وهو من ميراث[3] التقوى، قال الله تعالى: ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ﴾(البقرة: ١٧٧). والعلم الذي أنزله الله في الكتاب، إنما ذلك هداية للمتقين، قال الله تعالى:﴿ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾(البقرة: ٢)، وأمرالله تعالى بفهم العلم بالتقوى قال الله تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا﴾(البقرة: ١٩٤)، وقال الله تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ﴾(البقرة: ٢٨٢)، وأن الله قرن جميع الأعمال والأقوال بالتقوى، قال الله تعالى:﴿وَاَنْ اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّقُوْهُ﴾(الأنعام: ٧٢)[4]، وقال الله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ

---

(١) في خد، وك "سواه".

(٢) في مج، وك "لا تحمل".

(٣) في د "ثمرات".

(٤) في خد "وأن الله .... واتقوه" غير موجود.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ﴾(البقرة: ١٨٣)، وقال الله تعالى في الحج:﴿وَ تَزَوَّدُوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى﴾(البقرة: ١٩٧)، وقال الله تعالى:﴿لَنْ يَّنَالَ اللّٰهَ لُحُوْمُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلٰكِنْ يَّنَالُهُ التَّقْوٰى مِنْكُم﴾(الحج: ٣٧)[1]، وقال الله تعالى في الجهاد:﴿وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَّ اَنْتُمْ اَذِلَّةٌ ۚ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾(آل عمران: ١٢٣)، وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا اَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾(آل عمران: ١٧٢)، وقال الله تعالى:﴿وَ اَنْ تَعْفُوْٓا اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾(البقرة: ٢٣٧)[2]، قال الله تعالى: ﴿اِعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾(المائدة: ٨)[3]، وقال الله تعالى:﴿فَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا ۪ وَّ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْٓ اَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ﴾(المائدة: ٨٨)، وقال الله تعالى:﴿فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلٰلًا طَيِّبًا ۖ وَّ اتَّقُوا اللّٰهَ ﴾(الأنفال: ٦٩)، وقال الله تعالى:﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾(البقرة: ٢٧٨)، وقال الله تعالى:﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ﴾(الحجرات: ٣)، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَّتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا ۙ وَّ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق: ٣)، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَّتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَّهٗ مِنْ اَمْرِهٖ يُسْرًا﴾(الطلاق: ٤)، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَّتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّاٰتِهٖ وَ يُعْظِمْ لَهٗٓ اَجْرًا﴾(الطلاق: ٥)، وقال الله تعالى:﴿وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اسْمَعُوْا﴾(المائدة: ١٠٨)، وقال الله تعالى:﴿اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰكُمْ ﴾(الحجرات: ١٣)، وقال الله تعالى:﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰتِهٖ وَ لَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ﴾(آل عمران: ١٠٢)، وقال الله تعالى:﴿فَاتَّقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوْا وَ اَطِيْعُوْا﴾(التغابن: ١٦).

وإن الله تعالى خص بالولاية والمحبة المؤمنين المتقين، قال الله تعالى:﴿اللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾(آل عمران: ٦٨)، وقال الله تعالى:﴿اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾(البقرة: ٢٥٧)، وقال الله تعالى:﴿وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰبِرِيْنَ﴾(آل عمران: ١٤٦)[4]، ﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴾(التوبة: ٤)، وقال الله تعالى: ﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾(المائدة: ١٣)، وقال الله تعالى:﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[5]،(التوبة: ١٠٨) وقال الله تعالى: ﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال الله تعالى:﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنفال: ١٩)، ﴿اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ﴾(البقرة: ١٥٣)،﴿وَ اِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾(العنكبوت: ٦٩)، وقال الله تعالى:﴿اِنْ اَوْلِيَآؤُهٗٓ اِلَّا الْمُتَّقُوْنَ﴾(الأنفال: ٣٤)[6]،وهذا النظم يفيد الحصر أي لا يكون وليا إلا تقيا[7] فكل ذلك وغير ه مما في القرآن يدل[8] على أن معظم الأركان في الإسلام التقوى،

(١) هذه الآية ساقطة في خد.

(٢) هذه الآية ليست في خد.

(٣) هذه الآية ليست في خد.

(٤) في جميع النسخ "إن الله يحب الصابرين".

(٥) أو تكون الآية: ﴿اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِيْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) فإن في جميع النسخ "إن الله يحب المتطهرين" إلا وفي مج فالآية ساقطة.

(٦) هذه الآية ساقطة في خد.

(٧) في مج، ور "أولياء إلا الأتقياء".

(٨) في د "تدل".

انظر[1] إلى حال المستدرجين إبليس وبلعام و برصيصا مع كمال حالاتهم وكراماتهم لما أهملوا التقوى واتبعوا الهوى، كيف سقطوا عن درجاتهم. شعر

لوكان في العلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس[2]

فطوبى للعاقل[3] المتقي الذي يختار الباقي ويذر الفاني، ويجتنب صحبة من لم يصحبه التقوى قولًا وفعلًا و أكلًا ولباسًا.

والمتقي لما عرف أن مصاحبة القرين السوء نقص في الدنيا وفضيحة في الآخرة هرب فارا إلى الله، قال الله تعالى:﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾(الذاريات: ٥٠)، وقال الله تعالى:﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(الزخرف: ٦٧)، كيلا يقول يوم القيامة:﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾(الفرقان: ٢٨) [4]،﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾(الزخرف: ٣٨)، وسوء القرناءهم الذين، وقال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(آل عمران: ٣٢)، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(الشورى: ٤٠)[5]،﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(النحل: ٢٣)[6]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:٧٧)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(الأنفال: ٥٨)، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام: ١٤١)[7]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة: ١٩٠).

باب في شيء من واقعات أهل الخلوة:

قال الله تعالى:﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾(يوسف: ٤).

وقال النبي ﷺ:« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[8].

اعلم أن السالك إذا شرع في المجاهدة، ورياضة النفس، وتزكيتها وتصفية القلب ومراقبته، يحصل له العبور على عالم الملك والملكوت، ففي كل مقام يناسب حاله يُكشَف له الوقائع، وقد يكون كشف حاله في صورة منام[9] صالح، وقد يكون واقعة، فالذي يتفق له في أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله تعالى بحيث يغيب عنه المحسوسات، فيكاشفه ببعض أمور حقائق الغيب، وهو بين النوم واليقظة،

---

(١) في خد، وك "انظروا".

(٢) في خد، وك "التقوى" بدل "التقي" وفي ك "يشرف" بدل "أشرف".

(٣) في د "العالم".

(٤) في مج، ود "يٰوَيْلَتٰى" غير موجود، وفي ك، وخد "ياليتني" وهو خطأ.

(٥) في جميع النسخ "إن الله لا يحب الظالمين".

(٦) في جميع النسخ "إن الله لا يحب المتكبرين".

(٧) في جميع النسخ "إن الله لا يحب المسرفين".

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة (٩/ ٣١، رقم: ٦٩٨٩) ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا (٤/ ١٧٧٤، رقم: ٢٢٦٤).

(٩) في مج، ود "مقام".

فالصوفية تسمي مثل ذلك، الواقعة، وإذا اتفق هذا الحال في اليقظة والحضور فهو المكاشفة والمنام قد يكون صدقا وقد يكون كذبا.

وأما المكاشفة فلا يكون إلا صدقًا، لأنها من إراءة الحق سبحانه وتعالى في حال تجرد الروح عن غشاوة البدن، و في أكثر المقامات يشارك النفس مع الروح، والصدق صفة الروح، والكذب صفة النفس المحجوبة، فالصدق مِدْرَكُهُ الروح، والكذب مِدْرَكه النفس[١].

والرؤياء الصادقة جزء من النبوة، وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ:«أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»[٢]، وإذا رأى المريد في الواقعة أنه يحارب مع السباع والبهائم أو يقاتل مع الحَيَّات والعَقارب أو يجادل مع الكفار و الملاحدة[٣]، فالشيخ يعرف أنه في مجاهدة النفس، ويأمره بالصدق والثبات على المجاهدة كيلا يَغْفُل عن مكر النفس.

فصل في العناصر الأربعة وصفاتها اللازمة:

الأجزاء الأربعة من التراب والماء والهواء والنار، لكل واحد منها صفات تلزمه، فلازم الجزء الترابي الكثافةُ والكدورةُ والظلمةُ والجهالةُ والثقالةُ والقساوةُ، فإذا شرع الخلوتي في المجاهدة يتبدل ذلك باللطافة والصفاء، فعند العبور على الصفة الترابية[٤] يرى كأنه يقطع المفاوز والفلوات والأخربة.

وأما لازم الجزء المائي فرغبته[٥] الاختلاطُ والامتزاجُ مع النفوس وقبول التأثر والتلون منهم والنسيان، والميل إلى النوم، فعند عبوره على الجزء المائي يرى الأنهار والبحار والحياض والخضرة.

وأما لازم الجزء الهوائي فالميلُ إلى الشهوات وكثرةُ الملالة والضجرة وسرعةُ التغير من حال إلى حال فعند عبوره على الجزء الهوائي يرى كأنه يطير في الهواء ويعدو ويتصاعد.[٦]

وأما لازم الجزء الناري فالغضبُ والكِبْرُ والاستعلاءُ وطلبُ الجاه والرياسة والرفعة، فعند العبورعلى الجزء الناري يرى السراج والمشعلة والبروق[٧] والأشياء المحرقة.

---

(١) في ك "مُدْرَكُ" مكان "مِدْرَكه" في الموضعين.

(٢) سبق تخريجه في " فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان".

(٣)"أو" في الموضعين زيد من د بدل "و".

(٤) في د، ومج "التربي".

(٥) في ك، ومج "فرغبه".

(٦) هذه القطعة أعني من" وأما لازم الجزء الهوائي" .. إلى " ويعدو ويتصاعد" ساقطة في د.

(٧) في د "البرق".

وآخر العناصر الجزء الناري، ويمكن أن يقال هذا الحديث ،[1] قال النبي ﷺ:«آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الجاه والرياسة»[2]، إشارة إلى إخلاص الصديقين من لوازم الجزء الناري لاستعلائها على النفوس غالبًا.

فصل في مكاشفات السالك المجاهد:

إذا كوشف بحقيقة الروح يرى ذلك في صورة الشمس، وإذا كوشف بحقيقة القلب يرى ذلك في صورة القمر، وإذا تجلى له صفات القلب يرى ذلك في صورة الكواكب، وفي هذا القسم يمكن مداخلة الكذب، ولكن لا سبيل لمحض الكذب فيه، لأنه لا يخلومن إدراك الروح، فينبغي للمعبِّر والمؤوِّل أن يخلص حقائق المدركات الروحانية من شوائب الخواطر النفسانية، ثم يعبر ويؤوِّل، وأما الخيال المجرد فهو الخواص النفسانية[3] والقوة المتخيلة تكسو كل واحد صورة الخيال، وتعرضه على النفس فتشاهد صورة تلك الخواطر بعينها، مثل شخص مرتاض داعية قبول الخلق باعثة له على الرياضة فيرى في الواقعة أنه مسجود الخلائق، فيعرف المعبر أو الشيخ أن تلك نتيجة اشتياق النفس هواها، يصور لرأيها[4] لا جرم لا يعبره المعبر، ويعده من قبيل الخيال الباطل.

وإذا وقع هذا النوع في المنام يقال له أضغاث أحلام، وإذا كان في الواقعة يكون الواقعة كاذبة، ولا يكون في مثل هذا صدق.

فصل في عالم الغيب مما يمكن ظهوره في عالم الشهادة و مما لا يمكن ظهوره فيه:

أما الذي في عالم الغيب فإما ظهوره لا يمكن في عالم الشهادة مثل الجنة والناروالعرش والكرسي واللوح والقلم، وإما ظهوره يمكن في عالم الشهادة بصورة عارضة مثل الملائكة والأرواح المجردة، كظهور جبرئيل عليه السلام كلما جاء إلى النبي ﷺ تمثل حاضرًا[5] بصورة البشر، بصورة دحية الكلبي أو بصورة أعرابي، كما ر{ى من كان حاضرًا في ذلك المجلس في تلك الصورة، ما كانت نتيجة تصرف القوة المتخيلة وإلا لكان كل واحد يشاهد ذلك بحسب اختلاف أحوالهم بصفة أخرى، ولاشك أن تمثل الملائكة والأرواح المجردة بصورة البشر في عالم الشهادة إنما كان ذلك بصورةعارضة، فأما حضورهم

(١) في د، ومج زيادة "الذي".

(٢) لا أصل له من حديث الرسول ﷺ، مع أنه موجود في كتب الصوفية كالإحياء للغزالي من حيث أقوال المشايخ.

(٣) في د " ثم يعبر........ النفسانية" ساقطة.

(٤) في د، ومج "في هواها" بزيادة حرف الجار، وفي خد، وك "لذاتها" بدل "لرأيها".

(٥) في د "حاضر".

ومشاهدتهم بصور ذواتهم لا يكون إلا في عالم الغيب، وهذا التمثل من قوة تصرف الروحانيات في عالم الصور يتمثل ذلك بكل صورة[1] يريد من صور البشر.

ومن المكاشفات ما يكون إدراكه في عالم الشهادة، مثل المسجد الأقصى رآه النبي ﷺ من مكة، لما رجع من المعراج وأخبرهم، فأنكر كفار مكة ذلك، حتى سألوا[2] قالوا: إن كنت صادقا فقل عمد المسجد الأقصى كم هي؟ ففي الحال ارتفع الحجاب عن نظره، وعدّ عمده كلها،[3] وكذا سألوه عن القافلة بجانب الشام، فقال:«القافلة بينهم وبين مكة منزل واحد»[4]، فوصل القافلة ثاني اليوم على الصباح، ومثل ما قال أبو بكر رضي الله عنه: ألقي في روعي أن ذا بطن بنتِ خارجةٍ جاريةٌ[5]، فولدت جارية،[6] ومثل خبر سارية أمّره عمر رضي الله عنه على جيش، ووجهه إلى نهاوند، فلما لقي العدو بها، وافق اللقاء يوم الجمعة، عندما كان عمر رضي الله تعالى عنه يخطب[7] على المنبر، وقد كمن طائفة من العدو وراء الجبل فنادى: يا سارية الجبل، فسمع سارية النداء وأشرف وراء الجبل فاستأصل الكمين،[8] ومثل ذلك في واقعات المشايخ كثيرمشهور.

فصل في فائدة الواقعة للسالك:

فائدة الواقعة للسالك ليقف على صلاح النفس وفسادها وترقي حالها ونقصانها في السير والسلوك، وتكون[9] سبب السكينة، قال الله:﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الفتح: ٤)، وليفرق[10] بين

---

(١) في خد "يتمثل في كل صورة" وفي ك "يتمثل بكل صورة" بدون "ذلك".

(٢) في د، ومج "حتى سألوا" ساقطة.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء (٥/ ٥٢، رقم: ٣٨٨٦) بلفظ: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، ومسلم في الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال (١٥٦/١، رقم: ١٧٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٤/٧، رقم: ٧١٤٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (٢٤٣/١)، والبيهقى في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٧) وقال: هذا إسناد صحيح. ورواه الأصبهاني في دلائل النبوة (ص: ١٤٤).

(٥) في خد، وك "ذات بطن بنت خارجة" وبدون "جارية".

(٦) رواه مالك فى الموطأ، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النحل (٢/ ٧٥٢).

(٧) في مج، وك "خطب" وفي خد "خطاب".

(٨) في خد "أهل الكمين" والواقعة رواها أبو بكر بن خلاد في الفوائد (ص:٥٦)، وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في التصوف (ص:٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٧٠/٦)، ابن عساكر في تأريخ دمشق (٢٥/٢٠)، والضياء في المنتقى من مسموعاته بمرو (٨٨-٨٩)، وذكره ابن كثير في البداية (٧ / ١٣١)، وابن الأثير في أسد الغابة (٤٠٨/١).

(٩) في د، وخد، ومج "يكون".

(١٠) في خد "الفرق".

الحق والباطل وبين الوقائع النفسانية والشيطانية والحيوانية والسبعية والملكية والقلبية والروحية والرحمانية، حتى إذا غلب على النفس الصفات الذميمة، مثل الحرص والبخل والحسد والحقد والكبر والغضب والعجب[1] والشهوة وغيرها، فالخيال يصور كل واحد من هذه الصفات في صورةحيوان تكون تلك الصفة غالبة على ذلك الحيوان، فصفة الحرص ترى في صورة الفار والنمل[2]، وصفة الشر في صورة الخنزير، وصفة العجب في صورة الذب، وصفة البخل في صورة الكلب والقرد، وصفة الحقد في صورة الحية، وصفة الكبر في صورة النمر، وصفة الغضب في صورة الفهد، والصفة السبعية في صورة الأسد وغيره من السباع، والصفة الشهوية في صورة الحمار، والصفة البهيمية في صورة الغنم، والصفة الشيطانية في صورة الشياطين والمردة والغيلان، وصفة المكر والحيلة في صورة الثعلب والأرنب، فإن كان يرى هذه الصفات مستولية عليه، فيجتهد في تطهيره عنها، وإن كانت مسخرة له علم أن ذلك عبوره عن هذه الصفات، وإن يرى أنه يقتل ويقهر هذه الحيوانات علم أنه يستخلص منها، وإن كان في المنازعة والمكابرة معها، فلا يغفل ولا يأمن حتى تنتفي هذه الصور بالكلية.

فصل في أن الوقائع الغيبية غذاء أطفال الطريقة:

غذاء أطفال الطريقة في بعض المقامات[3] في السلوك، الوقائع الغيبية، فإنها أمور واردات يربى[4] بها أطفال الطريقة، وبعض المقامات لايمكن العبور عنها[5] إلا بتصرف الوقائع الغيبية، وهذا هو الركن الأعظم في احتياج المريد إلى الشيخ، وذلك لأن السالك إذا كان سلوكه في وجوده أو في صفات نفسه يمكن له العبور، إذ له أمارات، بها يستدل على الطريق، ولكن إذا بلغ إلى مقام الروحانيات[6] فلايمكنه العبور عنها إلا بتصرف الغير، فالواقعة في هذا المقام إذا كانت من فيض ولاية الشيخ أو من حضرة الرسالة أو من تجلي الصفات الإلهية يعطي السالك الفناء، وما لم يحصل الفناء وفناء الفناء لم يصل إلى البقاء، وبقاء البقاء، والتمكن في البقاء الذي هو المراد من السلوك.

ثم اعلم أن الواقعة القلبية والملكية والروحانية والرحمانية لها مذاق يستلذ منها النفس وتجد منها شربا

(١) في خد، وك "الشره".
(٢)في خد، وك "النملة".
(٣) في خد، وك "في بعض المقامات" ساقطة.
(٤) في خد، ومج "تربى".
(٥) في د، ومج "منها".
(٦) في مج "إلى مقام إذا كانت من فيض الروحانيات".

وقوة وذوقا وشوقا وتفارق[1] مالوفات الطبع ومستلذاته، وتألف إلى عالم الغيب والروحانيات واللطائف والأسرار والحقائق، وتوجَّه بالكلية إلى عالم الطلب ويصيرمشربه عالم الغيب، قال الله تعالى[2]: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾(البقرة: ٦٠).

فصل في ذم الجهلة وأنهم مسخرة للشياطين:

قال بعض الكبار: إن الشيطان إذا وجد جاهلًا ليس له علوم الدين وقد كوشف بشيء من الغيب يضحك عليه ويستهزي به ويستخفه بحركات عجيبة، كأن يبول عليه ويريه قارورة فيها ماء الورد يرش عليه، وأن اللعين يجعل ذلك الضعيف وسيلة إلى إغواء خلق كثير، ويُجعِله آلة يضل به جمًا غفيرًا؛ ولهذا قال النبي ﷺ:«وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»[3] وهذا معقول، فإن الفقيه وإن كان سفيها كسلان في الطاعة، فإنه يهدي أمة عظيمة بفقهه، وهذا الجاهل يغوي بعبادته ومكاشفته مع جهله خلقا كثيرا، وأدنى[4] معاملات الشيطان مع هذا الجاهل أن يغويه أوّلا ويريه أن من تجلى له الحق سبحانه في الصور فلما[5] يرى، فيصير مجسمًا فيهلك.

فالجاهل إذا رأى في واقعته تجلى الله تعالى في صورة، اعتقد أن الله تعالى ذاته صورة فيصير مجسمًا، مشبّهًا، ثم الشيطان يمنعه من صحبة العلماء والمشايخ الكبار[6] الذين ينبهونه على الحق والباطل، بأن يُسَوِّل له فيقول له: مَن مثلك في العالم حتى ترجع إليه وتقتدي به؟وهل كان للأنبياء والأولياء[7] مثل ما لك من الصفاء والجلاء؟ يتجلى لك الرب تعالى من غيرسؤالك وما تجلى لموسى عليه السلام، حيث قال:﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾(الأعراف: ١٤٣)، ويقول له أيضًا: كيف ترجع إلى عالم أو شيخ عارف، أعرف[8] من الله العظيم الذي ينعم عليك ويربيك بفضله وجوده، أتظن أن الشيخ العارف أعرف بمصالحك وأقوى على تربيتك، وأقدرعلى عصمتك من شر الشيطان، وأبصر بما يغنيك من الله تعالى العزيزالحكيم البصيرالعليم القوي المتين الهادي للخلق إلى الحق، ثم إذا قيل ذلك منه قام الشيطان له

---

(١) في مج "يفارق" و "شوقا" ساقطة.

(٢) "قال الله تعالى" زيد من المحققين.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٣٤٥/٤رقم: ٢٦٨١) وابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١ ،رقم:٢٢٢) وفي نسخة د "فقيه".

(٤) في د، ومج "أوفى".

(٥) في د، ومج "فكما".

(٦) في مج "المباركة".

(٧) "والأولياء" زيد من ك، وخد.

(٨) في د "ولا أعرف" وهومن خطأ الناسخ.

شيخًا معلمًا، وصارحجابًا بينه وبين الله تعالى، ووضع عرشه بين السماء والأرض، وتجلى له متى شاء واحتجب متى شاء، أراد حتى يغرقه في الضلالة، ثم يزينه عندالناس، ويدعوهم إلى الاقتداء به، فيهلك به[1] خلق عظيم، وهذا أمر مجرب جربه المشايخ ـ رحمهم الله ـ، ثم قالوا: من لا شيخ له فالشيطان شيخه، قال الله تعالى:﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل: ٤٣)، وقال النبي ﷺ:«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2].

وقد حذر الله عباده عن موالاة الشيطان في كثيرمن الآيات، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا﴾(فاطر: ٦)، وقال الله تعالى:﴿يٰبَنِيْٓ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰنُ كَمَآ اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ﴾(الأعراف: ٢٧) إلى قوله:﴿اِنَّهٗ يَرٰىكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهٗ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾(الأعراف: ٢٧) والعجب أنه ما نجا من إلقاء الشيطان أنبياء الله تعالى، ﴿وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ وَّلَا نَبِيٍّ اِلَّآ اِذَا تَمَنّٰٓى اَلْقَى الشَّيْطٰنُ فِيْٓ اُمْنِيَّتِهٖ﴾ ـ الآية ـ (الحج: ٥٢) وليس بخفى من حكاية آدم صفي الله ـ عليه السلام ـ، وماعمل به إبليس[3] اللعين فكيف يأمن الغمر الغبي من آحاد الجهال أن يسخره الشيطان.

فصل في ما يلقي الشيطان الجهال منها الإباحة:

أكثر ما يلقي الشيطان الجهال في الإباحة والتجسيم والحلول، أما الإباحة فإنه يسوِّل لهم أن المقصود هو الوصول إلى مشاهدة الحقيقة، وقد وصلت، فيرتفع التكاليف كما ترتفع بالموت، وربما يلقي إليهم: أنه غني عن طاعتك وإنما كلفك بهذه التكاليف لتطهيرالنفس وحصول الصفاء، وقد حصل حتى ترى بصفاء قلبك الروحانيات[4]، وربما يلقيه في معصية ويريه حالة عصيانه أنوارًا كاذبة[5] وصورًا مزخرفة، ثم يقول له أو يلقي في قلبه: إنه الآن زال عنه التكاليف حتى لا يضره المعاصي، وكل ذلك تخيلات باطلة من الشيطان.

وللنجاة من ذلك أسباب كثيرة عند العلماء، وذلك نحو أن يعلم أن هذه الطائفة اتباع للأنبياء عليهم السلام وأن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كانوا إلى الله تعالى أقرب منهم وأقوى في مشاهدة الحقائق، والأمورالباطنة، ومع هذا ما أخلّو بشيء من الطاعات، ولا تجاسروا على اقتراف من المعاصي، وكذلك يعلم أن ليس في القرآن ولا في أخبار النبي ﷺ[6] حرف بإباحة المحظورات لأحد من الناس في

(١) "به" ساقطة في خد، ومج، وك.

(٢) سبق تخريجه في " باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٣) في د، ومج "إبليس" ساقطة.

(٤) في خد، وك "الروحانية".

(٥) في ك "نورا كاذبا".

(٦) في خد، وك " ولا في الأخبار من النبي ﷺ".

حال من الأحوال، بل القرآن والأخبار وإجماع العلماء ظاهرة غالبة على التشديد، والزجر بالحدود والسياسات على من أهان بشيء من التكاليف وتعظيم الأوامر والنواهي الشرعية، وأمثال ذلك البراهين على بطلان الإباحة كثير عند المشايخ العارفة والعلماء الراسخة.

فصل فيما يلقي الشيطان على السالك شبهة التجسيم:

وأما التجسيم فإنما يريه الشيطان من قبل أنه يريه أن الذي يرى من الصوروالأشكال، فذلك عينها ذات الله تعالى، وربما يريه الشيطان نفسه على عرشه بين السماء والأرض، كماورد في الحديث، فيعتقد ربا و يسجد له، وقد وقع تلك الحادثة لواحد وهو المؤمّل ـ والله أعلم ـ أنه رأى في برية طريق المصر، الشيطانَ على عرش بين السماء والأرض، فسجد له فظن أنه الرب تعالى، ثم حكى ذلك[1] في بغداد لجماعة من المشايخ، فقالوا: أما ذلك فهو الشيطان، بدليل قول النبي ﷺ:«إن للشيطان عرشًا بين السماء والأرض، وهو يجلس عليه»[2]ـ الحديث ـ كما ورد، فقام الرجل وأعاد صلوته وجدد إيمانه ثم عاد إلى المكان الذي رآه ولعنه وأنكرعليه، وقال: إنما أنت الشيطان اللعين كفرت بك وآمنت بالله وحده.

وأما النجاة من ذلك فلها وجوه كثيرة عند العلماء الراسخين، وأيضًا من إجماع الأنبياء والأمم الماضية[3] المؤمنة بالأنبياء والمشايخ العارفة بالله تعالى على أن الله تعالى منزه ذاته وصفاته عن أن يكون جسمًا أو يشبه بشيء[4] من الأجسام، وأن الأجسام كلها مخلوقة ومحدثة، والله تعالى خالقها قديم أزلي أبدي، وكان أزلًا ويكون أبدًا.

فصل في الحلول وكيف تقع شبهة الحلول على السالك:

وأما الحلول فاعلم أن الحلول إنما حدث في الإسلام من واقعات الجهلة المتصوفة، ألقى الشيطان[5] في قلوبهم الأغلاط فغلطوا بها، وذلك نحو أن يريهم أنهم إنما يرون ما يرون من الروحانيات من بواطنهم، فإذا هو في الباطن ضرورة أن[6] ليس في الخارج، والذي في الباطن نفسه فيكون نفسه ربا إذًا،

---

(١) في د "بعد ذلك".

(٢) لم أجده ولكن وروي عن عرش إبليس هو على الماء أو البحر كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان (٤/ ٢١٦٧، رقم: ٢٨١٣) بلفظ: إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة، وأحمد في مسنده (٢٣/ ١١٩، رقم: ١٤٨١٤).

(٣) في د، ومج، وك "العاقلة".

(٤) في د "شيءٌ".

(٥) في د " في الإسلام من واقعات الجهلة المتصوفة، ألقى الشيطان" ساقطة.

(٦) في ك، وخد "إذ" بدل "أن".

وأيضًا يلقي الشيطان[1] إلى طائفة من أصحاب الأحوال منهم، فإن الحال ربما ينزل[2] فيهم ويغلبهم، ثم إنهم بقوة ذلك الحال يعملون أعمالا خارقة للعادة[3]، وهي الكرامات العيانية فيخيل الشيطان إليهم أن ذلك الحال الذي نزل فيهم هو الله تعالى، حيث يعمل[4] خوارق العادات. والنجاة من ذلك أن يعلم أن ذلك تأثير الحال، والحال نظر الله تعالى إليه بما شاء من صفاته عز وجل، فنظر الناظر كنظر الواحد منا إلى الكواكب في السماء.[5]

ومنها أن يكون السالك بَعُد في عالم النفس والهوى فيرى في المنام أو الحال أنه الرب تعالى فيكون الرؤيا صحيحًا محتاجًا إلى التعبير، وتعبيره أن ذلك الشخص بعدُ، عبدُ نفسه يحبه ويعمل له ماتحب، فيكون بعدُ ممن اتخذ إلهه هواه، فيرى السالك في الواقعة[6] أنه الرب المعبود له، فيجب عليه أن يجتنب من طاعة النفس والهوى ومن القيام بما يشتهي ويهوى، ويكسرها بالمجاهدة والرياضة، فلا يظن ظان ذلك المحال فما يرى في المنام أو في الحال فإنه كمثل ما يرى سائرالعامة في منامهم، حيث يرى أنه آدم أو نوح أو موسى أو عيسى أو جبرائيل أو ميكائيل من ملائكة الله تعالى، وأنه طير أو سبع وما أشبه ذلك. ويكون لذلك الرؤيا تعبير صحيح وإن لم يكن كما يرى.

ومنها أن يكون الصوفي قد جاوز عالم النفس والهوى إلى عالم الحقيقة، ووصل إلى عالم الفناء وتفسير الفناء عندهم أن لا يرى شيئًا إلا الله، ولا يعلم إلا الله ويكون ناسيًا لنفسه، ولكل الأشياء سوى الله تعالى، فعند ذلك يتراءى له[7] أنه الرب، إذ لا يرى ولا يعلم شيئًا إلا هو، فيعتقد أنه لا شيء إلا هو فيظن أنه هو، فيقول: أنا الحق، ويقول: ليس في الدار إلا الله، وليس في الوجود سوى الله، ويعتقد من يسمع ذلك منه الحلول.

والنجاة من ذلك أن يعلم[8] ويعتقد أن ذلك الحسبان إنما جاء لأنه نسي كل شيء من الدنيا والآخرة، ونسي نفسه وصفاته، وبقي عالما بالله تعالى ومشاهدا له[9] بباطنه، وفي الحقيقة كل شيء موجود باق

---

(١) في ك، وخد "الشيطان" ساقطة.

(٢) في ك، وخد "يتنزل".

(٣) في ك، وخد "خارقة العادة".

(٤) في ك، وخد "تعمل".

(٥) في ك، وخد "الله من ذلك علوا كبيرا".

(٦) في ك، وخد "في الواقعات" مكان "في الواقعة"، وكلمة "السالك" ساقطة.

(٧) في د "الصوفي" زايدة.

(٨) في ك، وخد "له" ساقطة.

(٩) في د "مشاهد الله تعالى".

كما كان، وكينونة الصوفي في مقام الفناء حسن، وأنه مقام رفيع لكن فيه خطر الغلط من هذا الوجه.

ومنها أن يبلغ الصوفي إلى مقام، كل شيء نظر فيه، رآى الله تعالى. وهذه مشاهدة معرفة، ومن هنا قال بعضهم: ما رأيتُ شيئًا إلا ورأيتُ اللهَ فيه، وروي: إلا ورأيتُ اللهَ قبله، وقال منشدًا: شعر

وَأَيُّ البرِّ تخلو منك حتى	تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهرًا	وهم لا يبصرون من السماء

والنجاة من ذلك أن يعلم أنه إنما رأى حجاب العظمة والكبرياء بكل مكان، ويعلم أنه تعالى بكل شيء محيط وإلى كل شيء قريب، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(سبأ: ٣) مع أنه تعالى بائن عن خلقه[١]، والخلق بائنون منه، فيستحيل حلوله في شيء أو حلول شيء فيه، ولا يجاوزه شيء ولا يجاوز هو شيئا قط ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾(الحديد: ٤)، و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾(البقرة: ١١٥) يحفظ ولا ينسى، فإن هذه الدرجة فيها آفة غلط الحلولز والأصل في النجاة من ذلك قد مر ذكره من قبل، ومن اتفاق الأنبياء والأولياء والعلماء على خلاف الحلول، وكذلك المشايخ العارفون بالله تعالى وصفاته عز وجل يعلمون مشاهدة أنه تعالى بائن عن خلقه، غير داخل في الخلق، ومن الفصل، قال بعض الكبار: "الشيطان إذا وجد جاهلًا" إلى هنا كلام الشيخ الديلمي رحمه الله.

فصل في شرف هذه الأمة المرحومة:

قال الله تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾- الآية- (آل عمران: ١١٠)، وقال الله تعالى:﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ أُمَّةً وَّسَطًا﴾(البقرة: ١٤٣) أي عدلًا.

اعلم أن هذه الأمة - زادها الله تعالى شرفًا- لا يزال الولاية ثابتة فيها إلى يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم»[٢]، وجملة العلماء على أنهم حملة العلم، وقد دعا لهم النبي ﷺ فقال: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[٣]، وجعلهم عدولا، فأمرهم بالتبليغ عنه فقال ﷺ:«ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[٤]، وخيرها ما قال النبي ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم»[٥].

---

(١) في ك، وخد "عن الخلق".

(٢) سبق تخريجه في " فصل في علوم الشريعة".

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٤، رقم: ٢٦٥٨) بلفظ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها» والحديث مشهور عند المحدثين.

(٤)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب (١/ ٣٣، رقم:١٠٥).

(٥) سبق تخريجه في "فصل في الاعتقاد الصحيح".

وحكي أن إبراهيم عليه السلام وجد في الصحف فضيلة هذه الأمة، فقال: يا رب اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل فإنهم من أمة محمد ﷺ، فقال: يا رب اعطني لسان صدق منهم، فوضعه الله تعالى في الصلاة في التحيات. وهكذا رأى موسى عليه السلام وصف هذه الأمة ومدائحهم في التوراة فقال: اللهم اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل فإنهم من أمة محمد ﷺ، فقال: إن لم تجعلهم من أمتي اجعلني منهم، فقال: يبعد ظهورهم ولا تلحقهم ولا تصل إليهم. وهكذا رأى عيسى عليه السلام فضائلهم في الإنجيل، فقال: اللهم اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل وهم أمة أحمد ﷺ، فقال عيسى عليه السلام: إن لم تجعلهم من أمتي اجعلني منهم، فرفعه الله إلى السماء ليرده إلى الأرض في آخر الزمان ليكون من هذه الأمة.

فصل في تعريف الصحابي، والتابعي، والولي:

أما الصحابي ففيه مذهبان، أحدهما: أنه كل مسلم رأى النبي ﷺ وإن لم يجالسه ولم يخالطه. والثاني: أنه يشترط مجالسته، فهذا مقتضى العرف.

وأما التابعي ففيه أيضًا مذهبان، أحدهما: أنه من[1] رأى الصحابي، والثاني: أنه الذي جالس الصحابي.

وأما الولي، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(البقرة: ٢٥٧)، قال بعض الكبار: الولاية ولايتان، ولاية تخرج من العداوة، وهي لعامة المؤمنين فيقال: المؤمن ولي الله، يريد بالولاية التي تخرج من العداوة، وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(البقرة: ٢٥٧)[2]، والعداوة وهي عداوة الكفر، والمؤمنون[3] هم الذين عبادتهم متواترة وطاعتهم متوالية من غير فتور ولا قصور.

وأما تعريف الولي الخاص، فقد سئل النبي ﷺ: من أولياء الله تعالى؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء[4]. وفي الخبر الإلهي قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم[5]. وقال في حقائق السلمي: قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة، و هذه الولاية ولاية اختصاص واصطفاء[6].

---

(١) في ك، وخد "الذي".

(٢) هذه الآية غير موجود في خد، وك.

(٣) في د، ومج "المؤمنون" غير موجود.

(٤) (٦/١).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، عن عمرو بن الجموح (٢٤/ ٣١٦، رقم: ١٥٥٤٩) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله، وأبغض لله، فقد استحق الولاء من الله، وإن أوليائي من عبادي، وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري، وأذكر بذكرهم"، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٠٤/١، رقم: ٦٥١)، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل/١٠٣ (٤١/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/١).

(٦) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحت الزمر:١٨ (٢/ ١٩٥).

فصل في القطب:

قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه»[1]، قال بعضهم: هذا الحديث يؤذن بوجود أولياء الله الخواص[2]، وإن بساط النبوة وإن طُوِي، لكن لم يطو بساط الولاية.

اعلم أن القطب وهوالغوث، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو[3] على قلب سيدنا محمد ﷺ، ثم اعلم أن من زعم أن القطب يساوي النبي في الدرجة عند الله فقد أخطأ خطأ عظيمًا، وألحد بجهله وحماقته، ولا يعلم أن[4] النبي فوق مقام القطب، فالنبي نبي في مقام النبوة، والقطب قطب في مقام القطبية.

والقطب إن كان قطبا ليس بنبي، وإن النبي صاحب الشريعة، والقطب ليس بصاحب الشريعة، والأقطاب والأوتاد والأبدال كلهم أتباع النبي في أوامره ونواهيه، وإن جمهور الأقطاب والأوتاد والأبدال[5] مع سائر المؤمنين الذين هم أمة نبي واحد، لو جمع الكل بفضائلهم ودرجاتهم ثم أغرقوا في بحر نبوة نبيهم ضاعوا فيها وتلاشوا، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بترهات الجهال، فينسلخ من دينه فيهلك، والله ولي العصمة.

والدليل على ذلك أيضًا أن النبي إنما سُمِّي نبيًا، لارتفاع قدره على غير النبي، والأنبياء هم الأشراف الكبراء، المشرَّفون بأقدارهم ومقاديرهم على سائر من سواهم من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتٰبِ اِدْرِيْسَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيْقًا نَّبِيًّا، وَّ رَفَعْنٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(مريم: ٥٦)، يعني رفعناه إلى أعلى عليين في حياته، وقال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿اِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ وَ رَافِعُكَ اِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ﴾(آل عمران: ٥٥) من الذنوب، ثم رافعك إلى عالمي، وقال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيْشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ﴾(الزخرف: ٣٢) يعني رفعنا الأنبياء على الأولياء، والأولياء على عامة المؤمنين، والمؤمنين على الكافرين، وقال الله تعالى: ﴿اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنّٰتٍ وَّ نَهَرٍ، فِيْ مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[6] وهذا نص ظاهر في هذا المعنى، وقال الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهٖ مَاۤ اَوْحٰى﴾(النجم: ١٠)، أي ألقى إليه الأسرار بلا واسطة، ولا يعلم بها أحد غيره ولا غير الإله، وقال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى﴾(النجم: ١١) أي ما كذب القلب ولا ارتاب فيما رأى العين

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين (٤/ ٢٠٢، ٢٦٢٢).

(٢) في ك، وخد "بوجود الأولياء الخاص".

(٣) في ك، وخد "خلق" زيادة.

(٤) في د "ولا يعلم أن" غير موجود.

(٥) في ك، وخد "الأبدال" غير موجود.

(٦) القمر: ٥٤، ٥٥ و في خد " وهذا نص ظاهر في هذا المعنى" ساقطة.

بالعين عيانًا، وشاهد بالبصر ربه كفاحًا، وقال الله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾(النجم: ١٢) يعني أفتشكون على ما رأى محمد ﷺ من ذات ربه وصفاته تعالى، فلا تشكوا في هذه رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل بعين الرأس معاينة وكفاحًا، وقد رآه تعالى مرة أخرى[١]، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣)أي معراجًا ثانيًا، رآه ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾(النجم: ١٤) أي كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند سدرة المنتهى[٢]، حين رآه رؤية أخرى، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾(النجم: ٨)، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو محمد ﷺ دنا -أي- قرب، فتدلَّى -أي- زاد في القرب[٣].

وقال بعض الكبار: دنا؛ قرب فتدلى، أي تكشف الحجاب حتى وصل إلى غيره من الحجاب، فما زالت الحجب تتدلى عن محمد ﷺ، حتى وصل إلى ما أشار إليه من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) أي كان يدنوه قريبًا، كقرب قاب قوسين يعني مقدار قوسين، وقاب قوسين موضع الإشكال، أشكل ليتبين العارف ويهلك الجاهل. والتدلي: التكشف. ثم رفع ما بقي من الحجب[٤] فصار دنا وقرب وهو القرب الذي يظنه بعض الناس حلولًا وليس ذلك إلا رفع الحجاب عن سيدنا محمد ﷺ.

فصل في سير ذات النفس:

إنما يكون ذلك بعد ما صارت النفس مطمئنة نورانية مثل الشمع فالآن لها سير بشعاعها[٥] في عالم الروحانيات، وإنما ثمرة سير النفس أن تكبر وتعظم وإنما تكبر النفس وتعظم بمقدار سيرها، وسيرها موقوف على المراقبة والحضور والتواضع والتذلل بين يدي الله، والعبودية، والانطواع والتسليم، والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال النبي ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»[٦]، وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: أ تدري لِمَ كلّمتك بين الخلائق، قال: يا رب لا، قال: رأيتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعا فأردت أن أرفعك بين الناس.

(١) في ك، وخد "وقد رآه تعالى مرة أخرى" ساقطة.

(٢) في خد "أي كان محمد ـ ﷺ ـ عند سدرة المنتهى" ساقطة.

(٣) "أي" زيد من المحققين في الموضعين.

(٤) في ك، وخد "الحجاب".

(٥) في د " سير " ساقطة.

(٦) والحديث سقط في خد، وك وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢١٩، رقم: ٣٣٥) و البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٥٥، رقم: ٧٧٩٠) بلفظه وأخرجه أيضًا ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع (٥/ ٢٧٤، رقم: ٤١٧٦) بلفظ: «من يتواضع لله درجة يرفعه الله به درجة» ، ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (٤/ ٢٠٠١، رقم: ٢٥٨٨) بلفظ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

وعن أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تستحقرن أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير»[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من بني آدم إلا في رأسه سلسلتان: سلسلة في السماء السابعة، وسلسلة في الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة إلى السماء السابعة، وإذا تكبر وضعه الله تعالى بالسلسلة إلى الارض السابعة»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: من لان في حقي وتواضع لي ولم يتكبر في أرضي رفعته حتى أجعله في عليين»[3].

وأمثال ذلك كثيرة كلها تدل على أن نفوس الإنسان لها اختيار في السير، وفي تزكية النفوس قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰهَا﴾(الشمس: ٩) أي زكاها بسيف مخالفة[4] هواها، وأن نفس الإنسان بالسير يصير نورانيًا؛ ولذلك قال الله تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُوْرٌ وَّ كِتٰبٌ مُّبِيْنٌ﴾(المائدة: ١٥)، وأراد بالنور: النبيَّ ﷺ، وبالكتاب القرآنَ، وقال الله تعالى: ﴿اِنَّآ اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا وَّ مُبَشِّرًا وَّ نَذِيْرًا، وَّ دَاعِيًا اِلَى اللهِ بِاِذْنِهٖ وَ سِرَاجًا مُّنِيْرًا﴾(الأحزاب: ٤٦)، والمنير هو المنوِّر، فلو استحال أن يكون الإنسان منوِّرًا لغيره لاستحال في النبي ﷺ أيضًا، لأنه خلق من التراب كسائر أولاد آدم عليه السلام.

وقد وصل إلينا متواترًا أنه لم يكن للنبي ﷺ ظل على الأرض، وإنما لم يكن لأن نور ذاته عليه السلام كان يمنع وقوع ظله على الأرض[5]، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُوْرٌ﴾(المائدة: ١٥)، نص على أنه عليه السلام نور. وقال الله تعالى في حق المؤمنين: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَ الْمُؤْمِنٰتِ يَسْعٰى نُوْرُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَ بِاَيْمَانِهِم﴾(الحديد: ١٢) إلى قوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿انْظُرُوْنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُّوْرِكُمْ﴾(الحديد: ١٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ نُوْرُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَ بِاَيْمَانِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ اَتْمِمْ لَنَا نُوْرَنَا﴾(التحريم: ٨). فالله تعالى أخبر أن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يعني نور ذاتهم نوّر العالم بين أيديهم وبأيمانهم[6] وقال النبي ﷺ:«إن الله تعالى خلقني من نوره، وخلق المؤمنين من نوري»[7]، وقال ﷺ في دعائه:«اللهم اجعل في سمعي نورا،

---

(١) أخرجه الديلمى في الفردوس (٣٠٢/٥ ، رقم: ٨٢٥٦).

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٥٧/١٠ ، رقم: ٧٧٩٢) وابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ) في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (ص: ٧٩، رقم: ٢٣٤)، و الخرائطي في مساوئ الأخلاق، باب ما جاء في ذم العجب (ص: ٢٥٩، رقم: ٥٥٧)

(٣) أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة كما في الإتحافات السنية (ص:٦٨) وابن أبى حاتم فى العلل (١٤٢/٢، رقم: ١٩٢١).

(٤) في ك "مخالفتها".

(٥) في د "وإنما ...... على الأرض" ساقطة.

(٦) "يعني نور ذاتهم نوّر العالم بين أيديهم وبأيمانهم" جاءت في وسط "يقولون" و "ربنا" من الآية في د.

(٧) لم أجده بلفظه ولكن حديث أول ما خلق الله النور المحمدي أورده العجلوني في كشف الخفاء (٣٠٢/١،رقم:٨٢٧)، والزرقاني في=

وفي بصري نورًا، وفي قلبي نورًا، واجعلني نورًا»[1]، فلوكان محالا أن يصير نفس الإنسان نورًا مضيئًا، لما قال ﷺ: «اللهم اجعلني نورًا».

وقيل: إنما سُمِّي أبوالحسين[2] النوري نورا، لأنه رأى ذلك منه كثيرًا، وكثيرمن الخواص و العوام[3] يرون ارتفاع الأنوار من مقابر الصلحاء والشهداء، وذلك نور نفس الإنسان لما علا وغلب، سرى[4] إلى البدن، وصار طبعًا ومزاجًا للبدن، فإذا خرج النفس من البدن بقي البدن منبع الأنوار ومنفذها، كما كان حالة الحياة.

فصل في فائدة حفظ عبودية النفس:

على العبد حفظ عبودية نفسه ومراقبته إياها وأن لاينساها لحظة، فإن ارتكاب ذلك كسب العبد أي حفظ العبودية [5] وفضل الله تعالى، وجُوده، والتوفيق للسير والهداية إليه موقوف على انقياد العبد وارتكابه للعبودية طوعًا ورغبةً، فكثير من الناس تجادلوا وتكاسبوا فرفعهم الله إلى أعلى عليين، وألحقهم بالملائكة والنبيين عليهم السلام، وكثير من الناس[6] تكاسلوا في ذلك، فأنزلهم كسلهم ذلك في الدرك الأسفل من النار. وارتكاب العبودية والانقياد لها والفرح والسرور بها، شرط أعلى وأهم في تنوير النفس.

فصل في التمرغ:

والتمرغ -المذكور في الحديث- هو تمرغ النفس والروح في عالم الأرواح في التراب الروحاني، وهذا التمرغ كسب العبد، وهذه الحرفة إنما يعلمها من كان في عالم الأرواح، ومن أراد أن يتعلم ذلك فإنما يتعلم ممن كان منهم ماهرًا في التمرغ في ذلك التراب، وموسى عليه السلام كان يتمرغ كل يوم مرة، ولما ارتفع في المعاريج كان يتمرغ كل يوم ألف مرة، فكلما كان ذات الإنسان وصفاته أعلى وأعظم وأصفى كان هو أعبد، وأحمد، وأحسن أدبًا، وأخلص عبودية.

=المواهب اللدنية (٨٩/١) وعزوه إلى مصنف عبد الرزاق والمصنف المتداول بين أيدي الناس بعض جزئه من الأول مفقود والآن قد طبع ذلك الجزء المفقود بتحقيق عيسى الحميري وفيه هذا الحديث النوري ولكن معظم العلماء الغالين أنكروا عليه مع أنه مشهور ومقبول عند سادات الصوفية.

(١) أخرجه البخاري صحيحه ، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل (٨/ ٦٩، رقم: ٦٣١٦) ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٢٨، رقم:٧٦٣) ولفظهما بفرق يسير: «اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، واجعل لي نورا»، أو قال: «واجعلني نورا».

(٢) في جميع النسخ "أبو الحسن" والصحيح ما أثبتناه والله أعلم.

(٣) في ك، وخد "الخاص والعام".

(٤) في ك، وخد "يسرى".

(٥) في غير د "أي حفظ العبودية" ساقطة.

(٦) في مج، ود "منهم".

فقال الشيخ أبو سعيد أبو الخير رحمه الله تعالى: العلم النافع ما أورث صاحبه تواضعًا بعد التكبر، وعزلة بعد الخلطة، وزهدًا بعد الرغبة، فأما إذا أثمر لصاحبه تكبرًا بعد التواضع، وذكرًا بعد الخمول، وشهرة بعد العزلة، فذلك العلم الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ بقوله: «أعوذ بك من علم لاينفع»[1].

وقال رحمه الله: المعرفة طريقة بدايتها: نجوم زاهرة، ووسطها: أقمار باهرة، ونهايتها: شموش ظاهرة.

ونختم بهذه الآية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ، ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ، مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾(الشعراء: ٢٠٥،٢٠٦)ـ نبَّهَنا اللهُ وإيَّاكم عن نومةِ الغَافلين ـ.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه سيِّدنا محمد في الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.[2] تمت الرسالة التي أُلِّفَت في مكة – شرفها الله تعالى – ولكن استدركت بمدينة دمشق المحروسة، وزيدت فيها مسائل وفوائد لم تكن من قبل، فهذه تذكرة من واعظ لا يتعظ، ونصوح لا يقبل، ومصاب

قد امتحن ببصره فلا يرى طريق رشده ويعرف خطأ ما هو عليه ولكن اقعده قعود الشقاء من المسير إلى طريق رشده، شعر

وما يُغنِي العقابَ عيانُ صيدٍ ... إذا كانَ العقابُ بلا جناحِ

جمع الله بيننا وبين الأبرار في دار القرار، وأعاننا على كل خير، وأعاذنا من كل شر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*****

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٨، رقم: ٢٧٢٢).

(٢) كلمات الدعاء فيها تقديم، وتأخير، وسقوط في بعض النسخ، فجمعناها كلها وأثبتناها في هذه النسخة التي بين أيديكم.

وإلى هنا انتهت الرسالة في معظم النسخ إلا في ر، ومج زادت عبارة ما بعدها.

وفي ر زيادة من الناسخ: "والحمد لله، وصلاته على محمد وآله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، في يوم الأحد وقت الضحى، السادس والعشرين من شوال سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة". والشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره توفي سنة٧٨٠هـ كما حققها الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي.

تم التحقيق والتخريج والتعليق بحمد الله وكان من فضل الله أن وفقنا لهذا العمل الجليل، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق للمزيد بمثل هذه الأعمال، وهو الموفق والميسر لكل عسير، نعم المولى ونعم النصير.

تراجم الأعلام

ترجمت للأعلام التي جاءت في الرسالة المكية اختصارا حسبما عثرت على تراجمها في كتب التراجم والطبقات على ترتيب حروف الهجاء و أعرضت عن المشهورين كالأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم، والكتب التي اعتمدت عليها في بيان التراجم عديدة، ولكنني عولت في الأغلب على الأعلام للزركلي، وطبقات الأولياء لإبن الملقن، وطبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي، ونفحات الأنس لعبد الرحمن الجامي- بالفارسية-:

إبراهيم بن أدهم: (٠٠٠ - ١٦١ هـ = ٠٠٠ - ٧٧٨ م)

هو زاهد مشهور أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز.

إبراهيم الحربي: (١٩٨ - ٢٨٥ هـ = ٨١٥ - ٨٩٨ م)

أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي: كان حافظا للحديث عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، قيِّمًا بالأدب، زاهدًا عن الدنيا، صنَّف كتبًا كثيرةً منها: غريب الحديث، وإكرام الضيف، ومناسك الحج.

ابن عطاء: (٠٠٠-٣٠٩هـ)

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، وقال عنه أبو سعيد الخراز: «التصوف خُلق وليس إنابة، وما رأيت من أهله إلا الجنيد، وابن عطاء» صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد. توفي في شهر ذي القعدة سنة ٣٠٩ هـ

أبو بكر النسَّاج:

أبو بكر بن عبد الله النّساج الطّوسي، مريد الشيخ أبي القاسم الگرگانى استفاد من صحبة الشيخ أبي بكر الدينوري وهو كان مرشد الشيخ أحمد الغزالي.

أبو بكر الوَرَّاق: (٠٠٠ - ٢٤٠ هـ = ٠٠٠ - ٨٥٤ م)

أبو بكر محمد بن عمر الو رّاق الترمذي ويلقب بـ "الحكيم"، لَقِيَ أحمد بن خَضْرَوَيْه وصَحِبه، وصحب محمَّد بن سَعْد بن سَعْد بن إبرهيم الزاهد، ومحمَّد بن عُمَر خُشْنامَ البلخى، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، له كتب مشهورة في التصوف والمعاملات والأدب.

أبو الحسين النوري: (٠٠٠ – ٢٩٥ هـ = ٠٠٠ – ٩٠٧ م)

أبو الحسين أحمد بن محمد البغوي النوري، المعروف بـ "ابن البغوي" من أجل مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلامًا، صحب سري السقطي، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن علي القصاب، وكان من أقران الجنيد. وقال أبو أحمد المغازلي: «ما رأيت أعبد من النوري، قيل: ولا الجنيد؟ قال: ولا الجنيد.

أبو رَزِين رضي الله عنه:

وافد بني المنتفق لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، له صحبة، أعد من أهل الطائف.

أبو سعيد أبو الخير: (٠٠٠– ٤٤٠هـ)

أبو سعيد الفضل بن أبي الخير الميهني، من كبار مشايخ الصوفية، الملقب بشيخ الوقت، صاحب الكرامات الباهرات، يعتبر أول من وضع أسس التصوف وأنشأ فكرة المدارس والخانقاهات، أقام في نيسابور وتوفي كوالده في ميهنة.

أبو سعيد الخراز: (٠٠٠ – ٢٨٦ هـ = ٠٠٠ – ٨٩٩ م)

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من مشايخ الصوفية، بغدادي، نسبته إلى خرز الجلود. قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. له تصانيف في علوم القوم، منها: كتاب الصدق، أو الطريق إلى الله.

أبو سليمان الخطابي: (٣١٩ – ٣٨٨ هـ / ٩٣١ – ٩٨٨م)

أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبي علي الصفار وأبي جعفر الرزاز وغيرهما. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم والإمام أبو حامد الإسفراييني وأبو ذر الهروي وغيرهم. له تصانيف منها: غريب الحديث، و معالم السنن شرح سنن أبي داود.

أبو سليمان الداراني: (٠٠٠ – ٢١٥ هـ = ٠٠٠ – ٨٣٠ م)

أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي زاهد مشهور ومن كبار الصوفية، من أهل داريا (بغوطة، دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده.

أبو العباس بن سُرَيْج: (٢٤٩ – ٣٠٦ هـ = ٨٦٣ – ٩١٨ م)

أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي فقيه الشافعية في عصره، مولده ووفاته في بغداد. له نحو ٤٠٠ مصنف. وكان يلقب بالباز الأشهب. ولي القضاء بشيراز، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الآفاق.

أبو عبد الله بن خفيف: (٢٧٦ - ٣٧١ هـ = ٨٩٠ - ٩٨٢ م)

أبو عبد الله محمد بن خفيف، الشيرازي صوفي، شافعي، كان شيخ إقليم فارس، وهو من أولاد الأمراء، تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتبا. من كلامه: (ليس شئ أضر بالمريد، من مسامحة النفس في ركوب الرخص).

أبو عثمان المغربي: (حوالي٢٤٢-٣٧٣هـ)

أَبُو عُثْمَان سعيد بن سَلام المغربي القيرواني، كان من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات، وكان في الرياضة كبير الشأن، لم يُرَ مثلَه فِي علوّ الْحَال وصون الْوَقْت وَصِحَّة الحكم بالفراسة وَقُوَّة الهيبة. صحب أَبَا عَليّ بن الْكَاتِب وحبيبًا المغربي وَأَبا عَمْرو الزجاجي، وَلَقي أَبَا يَعْقُوب النهرجوري وَأَبا الْحسن بن الصَّائِغ الدينَوَرِي وَغَيرهم من الْمَشَايِخ. ورد نيسابور وَمَات بهَا سنة ٣٧٣ هـ،

أبو علي الرُّوْذباري: (٠٠٠ - ٣٢٢ هـ = ٠٠٠ - ٩٣٤ م)

محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، الفقيه المحدث النحوي، من كبار الصوفية ومن أولاد الرؤساء والوزراء. له تصانيف حسان في التصوف. أصله من بغداد.سكن مصر.

أبو علي الكاتب: (٠٠٠- ٣٤٣هـ =٠٠٠- ٩٥٤م)

أَبُو عَليّ بن الْكَاتِب واسمه الْحسن بن أَحْمد والمعروف بـ "ابن الكاتب"، كان من كبار مَشَايِخ المصريين، وأوحد مَشَايِخ وقته، صحب أَبَا بكر الْمصْرِيّ وَأَبا عَليّ الرُّوذَبَارِي وَغَيرهمَا من الْمَشَايِخ.

أبو القاسم الگرگاني: (٣٥٠- ٤٥٠هـ=٠٠٠-١٠٥٨م)

اسمه عبد الله بن علي الطوسي الخراساني، كان من أقران الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، وما كان نِدّه ونظيره في زمانه. وهو خليفة الشيخ أبي عثمان المغربي وكان الشيخ أبو بكر النساج مريده.

أبو النجيب السهروردي: (٤٩٠ - ٥٦٣ هـ = ١٠٩٧ - ١١٦٨ م)

عبدالقاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، أبو النجيب السهروردي، فقيه شافعي واعظ، من أئمة المتصوفين، ولد بسهرورد، وسكن بغداد فبنيت له فيها رباطات للصوفية من أصحابه، وولي المدرسة النظامية. وتوفي ببغداد، وله "آداب المريدين" و "شرح الأسماء الحسنى" و "غريب المصابيح".

أبو يزيد البسطامي: (١٨٨ - ٢٦١ هـ = ٨٠٤ - ٨٧٥ م)

سيد السادة الصوفية العارف الكبير طَيْفُور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: يلقب بـ "سلطان العارفين"، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية ، روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق.

أبو يعقوب السُّوسي:

أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي، تلميذ الشيخ عبد الواحد بن زيد وشيخ أبي يعقوب النهرجوري، وله تصانيف، وتوفى في أبلّة قرب البصرة.

أبو يعقوب النهرجوري: (٠٠٠ – ٣٣٠ هـ = ٠٠٠ – ٩٤١ م)

إسحاق بن محمد النهرجوري، أبو يعقوب من علماء الصوفية، نسبته إلى نهر جور (قرية بالقرب من الأهواز)، رحل إلى الحجاز، وأقام مجاورا بحرم مكة سنين كثيرة ومات بها.

أحمد الگورپاني : (٠٠٠ – ٦٦٩ هـ = ٠٠٠ – ١٢٧٠ م)

جمال الدين أحمد الگورپاني الإسفرائني من تلاميذ الشيخ رضي الدين علي لالا، وهو أحد من المشايخ الكبار في زمانه.

أحمد بن عاصم الأنطاكي: (١٤٠ – ٢٣٩هـ)

الإمام القدوة، واعظ دمشق، أبو علي – أو – أبو عبد الله، من طبقة بشر الحافي وسري السقطي والحارث المحاسبي، ومن علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، كان أبو سليمان الداراني يسميه "جاسوس القلوب" لقوة فراسته.

أحمد الغزالي: (٠٠٠ – ٥٢٠ هـ = ٠٠٠ – ١١٢٦ م)

أبو الفتوح مجد الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي الغزالي ، هو أخ الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. درس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه. وشهرته بالغزالي – كأخيه –، له الذخيرة في علم البصيرة في التصوف، ولباب الإحياء اختصر فيه إحياء علوم الدين لأخيه، و التجريد في كلمة التوحيد و بوارق الإلماع في الرد على من يحرم السماع.

بَرْصِيصا:

هو عابد زاهد من بني إسرائيل، كان له فضل وكمال لكنه مات مشركًا، – نعوذ بالله منه– .

برهان الدين السمرقندي:

تلقن الشيخ قطب الدين الدمشقي منه الذكر، ولم أجد ترجمته فيما لدي من المراجع.

بَلْعَام :

هو بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط(عليه السلام) بن هاران، وهو عالم من علماء بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى، وكان مستجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، لكنه مات على الشرك لكبره ورفضه لأمر الله تعالى.

البيهقي: (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٦ م)

الإمام المحدث أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي الشافعي، ولد في خسروجرد من قرى بيهق، بنيسابور، ونشأ في بيهق وقضى من أكثر عمره في نيسافور ومات فيها، صنف زهاء ألف جزء، منها السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والآداب، والترغيب والترهيب، والمبسوط، والجامع المصنف في شعب الإيمان.

ثابت البناني: (٤١ – ١٢٧ هـ)

أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، روى عن ابن عمر وابن الزبير وخلق، وعنه الحمادان وأمم، وكان رأسًا في العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة، يقال: لم يكن في وقته أعبد منه.

ثَعْلب: (٢٠٠ – ٢٩١ هـ)

العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، صاحب "الفصيح" والتصانيف الأخرى.

الجنيد: (٠٠٠ – ٢٩٧ هـ = ٠٠٠ – ٩١٠ م)

الإمام القدوة أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، من العلماء الأعلام، إمام الدنيا في زمانه، وسيد الطائفة الصوفية لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.

الحارثة:

الحارث بن مالك. وقيل: حارثة الأنصاري، صحابي، روى عنه عبد الكريم بن الحارث الخضرمي، ومحمد بن أبي الجهم العدوي.

حبيب العجمي: (٠٠٠ – ١١٩ هـ = ٠٠٠ – ٧٣٧ م)

أبو محمدٍ حبيبُ بن محمد العجميُّ البصريُّ، أحد أعلام التصوف المشهورين الموصوفين بالزهد، والورع، والكرامات، واستجابة الدعاء، وكان له دنيا، فوقعت موعظة الحسن في قلبه، فتصدق بأربعين ألفا، وقنع باليسير، وعبد الله حتى أتاه اليقين. قيل توفي في حدود الأربعين والمائة. حكى عن الحسن وابن سيرين وغيرهما. وعنه حماد بن سلمة، وأبو عوانة، وجعفر بن سليمان، وداود الطائي، ومعتمر بن سليمان، وآخرون.

حذيفة بن اليمان: (٠٠٠ – ٣٦ هـ = ٠٠٠ – ٦٥٦ م)

حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره.

الحسن البصري: (٢١ – ١١٠ هـ = ٦٤٢ – ٧٢٨ م)

إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، أبو سعيد، الحسن بن يسار البصري من كبار التابعيين، أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف إمام الهدى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبايع على يديه ولبس خرقته، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، توفي بالبصرة.

الحليمي: (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٢ م)

رئيس المحدِّثين والمتكلمين بما وراء النهر، القاضي العلامة أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، أخذ عن: الأستاذ أبي بكر القفَّال، والإمام أبي بكر الأُودَنِيّ. وحدث عن: خلف بن محمد الخيام، وأبي بكر محمد بن أحمد بن خَنْب، وبكر بن محمد المروزي الدخمسيني وجماعة. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له «المنهاج» في شعب الايمان، قال الإسنوي: جمع فيه أحكامًا كثيرةً ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره.

داود الطائي: (٠٠٠ – ١٦٥ هـ = ٠٠٠ – ٧٨١ م)

أبو سليمان داود بن نصير الطائي من أئمة المتصوفين، أصله من خراسان، ومولده بالكوفة. رحل إلى بغداد، وأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها. قال أحد معاصريه: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خبره.

ذِعْلِبُ اليَمَانِيُّ:

هو تلميد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه الكريم ولم أجد ترجمته فيما لدي من المراجع.

ذوالنون: (١٧٩ – ٢٤٥ هـ = ٧٩٦ – ٨٥٩ م)

أبو الفياض، أو أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري أحد من الزهاد المشهورين ومن المحدثين الفقهاء، روى الحديث عن مالك بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، ودرس على علماء

مدنيين وسافر إلى سورية والحجاز. ذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع والمقامات والأحوال. وتوفي بالجيزة بمصر.

رويم: (٠٠٠ - ٣٣٠ هـ = ٠٠٠ - ٩٤١)

أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم: صوفي شهير، من جلة مشايخ بغداد، كان عالما بالقرآن ومعانيه، فقيها من أهل السنة والجماعة، محب الجنيد وغيره.

سري السقطي: (٠٠٠ - ٢٥٣ هـ)

أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، ، وكان تلميذ معروف الكرخيي وخال الجنيد وأستاذه. توفي في رمضان سنة ٢٥٣؛ وقيل: ٢٥١؛ وقيل: سنة ٢٥٧.

سفيان الثوري: (٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م)

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم انتقل إلى البصرة فمات فيها. وكان آية في الحفظ.

سهل التستري: (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ = ٨١٥ - ٨٩٦ م)

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، كان أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك.

سوَّار بن مُصْعَب: (وفاته بين ١٧١و ١٨٠هـ)

أبو عبد الله سوار بن مصعب الهمداني الكوفي الأعمى المؤذن. روى عن عطية العوفي وجماعة. وعنه أبو الجهم وغير واحد.

الشبلي: (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ = ٨٦١ - ٩٤٦ م)

شيخ الطائفة الزاهدين أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي. وكان أوحد الوقت حالًا وقالًا، لم يكن له مثال في حال صحوه ولا في حال غيبته. وكان فقيها عارفا، مالكي المذهب. وسمع الحديث.

شهاب الدين السهروردي: (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ = ١١٤٥ - ١٢٣٤ م)

أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن عموية، القرشي التيمي البكري السهروردي: فقيه شافعي، مفسر، واعظ، من كبار الصوفية. مولده في " سهرورد " ووفاته ببغداد. كان شيخ الشيوخ

ببغداد. له كتب، منها "عوارف المعارف " و " نغبة البيان في تفسير القرآن" و "جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب" رسالة، و "السير والطير" رسالة.

عبد الرحمن الكسرقي: (٦٣٩ ـ ٧١٧ هـ)

نور الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الكسرقي الأسفرايني من أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري وشيخ الشيخ علاء الدولة السمناني وتلميذ وخليفة الشيخ أحمد ذاكر الگورپاني وله كتب منها: "كاشف الأسرار".

عبد الله بنُ المبارك: (١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧ م)

أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه، و " الرقائق" في مجلد.

علي بن بندار: (٠٠٠-٣٥٩هـ=٠٠٠-٩٦٩م)

أبو الحسن عليّ بن بنْدَار بن الحسين الصَّيْرَفِي، من جلة مشايخ نيسابور ورزق من رؤْية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره، ومن أقواله: التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهرًا وَبَاطنًا. توفي سنة ٣٥٩ هـ، وقيل توفي يوم الأحد ٢١ رجب سنة ٣٥٧ هـ.

علي لالا: (٠٠٠-٦٤٢هـ=٠٠٠-١٢٤٤م)

هو العارف الشيخ رضي الدين علي بن سعيد بن عبدالجليل لالا، الغزنوي المعروف بـ"علي لالا"، وإنه مات في الثّالث من ربيع الاول، سنة ٦٤٣هـ و قبره في حوالي أصفهان يعرف «گنبد لالا» وقيل: مات بغزنة في (٦٤٢ أو ٦٤٣) و دفن عند قبر السلطان محمود الغزنوي.

عمار بن ياسر: (٠٠٠-٥٨٢هـ/ ٠٠٠-١١٨٦م)

أبو ياسر عمار بن ياسر بن مطر بن سحاب،المعروف بـ"عمار ياسر البدليسي" وكان لقبه ضياءالدين، وهومن المشايخ الكاملين والكبار العارفين، وهو شيخ نجم الدين الكبرى وخليفة أبي نجيب ضياء الدين السهروردي، ومن آثاره العلمية: بهجة الطائفة العارفة بالله، صوم القلب، واختلفت في سنة وفاته قيل ٥٨٢هـ وقيل بين ٥٩٠ و٦٠٤هـ .

كميل بن زياد: (١٢ - ٨٢ هـ = ٦٣٣ - ٧٠١ م)

كميل بن زياد بن نهيك النخعي تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب. كان شريفًا مطاعًا في

قومه. شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث. قتله الحجاج.

مجد الدين البغدادي: (٠٠٠ - ٦١٦ هـ = ٠٠٠ - ١٢١٩ م)

مجد الدين شرف بن المؤيّد بن أبي الفتح البغدادي، من تلاميذ الشيخ الأجل نجم الدين الكبرى. ولقد اشتهر أمر الشيخ مجد الدين بين الناس ونفع الله به خلقا كثيرين وكتب عدة مؤلفات منها: "رسالة سفر"و "رسالة السلوك" و "تحفة البردة فى المسائل العشرة" وهى كتب فى التربية الصوفية.

محمد الغزالي: (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م)

حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي: شيخ عارف، متكلم أشعري، فقيه شافعي، فيلسوف إسلامي، له نحو مئتي مصنف منها: إحياء علوم الدين.

محي الدين النواوي: (٦٣١ - ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م)

محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية). وله كتب قيمة معروفة في فنون عديدة منها: المنهاج في شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.

معروف الكرخي: (٠٠٠ - ٢٠٠ هـ = ٠٠٠ - ٨١٥ م)

أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، أحد السادات، مستجاب الدعوة، أستاذ سرى السقطي.

مِقْسَم: (٠٠٠-١٠١هـ)

أبو القاسم أو أبو العباس، مقسم بن بجرة مولى ابن عباس أو مولى عبد الله بن الحارث الهاشمي، وقال ابن سعد: أجمعوا على أنه توفي سنة إحدى ومائة.

نجم الدين الكبرى: (٥٤٠ - ٦١٨ هـ = ٠٠٠ - ١٢٢١ م)

الإمام الزَّاهد القدوة المحدِّث الشَّهيد، صانع الأولياء، أبو الجنَّاب أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين كبرى الخوارزمي الخَيْوَقي الواسطي، الملقب بـ"الطامة الكبرى"، و "نجم الكبراء"، و"نجم الدين الكبرى". طاف البلاد وسمع بها الحديث. كان ملجأ للغرباء، عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم، من آثاره: «منازل السائرين» و «فواتح الجمال» و «منهاج السالكين» و ديوان شعر ، و رسالة «الخائف الهائم عن لومة اللائم».

****

قائمة المصادر والمراجع

الكتاب	المصنف/ المؤلف	الناشر/ المطبع	سنة الطباعة
الآثار المرفوعة	عبد الحي اللكنوي	مكتبة الشرق الجديد، بغداد	--
الإبانة الكبرى	ابن بَطّة العكبري	دار الراية، الرياض	--
اتحاف السادة المتقين	مرتضى الزبيدي	مؤسسة التاريخ العربي، بيروت	١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
الإتحافات السنية	زين الدين المناوي	دار ابن كثير، دمشق	--
الإتقان	السيوطي	دار الفكر، لبنان	١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
الإحكام	ابن حزم الأندلسي	دار الحديث، القاهرة	١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
إحياء علوم الدين	محمد الغزالي	دار االمعرفة، بيروت	--
الأربعين	أبو سعد النيسابوري	البرنامج جوامع الكلم	المخطوط
الأسماء والصفات	البيهقي	مكتبة السوادي، جدة	--
أسنى المطالب	محمد درويش الحوت	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م
الاعتقاد والهداية	البيهقي	دار الآفاق الجديدة، بيروت	١٤٠١هـ/ ١٩٨٠
أمالي	ابن بشران	دار الوطن، الرياض	١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م
بحر الفوائد	أبو بكر الكلاباذي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
البداية والنهاية	ابن كثير	مكتبة المعارف، بيروت	--
مسند الحارث / زوائد الهيثمي	الحارث بن أبي أسامة / نور الدين الهيثمي	مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، المدينة المنورة	١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	دار الغرب الإسلامي، بيروت	١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م
تاريخ دمشق	ابن عساكر	دار الفكر ، بيروت	١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م
تخريج أحاديث إحياء علوم الدين	العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي	دار العاصمة للنشر، الرياض	--
الترغيب في الدعاء	عبد الغني المقدسي	دار ابن حزم ، بيروت	--
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	دار الكتب المصرية، القاهرة	١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

الكتاب	المصنف/ المؤلف	الناشر/ المطبع	سنة الطباعة
تهذيب الكمال	المزي	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م
التمهيد	ابن عبد البر	وزارة عموم الأوقاف، المغرب	١٣٨٧ هـ/
التيسير	عبد الرؤوف المناوي	مكتبة الإمام الشافعي، الرياض	١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
الثقات	ابن حبان	دار الفكر، لبنان	١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م
جامع بيان العلم وفضله	ابن رجب الحنبلي	دار ابن الجوزي، السعودية	١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤
حلية الأولياء	أبو نعيم	السعادة، القاهرة	١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
حديث خيثمة	خيثمة الأطرابلسي	دار الكتاب العربي ، بيروت	١٤٠٠هـ/
الدرر المنتثرة	السيوطي	جامعة الملك سعود، الرياض	--
دلائل النبوة	البيهقي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م
رد الإمام الدارمي	أبو سعيد الدارمي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٣٥٨هـ
رياض الصالحين	النووي	دار ابن كثير، بيروت	١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م
الزهد	أحمد بن حنبل	دار الريان للتراث، القاهرة	١٤٠٨هـ
الزهد	ابن أبي عاصم	دار الريان للتراث، القاهرة	١٤٠٨هـ
الزهد الكبير	البيهقي	مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت	١٩٩٦م
الزهد، والرقائق	ابن المبارك	دار الكتب العلمية، بيروت	--
الزهد	هناد بن السري	دار الخلفاء، الكويت	١٤٠٦هـ
الزهد	وكيع بن الجراح	مكتبة الدار، المدينة المنورة	١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م
سنن ابن ماجه	ابن ماجه	دار إحياء الكتب العربية	--
سنن الترمذي	أبو عيسى الترمذي	مصطفى البابي الحلبي، مصر	١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م
سنن الدارمي	الدارمي	دار المغني، السعودية	١٤١٢ هـ/ ٢٠٠٠م
السنن الصغير	البيهقي	جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان	١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م
السنن الكبرى	البيهقي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
شرح المواهب اللدنية	الزرقاني	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

الكتاب	المصنف/ المؤلف	الناشر/ المطبع	سنة الطباعة
شرح سنن ابن ماجه (١) مصباح الزجاجة (٢)إنجاح الحاجة (٣)حل اللغات وشرح المشكلات	(١) للسيوطي (٢) لعبد الغني المجددي (٣) للكنكوهي	قديمي كتب خانة - كراتشي	--
شعب الإيمان	البيهقي	مكتبة الرشد ، بومباي، الهند	١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م
صحيح ابن حبان	ابن حبان	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
صحيح البخاري	البخاري	دار طوق النجاة	١٤٢٢هـ/ -
صحيح مسلم	مسلم	دار إحياء التراث العربي، بيروت	--
العزلة	الخطابي	المطبعة السلفية، القاهرة	١٣٩٩هـ
عمل اليوم والليلة	ابن السنيسنة	مؤسسة علوم القرآن، جدة	--
عمل اليوم والليلة	النسائي	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤٠٦هـ/ -
عوارف المعارف	السهروردي	المكتبة العلامية بجوار الأزهر	١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م
الكامل في الضعفاء	ابن عدي	دار الفكر، بيروت	١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م
الضعفاء الكبير	العقيلي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
الفتاوى الحديثية	ابن حجر الهيتمي	دار الفكر، بيروت	--
الفرج بعد الشدة	ابن أبي الدنيا	دار الريان للتراث، مصر	١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م
مسند الفردوس	الديلميّ	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م
فضائل الصحابة	ابن أسد الشيباني	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
الفقيه والمتفقه	الخطيب البغدادي	دار ابن الجوزي، السعودية	١٤١٧هـ/
الفوائد الجليلة	ابن عقيلة	البشائر الإسلامية، بيروت	١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م
فوائد أبي بكر النصيبي	أبو بكر النصيبي	برنامج جوامع الكلم	(مخطوط)/ ٢٠٠٤م
فيض القدير	المناوي	المكتبة التجارية الكبرى ، مصر	١٣٥٦هـ/ -
كتاب التوحيد	أبة بكر السلمي	مكتبة الرشد، السعودية	١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
كشف الخفاء	العجلوني	المكتبة العصرية	١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

الكتاب	المصنف/ المؤلف	الناشر/ المطبع	سنة الطباعة
كشف الكربة	ابن رجب الحنبلي	الفاروق الحديثة	١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
الكفاية	الخطيب البغدادي	المكتبة العلمية، المدينة المنورة	--
كشف الأستار	نور الدين الهيثمي	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م
اللآلىء المصنوعة	السيوطي	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م
اللآلي المنثورة	الزركشي	المكتب الإسلامي	--
اللمع	أبو نصر الطوسي	دار الكتب الحديثية، مصر	١٣٨٠هـ
اللؤلؤ المرصوع	أبو المحاسن القاوقجي	دار البشائر الإسلامية، بيروت	١٤١٥هـ
المجالسة	أبو بكر الدينوري	دار ابن حزم، بيروت	١٤١٩هـ
المجروحين	أبو حاتم	دار الوعي، حلب	--
مجمع الزوائد	نور الدين الهيثمي	مكتبة القدسي، القاهرة	١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م
المحبة لله سبحانه	أبو إسحاق الخُتَّلِيُّ	دار الحضارة ، الرياض	١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
المدخل	البيهقي	دار الخلفاء، الكويت	--
مساوئ الأخلاق	أبو بكر الخرائطي	مكتبة السوادي، جدة	١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م
المستدرك	الحاكم	دار الكتب العلمية، بيروت	١٤١١هـ/ ١٩٩٠م
مسند الطيالسي	أبو داود الطيالسي	دار هجر، مصر	١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م
مسند أبي يعلى	أبو يعلى الموصلي	دار المأمون للتراث، دمشق	١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
مسند أحمد	أحمد بن حنبل	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م
مسند ابن راهويه	إسحاق بن راهويه	مكتبة الإيمان، المدينة المنورة	١٤١٢هـ/١٩٩١م
مسند البزار	أبو بكر البزار	مكتبة العلوم والحكم، المدينة	١٩٨٨-٢٠٠٩م
مسند الشهاب	القضاعي	مؤسسة الرسالة، بيروت	١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
المصنف	ابن أبي شيبة	مكتبة الرشد، الرياض	١٤٠٩هـ/ -
المصنف	عبد الرزاق	المجلس العلمي، الهند	١٤٠٣هـ/
المطالب العالية	ابن حجر العسقلاني	دار العاصمة، السعودية	١٤١٩هـ/ -
المعجم	ابن المقرئ	مكتبة الرشد، الرياض	١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

الكتاب	المصنف/ المؤلف	الناشر/ المطبع	سنة الطباعة
المعجم الأوسط	الطبراني	دار الحرمين، القاهرة	
المعجم الصغير	الطبراني	المكتب الإسلامي، دار عمار	١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
المعجم الكبير	الطبراني	مكتبة ابن تيمية، القاهرة	
المغني	العراقي	مكتبة طبرية، الرياض	١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
مفتاح دار السعادة	الزرعي	دار الكتب العلمية، بيروت	
المقاصد الحسنة	السخاوي	دار الكتاب العربي، بيروت	١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م
المنتخب	بن نصر الكَسّي	مكتبة السنة، القاهرة	١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
المنتقى	المقدسي	مخطوط	
موطأ مالك	مالك بن أنس	دار إحياء التراث العربي، بيروت	١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م
المنهاج	النووي	دار إحياء التراث العربي، بيروت	١٣٩٢هـ/ -
الموضوعات	ابن الجوزي	المكتبة السلفية، المدينة المنورة	١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م
نزهة المجالس	عبد الرحمن الصفوري	دار المحبة، بيروت	-/ ٢٠٠٢م
نوادر الأصول	الحكيم الترمذي	دار الجيل، بيروت	

****

فهرس الرسالة المكية

****